تأليف ي. كرازن

دايلكتيك العمليّة الثوريّة

ترجمة
الدكتور نديم البخوي

تأليف ي. كرازن

دايلكتيك العمليّة الثوريّة

ترجمة

الدكتور نديم البحوي

جميع حقوق الطبع محفوظة للمترجم

نقلت الترجمة عن اللغة الانكليزية

من اصدار دار النشر

لوكالة نوفوستي الصحفية ـ موسكو ١٩٧٢

مقدمة المترجم :

يشهد الثلث الأخير من هذا القرن الذي نعيشه ، نضالا عاتياً وشاقاً، لامفر منه ، ذلك هو النضـال بين قوى الاشتـراكية العالمية ، وبـين قوى الرأسماليـة الأمبريالية العالميـة • في خضم هـذا النضال ، يقف العالـم الاشتراكي وفي طليعته ، قلعته المنيعة الاتحاد السوفيتي ، كتفاً الى كتف مع كافة قوى التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في ارجاء المعمورة ومـع جيش البروليتاريا في قلب النظام الرأسمالي نفسه ، لمواجهة الرأسماليـة والأمبريالية العالمية ، وكل القوى الرجعية المعادية للتقدم ، بكلمة : قـوى السلام العالمي الواثقة من الغد المشرق السعيد للبشرية والانسان ، مقابل قوى الحرب والعدوان ، والشر ، وقد أخذت الأرض تميد من تحتهم •

يمتد هذا النضال ليشمل كل اوجه الحياة بكل مالهذه الكلمة مـن معنى : اقتصادياً ، وسياسياً ، واجتماعياً ، روحياً وفكرياً •

وسلاح الأيديولوجية ، هو واحد من الأسلحة الهامة والمشـرعة على أوسع نطاق اليوم ، في ساحة النضال الحاسم • وتلجأ اليه الامبريالية بكل الأشكال المتوفرة • وابرزها التضليـل الأيديولوجي ، والتحريف ، الـى درجة الكذب والتزوير •

نشاهده في منطقتنا ، نحن ابناء الشعوب العربية بشكل خاص ، الى أي مدى تراجع الفكر وتراجعت الأيديولوجيـة البورجوازية الكلاسيكية • فقد صاحب ، ولابد أن يصاحب ، الانتصارات السياسية والأقتصادية التي احرزهـا ، ويحرزها ، النظـام الاشتراكي العالمـي ، الى جانب الهزائـم والافلاس التي مني ، ولسوف يمنى بها النظام الرأسمالي العالمي ، أقـول

صاحب ذلك انتصار ملموس للفكر والأيديولوجية الماركسية اللينينية الثورية ، وهزيمة وتراجع للفكر والايديولوجية البورجوازية • بكلمة مع رياح الاشتراكية التي تلف أقطار الشعوب العربية ، ـ وبالطبع كافة الشعوب والبلدان الفتية،وشعوب العالم ـ شقت النظرية الماركسية اللينينية الثورية طريقها بحزم وثبات لتشمل قوى اجتماعية وسياسية واسعة ، واخلت الأيديولوجية البورجوازية السبيل امام الأيديولوجية الماركسية اللينينية الثورية • ويمكن أن نلمس تلك الظاهرة بوضوح عند اوسع اوساط الشعب الفلسطيني وفصائل حركته الوطنية التحريرية الديمقراطية•

بالطبع في تقديري أن هذه الظاهرة ايجابية بحد ذاتها ودلالتها العامة• الا أن ذلك لايكفي ، فالصراع الفكري الايديولوجي لم يحسم ولا يمكن حسمه لاجيال قادمة •••• لايعرف ذلك احد ، لكنه حقاً ، ارتفع الى مستويات جديدة • لم يعد النقاش اليوم يدور بشكل اساسي حول : صحة الماركسية اللينينية او عدم صحتها ، فالحياة نفسها والتجارب المكدسة عند الشعوب ، خاصة في أوساط المثقفين كل ذلك حسم النقاش التاريخي وذلك لصالح الماركسية اللينينية •

كما قلت من قبل ، هذه ظاهرة ايجابية ، وهذه الظاهرة لاتشذ عن القاعدة فبقدر مافيها من ايجابيات،الا أنها تحمل في احشاءها سلبياتها، وهذه الأخيرة اصبحت اليوم محددة بوضوح ، وتتلخص بمختلف اشكال التحريف ، والمراجعة ، سواء باتجاه اليمين او باتجاه اليسار ؛ بكلمة الأنتهازية اليمينية المستسلمة بهذا الشكل او ذاك ، والأنتهازية اليسارية المغامرة، وما يغلف هذه وتلك من رواسب الأيديولوجية القومية البورجوازية الشوفينية ، هذا موضوع الكتاب • وفي هذا المجال،فالمسألة لاتبقى مقصورة علينا نحن ابناء الشعوب العربية ، لأن لها طابعها العالمي ، وهذا امر مفهوم وواضح طالما أن تفكير الأنسان في كل مكان يبقى انعكاساً لظروفه المادية ؛ وطالما أن الظروف المادية على الرغم من تفاوتها هنا وهناك ، الا أنها تتلاقى

وتتلائم بهذا القدر او ذاك على النطاق العالمي • بكلمة يمكن القول ، الأنتهازية في النظرية ظاهرة عالمية ، الا أن لها سماتها المحلية •

من هنا تأتي اهمية كتاب«ديالكتيك العملية الثورية» لمؤلفه السوفيتي يوري جارزين • ومن هذا الواقع اعتقد أن ترجمته الى اللغة العربية ليس مجرد اغناء للمكتبة العربية وحسب ، بل في تقديري أنه سلاح ضروري ولاغناء عنه لتخليص الأيديولوجية الماركسية اللينينية ، من كل شوائب الأنتهازية الفكرية والسياسية ، بتأكيد وترسيخ الديالكتيك العلمي الماركسي اللينيني • هذا هو موضوع الكتاب على وجه التحديد : بقي أن أقول : الى أي مدى كانت الترجمة موفقة ؟ لا أدري ، أترك ذلك للقارىء ، وارحب كل الترحيب وباخلاص باي ملاحظة او نقد •

المترجم

الدكتور نديم النحوي

مقدمة المؤلف :

سوف يمضي القرن العشرون ، ليكون في سجل التاريخ ، القرن الذي شهد اعظم التحولات الاجتماعية في العالم – وهي الثورة الاشتراكية • من الأمور الطبيعية اذن ، أن يدعو هذ الحدث ، الانسان الى اشد الاهتمام والانتباه ، وأن تصبح هذه الثورة موضوعاً للدراسة النظرية المضنية •

عندما نتأمل في اي مسألة متصلة بنظرية العملية الثورية ، يواجه المرء قضايا فلسفية يجب التوصل الى حل لها ؛ من اجل أن تتمكن الطبقة العاملة ، والاحزاب الماركسية اللينينية من التوصل الى فهم صحيح لقوانين الثورة ، وقواعد الاستراتيجية والتكتيك للطبقة العاملة ؛ لابد ، من مدخل علمي لاستيعاب قوانين الثورة الاجتماعية في عصرنا الراهن ، وتحليل التجربة الثورية ، والحقائق والأحداث ، بالاضافة الى تعميم المعلومات المستخلصة والمكدسة واعادة بنائها • وكما لاحظ لينين ، «••• كل انسان يحاول تناول القضايا الجزئية ، قبل أن يعمل على تسوية القضايا العامة سوف يجد نفسه حتماً متناقضاًمع تلك القضايا العامة في كل خطوة يخطوها وبدون ادراك منه • ان مواجهة كل قضية بمفردها وبطريقة عمياء ، لايعني سوى ادانة سياسته بنفسه ، بوصفها أسوأ حالات التذبذب والافتقار الى المبادىء »(١) •

تبرهن الثورات الاجتماعيةبقوة دامغة على قوانين التطور الديالكتيكي الموضوعي • فالحياة الاجتماعية تتغير بعمق بكل جوانبها في خضم مجرى

---

(١) لينين – المؤلفات – المجلد ١٢ • ص ٤٨٩ •

التحولات الثورية • وعبر المجابهة بين الطبقات والمنظمات السياسية ، يزخر المجتمع بأشكال جديدة من النشاط الحيوي ويبعث بها الى الوجود• تهدف الثورة الاجتماعية للطبقة العاملة ، بكل ما فيها من ديناميكية وحيوية الى تغيير أسس حياة الأنسان ، وهذا ماتظهره الحياة بصورة مذهلة • كما تكشف الثورة الاجتماعية عن مظاهر متعددة : حدة التناقضات الطبقية، وتجاوز الحدود الأقليمية ، وتنوع اشكال النشاط التاريخي ، كما تكشف عن وحدة ماهو خاص وما هو موضوعي ، وتضعه موضع التطبيق ، وكذلك تكشف عن النشاط العفوي السياسي والأقتصادي ، وبنفس الوقت عن النشاط الواعي • بالاضافة الى قدرات الجماهير الخلاقة ومبادرات طليعتها الثورية ، كل ذلك تكشف عنه الثورة الاجتماعية بقوة خارقة •

يتفجر الديالكتيك ، من اعماق العلميات التاريخية ، دائماً ، باتجاه مايجري على السطح ، وذلك عبر الاحداث المأساوية التي نشهدها ومنها : التغيرات السريعة ، والمنعطفات المفاجئة ، والاحتمالات التي تفرض نفسها بصورة مفاجئة ، ومن خلال النضال في دوامة تلك الاحداث الدرامية •

ان تناول العمليات الثورية المعاصرة ومشاكلها باسلوب ديالكتيكي، هذا الأمر يحتل مكاناً استثنائياً في جدول اعمال الحركة الشيوعية العالمية• ان أهمية المشاكل المنهجية والنظرية في التطبيق العملي لسياسة الاحزاب الماركسية اللينينية تزداد اهمية من عام لآخر • وهذه المشاكل كانت موضع بحث ونقاش مركز ، في لقاء الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ في موسكو ، حيث طرح ممثلو الاحزاب الشقيقة في ذلك اللقاء بحث ونقاش المسائل الرئيسية التي تتناول : أساليب تقييم الوضع العالمي الراهن ، والامبريالية المعاصرة ، والموازين التي تحكم تطور القوى الثورية الرئيسية، وتطور الحركة الشيوعية بالذات ، وكذلك القواعد الايديولوجية لبرنامج النضال ضد الامبريالية • ان وثائق هذا الاجتماع تقدم ثروة من المادة الفلسفية لاستيعاب ديالكتيك الثورة الاجتماعية في عصرنا •

عالج لينين بعمق ، في مؤلفاته ، القضايا المنهجية للثورة • ومن هنا

فان المادية الديالكتيكية تشكل جانباً لايمكن فصمه عن نظرية وممارسة الطبقة العاملة • ان دايلكتيك ماهو عام وخصوصي وما هو أممي وقومي ، العقلانية السياسية والأبداع الجسور ، التحليل العملي الدقيق للاوضاع التاريخية ، التضافر الطبقي والمشترك في تقييم الاحداث ، بالاضافة الى ترجمة أشد القضايا النظرية تعقيدا الى اللغة السياسية الواقعية ـ ان كافة هذه المسائل اللينينية المنهج، تكون ادوات سياسية وفكرية لاغنى عنها للماركسية اللينينية •

فهم لينين المنهجية على أنها ليست قوانين جامدة وعفوية ، بل بوصفها نظام من المبادىء لتقييم الحقيقة المستخلصة من التجارب الفلسفية ـ التاريخية العامة ، للطبقة الثورية الأكثر تطورا والمستفيدة من المعرفة في القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي • لايمكن حل القضايا الثورية بالتلويح بعصا سحرية ، ان حل تلك القضايا يتطلب بذل الجهد والبحث•

والمنهجية تشكل اداة التحليل • وهذه لايمكن أن تحل محل التحليل الذي يشمل التجربة العملية في التطبيق النظري ، والبحث عن الحلول السياسية • ولكي تصبح المنهجية قوة فعالة ، لابد من موقف خلاق نحو الحقيقة • عندما تنفصل المنهجية عن الممارسة العملية ، والحياة الواقعية، لاتصبح اكثر من صيغة سحرية لاتلبث أن تنطفىء لتصبح تجسيداً ايديولوجياً لعبادة الفرد ، وهذا ماتبرهن عليه التجربة الصينية المعاصرة •

ان القواعد المنهجية التي صاغها لينين تتضمن كافة اوجه النشاط الايديولوجي والنظري للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي •

لقد بذل الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي جهداً هائلا من اجل ضمان المناخ الخلاق للعمل النظري • او ضحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في تقريرها للمؤتمر الرابع والعشرين ، « لقد اظهرت تجارب السنوات القريبة أن تجاوز النتائج المترتبة على عبادة الفرد والاخطاء الفردية ، قد انعكست على الحياة السياسية العامة ، والأهم من ذلك على الوضع الأيديولوجي في البلد • لقد كنا وما زلنا امناء

للمبادىء الماركسية اللينينية ، ولسوف نمضي دون اية مصالحة في القضايا المبدئية الفكرية » • وعلى أساس هذا النهج رفض المؤتمر بحزم مطالب قيادة الحزب الشيوعي الصيني التي تدعو الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي أن يتخلى عن الخط الذي رسمه المؤتمر العشرون وبرنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي •

ان القضايا المنهجية هي قضايا النضال ضد الأنتهازية اليمينية واليسارية وتحريف الماركسية بكل اشكال التحريفية •

يجري استخدام اساليب ومناهج محرفة ومتنوعة ، من أجل قواعد النظرية الاشتراكية وسياسة الطبقة العاملة ، كالنظرة الوحيدة الجانب في المبالغة حول سمات انتقائية للعملية الثورية ، وصفاءها ؛ وتفريغ العملية الثورية من محتواها الديالكتيكي ، والمبالغة في التبسيط ، وغوغائية العلاقات المتناقضة المعقدة • وفي سبيل تشخيص مساوىء هذه المنهجية ، والكشف عن المعنى الحقيقي لتلك الظاهرة ، والاحداث التي تستند اليها محاولات المحرفين ، وذلك بتفسيرها الخاطىء لها • لابد من عملية نقد علمي لتحريف الماركسية اللينينية وهذه مسألة لاغنى عنها •

لايقل اهمية عن ذلك فضح المنهج التحريفي بذاته ، ومثال ذلك النظرية النسبية التي لا تعترف بالقوانين العامة والروابط الاساسية للثورة ، وايضا فضح الديموغاجيا التي تغمض اعينها عن حركة التطور وتنوع الظروف ؛ وكذلك ايضاً نظرية التطور التدريجي التي ترفض النهضات الثورية والتطوير الثوري ، وتضيق ذرعاً بتناغم العمل الثوري ومتابعته ؛ يضاف الى ذلك النظرة الفردية التي تتجاهل الواقع الموضوعي، والنظرة الموضوعية التي تحول النظرة الواقعية الحقيقية الى دفاع عن كل ماهو بعيد عنها ؛ ناهيك عن النظرة الأرادية التي تعتمد على النوازع الفردية الاختيارية المحضة ، والمذهب التأملي السلبي الذي يكتفي بتسجيل الاحداث ؛ والعقلانية الغيبية المنفصلة عن تجربة النضال اليومي ، والمذهب التجريبي الزاحف مجرداً من الآفاق الثورية • كل هذه المذاهب ، واساليب

التفكير القاصرة عن ادراك الحقيقة ، تبدو واضحة عند التحريفيين ومراجعي النظرية الماركسية اللينينية الثورية ٠

لامناص من رؤية واضحة للقضايا العالمية ، اذا توخينا التعميم النظري الصحيح لتجربة الحركة الثورية ، وتحقيق النجاح للمهمات العاجلة والبعيدة في النضال العملي للطبقة العاملة ٠ ان الاصالة اللينينية تكمن في وحدة النظرية والتطبيق ونظرتها للعالم ٠ ولهذا السبب تبقى اللينينية هي المنهج للتفكير والعمل الثوري عند « كل الثوريين والماركسيين الثوريين الحقيقيين » (١) نكرس هذا العمل لمعالجة القضايا المنهجية لنظرية العملية الثورية ، وعلى وجه التحديد لفحص القضايا الآنية لهذه النظرية على محك المادية الدايلكتيكية ٠ ان هدف المؤلف هو البحث في تلك القضايا المنهجية ، ولفت النظر الى عدد من الاعتبارات المرتبطة بها ، لايدعي المؤلف بأن تلك القضايا التي يراها تحيط بكل شيء أو أنها حاسمة ونهائية، قد يطلب البعض تعميقاً اكثر لهذه القضايا والبعض الآخر تبرهن أنها غير صحيحة لأنها وحيدة النظرة ، ورغم كل ذلك فان المؤلف يقدم على طرحها ، لأنه مقتنع بأن طريق علم الماركسية اللينينية، يكمن في طرح ومجابهة وجهات النظر ومناقشتها ، وفي هذا المجرى يتم التغلب على فهم الأمور من جانب واحد ، كما يتم تصحيح الاخطاء وبالتالي تحقق الماركسية اللينينية كمالها بالاحاطة بديالكتيك حقيقة عصرنا ٠

المؤلف

---

(١) من موضوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بمناسبة الذكرى المؤية لميلاد فلاديمير ايليش لينين ٠ موسكو ١٩٦٩ ص ٠ (٦)

الفصل الأول

نواميس العصر الثوري

عندما نحاول تطبيق الدايلكتيك على ظاهرة اجتماعية ، يصبح التأريخ عنصراً يستحيل الاستغناء عنه ، إن التأريخ ضروري (بنفس القدر) لأي دراسة دايلكتيكية للعملية الثورية • تكمن مهمتنا في ادراك ان تلك العملية ظاهرة مرتبطة بجذورها التاريخية ، وبمراحل تطورها •

نشوء وتكون الثورة الاجتماعية في القرن العشرين :

تتأثر الثورة الاجتماعية بواقع أن نمو البروليتاريا العالمية يمتد على طول العصر ، وبواقع أنه في هذا المجرى يتعايش النظام الاجتماعي الشيوعي الذي ظهر الى الوجود مع النظام الرأسمالي الآيل الى الفناء • يمثل هذان النظامان الاجتماعيان قطبين ، لكل منهما مجال قوته ، ومجال قوة تأثير كل منهما على الآخر ، وعلى الحياة الاجتماعيةالبشرية، وهذا يخضع للتغيرات•

سبق أن أثر النصر الروسي الأول بعمق ، على كل من الوضع العالمي الموضوعي ، وعلى كل الطبقات والفئات البورجوازية في العالم •

لاحظ لينين بعد ثورة اكتوبر المظفرة « ان كل العالم يتغير اليوم، كما أن البورجوازية اختلف وضعها في كل مكان » • [1]

---

(١) مجموعة اعمال لينين ـ المجلد ٣١ ص (١٠٠) •

كلما زاد عدد البلدان التي تقطع صلتها بالنظام الرأسمالي ، فسوف يستمر ايضاً حدوث تغيرات كيفية في مجمل الوضع العالمي ، فالثورات الجديدة اليوم لاتجرى في ظروف اقتصادية ـواجتماعية متماثلة ، كما أنها لاتجابه نفس الاستراتيجية للقوى المضادة لها ، كما كان عليه الحال في الثورات السابقة • اذا استعرنا عبارات هيروكليتس يمكننا القول : لايمكن للمرء أن يخطو مرتين في نفس مجرى التحولات الثورية ، ذلك لأن كلا من البيئة الاجتماعية ، والعملية الثورية نفسها يرافقها تغير مستمر •

ليست العملية الثورية العالمية ، باي حال من الاحوال مجرد المجموع الحسابي الكلي لثورات متماثلة ونموذجية • لأنها تمر عبر اطوار محددة ولكل طور ملامحه الخاصة به • كما أن هذه الأطوار تشكل بمجموعها كلا واحدا أساسيا ، ذلك هو المجرى الواحد لعملية الثورة العالمية • ومع ذلك ، نجد تنوع في اطار الوحدة الثورية هذه وتغتني كل ثورة جديدة بتجارب الثورات السابقة ، وتواجه مقاومة الرجعية المسلحة بخبرة امثالها من الذين تم الانتصار عليهم في الماضي • ان رودني ارسميندي السكرتير العام للحزب الشيوعي في اورغواي ، يلفت النظر وعن حق ، الى استحالة الدفاع عن التقديرات الساذجة القائمة « على ملاحظة التغييرات الكمية والتطور الأوتوماتيكي فقط للعملية الثورية في العالم » • [1]

لم يعد العالم اليوم كما كان عليه قبل نصف قرن ونيف ، في عقب انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية • كما طرأ تغييرات عظيمة ايضاً على العملية الثورية نفسها •

---

(١) لقاء الاحزاب الشيوعية والعمالية في العالم • موسكو ١٩٦٩ ص ٢٠١ •

لقد حققت الاشتراكية انتصارات لها دلالتها ، فقد وطدت اقدامها والهبت الأرض بذلك ، لا في روسيا وحسب بل وفي عدد من البلدان الأخرى • وبذلك تم تشكيل المنظومة الاشتراكية العالمية ، التي تطمح اليها البشرية • وعلى الرغم من أن الاشتراكية لها مشاكلها الخاصة ، وانها تواجه الصعوبات بالاضافة الى تناقضاتها الخاصة ، فانها مع ذلك تبقى القوة الحاسمة في عصرنا وتمارس تأثيرا مصيريا لكل العملية التاريخية •

ان حركة التحرر الوطني كدست انتصارات ضخمة • فقد سحقت حركات التحرر الوطني في المستعمرات والبلدان شبه المستعمرة ، الامبراطورية الكولونية ، ونهضت على انقاضها دول فتية •

تبحث القوى التقدمية في تلك المناطق من العالم وبنجاح لاكتشاف اتجاهات جديدة للتطور •

اكتسبت الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية مواقع قوة جديدة وبالتالي فان الأقلية (او ليحارشية) الاقتصاد المالي مجبرة على القيام بتنازلات ملموسة من اجل التهدئة ، وذلك عن طريق منح الشغيلة حقوقاً اقتصادية وسياسية محددة في اطار النظام الرأسمالي • ولكن الظروف تتغير ، ويزداد فيها مستوى مطالب الطبقة العاملة •

تستمر الحركة الشيوعية العالمية في النمو • ويحتل اعضاءها موقع الطليعة الثورية للبشرية ، وتدل المجتمع على طريق الخروج من الحلقة المفرغة لتناقضات وتناحرات النظام الرأسمالي ؛ ونتيجة هذا كله طرأ تغيير اساسي على الترابط بين قوى الطبقة العاملة العالمية ، والبورجوازية العالمية، قوى الاشتراكية والرأسمالية •

ان الجدال بأن كل شيء مازال على حاله كما كان ، في عملية النضال الثوري ، على الرغم من كل هذه التغيرات النوعية ، والجدال حول : معالجة اساليب التحول الثوري نحو الاشتراكية ، واشكال هذه الثورة ، يجب أن تكون كما كانت عليه في عام ١٩١٧ ، انما يعني الانكار التام للحقيقة التاريخية .

ان الاشتراكية باعتبارها القوة الحاسمة في عصرنا الراهن ، تستطيع التأثير الى درجة كبيرة حتى في اسلوب الانتاج الرأسمالي . عندما درس كارل ماركس قوانين العملية الرأسمالية ، استفاد من كون الرأسمالية هي سمة عصره وكانت تبدو آنئذ رأسمالية محضة (بمعنى لا وجود للنظام الاشتراكي ـ المترجم) .

لقد اوضح ماركس أن الرأسمالية في ذلك الوقت كانت الوريث الخليط من التشكيلات الاجتماعية التي خلفها التاريخ ، وأخفت ميكانيزم الانتاج الرأسمالي .

من العسير علينا اليوم أن نجد تبريراً لما يمكن تسميته الرأسمالية « المحضة » . ان التأثير الذي تمارسه الاشتراكية على الرأسمالية بوصفها مرحلة اكثر تقدما من الرأسمالية لايمكن وصفه بأنه مؤثر خارجي محض . لأن الاشتراكية تصبح عاملا داخلياً مؤثراً وهاماً . من المستحيل علينا أن نستوعب طبيعة تنظيم دولة الاحتكارات الرأسمالية للمجتمع ، بدون أن نتذكر تأثير الاشتراكية على النظام الرأسمالي ، سواء كان ذلك في علاقة الرأسمالية بالثورة العلمية والتكنولوجية ، او في الاجراءآت الاجتماعية الوقائية التي تقوم بها الاحتكارات . ان ماتبذله الرأسمالية من جهود من

اجل أن تتكيف مع الحقائق المتغيرة ، ماهو الا نتيجة وليس عنصراً لعملية التطور العام في العالم ،ومحتواها هوالتحول من الرأسمالية الى الاشتراكية•

بفضل ادراك الافكار اللينينية ، نجد أنالوجهالاجتماعي لكوكبنا ،قد تغير الى ماهو أبعد من الاعتراف بالواقع ، مقارنا بما كان عليه منـذ نصف قرن مضى • لذلك فان نقل المفاهيم الملازمة لعملية الثورة العالمية في مراحلها المبكرة وبصورة ميكانيكية ، يؤدي الى فقـدان الاتجاه في ادراك الظـواهر والعمليات الجديدة ؛ تلك التي تتطلب اكثر من أي شيء آخـر الاستيعاب النظري • ان الامانة اللينينية تتطلب فهم وتفسير تلك الظواهر وفقاً للقواعد اللينينية ، ولا تكون الامانـة للينينية بالتنكر لهـذه التغييرات • ان عمـق وديناميكية التغيـرات الثورية ، تدفع وبشكـل اكثر حدة اهمية التطبيـق الخلاق والتطوير لمبدأ الماركسية اللينينية •

تعاظم القـوى الثورية :

اكتسبت العملية الثورية عدداً من المـلامح الجديدة • فقد امتـدت حدودها الجغرافية ، وتوسعت قاعدتها الطبقية • حيث أن اعداداً متزايدة من الناس ، عدا عن البروليتاريا قد استيقظت وتحركت نحو العمل بمبادرة الطبقة العاملة وما تعلمته من دروس كثيرة من الاشتراكية الحقيقية التـي مضى عليها نصف قـرن ونيف • كما ونمت الطاقات الثورية في أوساط المزارعين في دائرة البلدان التي كانت مستعمرة سابقاً • واصبح الفلاحون القاعدة الجماهيرية لحركة التحرر الوطني •

ان تحالف العمال والفلاحين الذي أمتحن وجرب ، اخذ اليوم ابعاداً عالمية جديـدة • اشار الرفيق ليونيـد بريجنيف السكرتير العـام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في [redacted] حزاب الشيوعية والعمالية

الذي عقد في عام ١٩٦٩ بقوله « في الظروف الراهنة ، ان مسألة العلاقات بين الطبقة العاملة والفلاحين في البلدان التي كانت مستعمرة ، هي مسألة عالمية بالدرجة الأولى » • « انها قضية توطيـــد التحالف بين الطبقة العاملة عالميـا بمجموعها والفلاحين ، مع كافة الشغيلة في البلدان المتحررة » [١] •

لقد انتشرت الخميرة الثورية في هذا العصر لتشمل المهنين المهرة ، أصحاب الاعمال الصغيرة ، عناصر الانتلجنسيا ، والقوات المسلحة • برهنت العناصر الاساسية من البورجوازية الصغيرة في عدد من البلدان ، في نطاق حركة التحرر الوطني ، على أنها قادرة للاتحاد في احزاب ثورية ديمقراطية ، وذلك بمساعدة الفلاحين وغيرهم من الفئات التي سبق ذكرها ، واحتلت دورها القيادي في النضال الشعبي من اجل تعميق التحولات الاجتماعية •

اكثر من ذلك ، فان القوى التي استخدمتها الرجعية سابقاً اداة لاضطهاد الطبقة العاملة ، والمعروفة سابقا بأنها قوى محافظة ، تنجذب في كثير من الاحيان لمساندة الاعمال والمواقف الثورية • ان مثال بيرو قد قلب رأسا على عقب ، الافكار المتعارف عليها حول دور الجيش في أميركا اللاتينية • ان الحكومة العسكرية في بيرو هي التي أممت صناعة البترول ، والتي صادرت ممتلكات وحصص الشركات الأميركية ، ووضعت موضع التطبيق ، برنامج الاصلاح الزراعي ، والاجراءات ضد الاقطاعية والامبريالية •

يتعاظم عدد وتركيب القوى المناهضة للرأسمالية ، وهذا مايجب ملاحظته ، في القلاع الرئيسية للرأسمالية • لقد اكتسب التحالف التقليدي

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية – موسكو ١٩٦٩ ص ١٥٤)

للطبقة العاملة والفلاحين حلفاء جدد ، العاملين الفنيين،مستخدمي المكاتب ، وعناصر من الانتلجينسيا ـ خاصة اولئك الذين يعملون في حقل التعليم والصحة العامة • تزداد القوة العددية والنفوذ لهذه الفئات العاملة بصورة سريعة وذلك نتيجة انفتاح الثورة العلمية والتكنولوجية •

يتعاظم دور الشباب ، وخاصة الطلبة ، في عملية النضال ضد الامبريالية • وتجدر ملاحظة العواطف المضادة للامبريالية في القوات المسلحة ، بما في ذلك فئة الضباط • ان آراء الانتلجينسيا التقدمية قد شقت طريقها في اوساط الهيئة العاملة ، تدعوهم الى محاسبة النزعة العسكرية الامبريالية وفي نفس الوقت الى تفهم الأفكار الاشتراكية • ماهو ملاحظ بشكل اكثر ، ايضا ، هو أزمة الكنيسة ، التي تجهر بتعاظم فقدان الايمان وتضاؤل تأثيرها الجماهيري وفقدان سلطتها في توجيه اعضائها •

شهد العقد الماضي ، تحولا بارزا عند الجماهير في البلدان الرأسمالية نحو اليسار ، الى جانب حركة احتجاج متعاظمة ضد حكم الاحتكارات الرأسمالية الكلي ، وضد السياسة الخارجية للامبريالية • ان مختلف الطبقات والفئات وهي تشق طريقها الخاص ، تدرك في النهاية ضرورة النضال ضد رأس المال الاحتكاري • وفي الغالب فان هذه الطبقات والفئات لايوجد عندها مفهوم شامل ، وتفتقر الى برنامج سياسي واضح المعالم ولا يجمعها تنظيم ملائم • وفي بعض الاحيان نجدهم مبعثرين بدون تبلور ويتصرفون بشكل عفوي أعمى • كما أن بعض الفئات من «اليسار الجديد»، تصبح مخدوعة بالدعاية ضد الشيوعية نتيجة خبرتها السياسية المحدودة ، انهم لايدركون أن مجرد وجودهم أنفسهم يدينون به للعالم الاشتراكي الذي لجم بقوة حرية الامبريالية في ممارسة اعمالها القمعية •

ومع ذلك فان التناقضات ، في المجرى العام للنضال الديمقراطي في البلدان الرأسمالية ، قد عمقت بدون وعي ، اتجاها تاريخيا قويا لتوسيع القاعدة لحركة الثورة العالمية ، وهذا الاتجاه الى جانب تسريعة للثورة الاجتماعية في عصرنا الراهن ، يساهم في تعقيد مجرى هذه الثورة ، بالاضافة الى تعقيد العلاقات بين قواها غير المتجانسة والتي انجرت في مجرى الثورة • ومع توسع الجبهة الثوريه ظهرت طرق واشكال جديدةلتطورها•

ان بناء مجتمع جديد في البلدان الشيوعية ، ونضال الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة من أجل تحقيق تغييرات جذرية ، وكذلك حركة التحرر الوطني ، التي تجهد في البحث عن أشكال تقدمية للتطور ، بالاضافة الى المجابهة بين النظامين الاجتماعيين (الاشتراكي والرأسمالي) كل ذلك يشكل عناصر لعملية واحدة هي الثورة العالمية ، تلك التي سوف تقود الى تأسيس نظام شيوعي للمجتمع ، وحضارة جديرة بمتطلبات العصر •

يصاحب الطابع العالمي للعملية الثورية تزايد في التمايز•وهناكالعديد من الاحتمالات التي يمكن أن تواجهها حركة التحرر العالمي ، لا لأنها تتم في ظروف مختلفة بل وايضا ، لأنها تقف عند مراحل متفاوتة بالنسبة للخط الثوري المشترك لحركة التطور • هناك فوارق محددة ، وبالتاليعلينا أن نتوقع نتائج متعددة •

تتطلب النظرة الشاملة لعملية الثورة العالمية ، بدون غض النظر عن تلك الفوارق ، تتطلب ادراكاً للسياسة ، وبالدرجة الأولى رؤيا للتاريخ في مراحله المختلفة والنسبية • ان الثورة ، الاجتماعية في القرن العشرين قضية معقدة ، وعملية ديناميكية تاريخية غنية بكل ماهو جديد وبالمنعطفات المفاجئة •

التناقضات في العملية الثورية العالمية :

الثورة الاشتراكية للبروليتاريا لاتسير وفق خط مستقيم ، بل عبر تعرجات ، وذلك لأن المنعطفات الحادة وكذلك التراجعات من الامور الحتمية. كتب لينين بهذا الصدد : « ... ان اعتبار التاريخ العالمي يسير بهدوء ، ويتجه دائما الى الامام ، مثل هذه النظرة خاطئة دايلكتيكيا ـ وعلميا من الناحية النظرية ، علينا أن ندرك أن الاحتمال قائم لوثبات متراجعة ضخمة في بعض الاحيان» . [1] ان ديالكتيك التاريخ العالمي اوضح عن نفسه بقوة خاصة عندما حققت البروليتاريا الثورة الاجتماعية . أشار لينين حول تلك المسألة ... « ان الثوري الذي لا « يوافق » على الثورة البروليتارية ألا بشروط منها : أن تتقدم الثورة بسهولة وهدوء ، ولا بد من مشاركة فعلية من جانب كل البروليتاريا من كل البلدان ومنذ البداية، وأن تتوفر الضمانات ضد الهزائم ، والثوري الذي يرى أن الطريق معبدة وعريضة ، خالية ومستقيمة ، وانه من غير الضروري أثناء المسيرة نحو النصر أن تتعرض الثورة لأفدح الخسائر ، وأن يتحمل المرء الحصار في خندقه لفترة ما ؛ أو أن يضيق المرء طريق مسيرته الطويلة، ويجعل منها طريقاً لايمكن اجتيازه، طريقاً متعرجاً ، مليئا بالممرات الوعرة الخطرة ، مثل هذ االطراز الثوري ليس ثوريا ، لأنه لم يحرر نفسه من أوهام المثقفين البورجوازيين [2] .

كان لينين يهزأ من الافكار النظرية التجريدية غير العملية حول

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٢ ص ٣١٠ .

(٢) نفس المرجع .

الثورة البروليتارية المحضة ، والافكار التي ترى أن هذه الثورة لاتشمل الا طبقتين فقط ـ البروليتاريا من جانب والبورجوازية من الجانب الآخر ـ وقد اصطفت كل منهما لمجابهة الاخرى • تترعرع الثورة الاشتراكية العالمية في بيئة غير متجانسة ، في عالم واقعي مليء بالفوارق العميقة ، التي تتضاعف بحكم تطور الرأسمالية غير السوي والمتفاوت •

تنشأ الرأسمالية وتنضج تاريخياً في مجموعة صغيرة من البلدان بشكل نسبي ، ومع ذلك ،فلا توجد تشكيلة اجتماعية ـ اقتصادية ـ سواها، تمتلك الدوافع والامكانيات من اجل التوسع الخارجي • تجر الرأسمالية الى فلكها كل اجزاء العالم • ومن هنا تبرز السلسلة المعقدة من سياسة الحاق واستغلال البلدان المتخلفة من جانب البلدان الرأسمالية •ويصبح الاستعمار سمة اساسية من سمات النظام الرأسمالي العالمي •

تلك هي الحقيقة التي تتطلب اتخاذ نظرة شاملة عند بحث مسألة المهدات الضرورية للثورة الاشتراكية • فالبلدان الرأسمالية الأكثر تطوراً وقوة ، والأكثر نضوجاً للثورة هي نفسها التي يوجد فيها وضع يسمح لها أن تمتص جانباً من تناقضاتها الاجتماعية الداخلية • والعكس صحيح حيث يتشكل في البلدان الرأسمالية الأقل تطوراً عقدة التناقضات المتفجرة • ان حدة التناقضات في اي بلد لاتعتمد مباشرة على مستوى تطور الرأسمالية فيها ؛ ذلك لأن احتمالات نضوج الثورة الاشتراكية يتقرر وفقا لقوانين تطور النظام الرأسمالي بمجموعه • تنضج الثورة الاشتراكية وتظهر للعيان بشكل متفاوت ، لتحطم سلسلة الرأسمالية في اضعف حلقاتها اولا ، ويكون موقع هذه الثورة في المراحل الأولى للثورة العالمية ينطبق على تلك البلدان الأكثر تطوراً ، وبالتالي اكثرها مناعة من اعضاء النظام الرأسمالي وهذا ما اظهرته الممارسة العملية • كتب لينين في هذا الصدد

« نحن نقول ، انه من الاسهل أن تبدأ الحركة في البلدان التي لاتستغل اقطارا أخرى ، فالأخيرة لديها كل الفرص المهيأة للنهب السهل ، وعندها القدرة لرشوة الفئات العليا من العمال » • [1] وفي البداية انتصرت الثورة الاشتراكية في روسيا ، حيث وصل فيها التطور الرأسمالي الى مستوى متوسط •

اشار لينين الى تناقض هام في تطور الثورة الاشتراكية العالمية وذلك عند تحليله للعملية الثورية غير المتوازية بقوله : « كل من فكر بعناية في الممهدات الاقتصادية للثورة في اوروبا ، لابد أن يكون واضحا لديه أن مسألة البدء في الحركة (في اوروبا) تواجه صعوبات بدرجة لاتقاس ، في حين أنه من الاسهل أن نبدأ نحن بنجاح بدرجة لاتقاس ايضاً ؛ ولكن من الصعوبة بمكان أن نتمكن من الاستمرار في الثورة بالقدر الذي يستطيعونه في أوروبا »• [2] من الصعب أن تبدأ الثورة في مركز النظام الرأسمالي الذي نضجت فيه الممهدات للثورة الاشتراكية الى أعلى درجة ، لأن الرأسمالية في هذا المركز تكون محصنة بقوة وحزم • كانت الظروف في روسيا اكثر ملائمة للبدء بالثورة ، وذلك لأن التناقضات كانت حادة ؛ ولأن الطبقة العاملة كانت تملك القدرة الكفاحية الثورية العالية وغير العادية ، وايضاً لأن البروليتاريا كانت مدعومة من حركة جماهير الفلاحين • ولكن الثورة الاشتراكية في روسيا واجهت مهام اقتصادية على درجة هائلة من الصعوبة تطلبت اعظم التضحيات من الطبقة العاملة وحزبها وبذل جهود جبارة لبناء الاشتراكية •

---

(١) لينين ـ المؤلفات ـ المجلد ٢٦ ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ •
(٢) نفس المصدر المجلد ٢٧ ص ٩٣ •

ان هذا التناقض في عملية الثورة الاشتراكية العالمية يوضح مدى الصعوبات الكبيرة التي تواجهها الطبقة العاملة العالمية وغيرها من القوى الثورية ، التي عليها أن تصارعها في عصرنا الراهن •

ان مجرى الثورة الاشتراكية العالمية معقد ، بواقع ان انتشار لهيبها يتم وسط ظروف مربكة فكرية ـ ثقافية ـ سياسية ـ واجتماعية ـ اقتصادية، على درجة عالية من التنوع ؛ يمكن أن نصف مايجري على النطاق العالمي بأنه تأليف من اتجاهات ثورية تختلف من حيث طابعها • ان ثورة البروليتاريا الاشتراكية لاتتكون من ثورات اشتراكية صرفة فقط ، بل يشكل ثورة البروليتاريا الاشتراكية العديد ، من حركات التحرر الوطني والحركات الديمقراطية ، التي لاتنهج نحو الاهداف الاشتراكية بشكل مباشر • بوجه عام ، هذه الحركات تتطور في ظروف الأزمة العامة للنظام الرأسمالي ، لذلك فهي موضوعياً تخدم عملية نسف القواعد الاساسية للرأسمالية العالمية • ان سيطرة الطبقة العاملة العالمية في عملية الثورة العالمية، تؤثر على طابع هذه الحركات وتطلعاتها ، لتشكل جزء من الجبهة المشتركة للقوى المناهضة للامريالية • هذا من جانب اما من الجانب الآخر، فان أطراف هذه الحركات تتشكل من أشباه البروليتاريا ، من عناصر الفلاحين والبورجوازية الصغيرة • تحمل هذه الكتلة غير البروليتارية الى الثورة ـ كما قال لينين ـ « كل احكامها المسبقة » [1] تذبذبها وعدم ثباتها ، فقدان الصبر وعدم التصميم ، والميل نحو الأعمال المغامرة والاتجاهات القومية •

ان فقدان المثابرة في السلوك السياسي عند حركات اشباه البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة ، يؤدي الى خلق التناقضات في تطور الثورة

---

(١) لينين المؤلفات ـ المجلد ٢٢ ص ٣٥٥ •

الاشتراكية العالمية • وهذه التناقضات كما رآها لينين ،يمكن أن تتحول في المستقبل الى تصادم حاد لدرجة تصبح معها « الثورات المضادة للدولة الاشتراكية ـ وكذلك الحروب »[1] من الأمور الممكنة • ان الشرط الرئيسي للتغلب على هذه التناقضات يكمن في ضمان سيطرة الطبقة العاملة في العملية الثورية ، وضمان قيادة البروليتاريا لها • ولكن لكي تتحقق قيادة البروليتاريا للعملية الثورية بصورة فعالة ، لابد أن يكون الشعب بمجموعة قد كدس تجربته السياسية • وعندما تكون التجربة السياسية غير كافية بالاضافة الى كون البروليتاريا قليلة العدد وضعيفة ،فان هذه التناقضات تنفجر الى العلن وتعرقل المسيرة الثورية وفي بعض الاحيان يمكن أن تشوه المكاسب التي سبق وتحققت وتلحق بها الاخطار •

المشاكل في نطاق حركات التحرر الوطني :

ان التناقضات بين قوى الثورة العالمية تبرز نفسها بصورة حادة في المناطق المستعمرة سابقاً والمتخلفة في العالم الرأسمالي ، تلك المناطق التي تتميز بالتخلف النسبي لبنية تطورها الاقتصادي والاجتماعي •

هذه الأقاليم الشاسعة من تلك المناطق ، يسكنها ثلثا سكان العالم ، وتساهم بما هو أكثر بقليل من عشر (١/١٠) الانتاج الصناعي في العالم ،كما تتضاءل حصتها في التجارة العالمية • الى جانب أن غالبية السكان فيها يعانون من الحرمان والحاجة الضرورية • ومازال الجوع مشكلة في عدد من هذه الاقاليم • وتتسع الفجوة بين العالم الثالث وقوى الرأسمالية

---

(١) المؤلفات المجلد ٢٢ ص ٣٥٢ •

القائدة من عام لآخر • دخلت الدول الرأسمالية المتطورة مرحلة تحقيق مكثف لفوائد الثورة العلمية والتكنولوجية الأمر الذي سارع في نموها، هذا في حين أن البلدان التي استقلت حديثاً مازالت تحبو عبر المراحل البدائية للتصنيع • والذي يعرقل تطورها هو النزعة السكونية لبنائها الاقتصادي ، بالاضافة الى التشكيلات الاقتصادية ـ الاجتماعية ؛ المتمثلة في التأثير المتماسك للاقطاع وشبه الاقطاع ، والتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية الاكثر بطريركية والمندثرة • وفي غالبية البلدان لم يتم فيها التصنيف الطبقي بعد ، حيث نجد عددا كبيرا من السكان في موقع متوسط ، ولكن لم يتحدد تصنيفهم الطبقي، تؤثر الولاءات القبلية والعشائرية بصورة قوية ، كما تعيق نمو الوعي الثوري وتنظيم الشغيلة وغيرهم من الطبقات • يضاف الى ذلك، النمو السريع في عدد السكان الذي يبتلع ماحققته تلك البلدان من نجاح في الاطار الاقتصادي •

تعمد السياسة الامبريالية الى مضاعفة هذه الصعوبات ، وتجد دعماً من الرجعية المحلية ، وتبذل القوى الأمبريالية كل ما لديها من جهد لمنع الدول الفتية من تحقيق استقلالها الاقتصادي • كما تتدخل الامبريالية بصفاقة في الشؤون الداخلية لهذه البلدان وتدبر الثورات المضادة لتحتفظ بهذه البلدان في دائرة نفوذها وجرها الى نظامها الاستعماري الجديد •

يحد من أفق وسير الدول الفتية نحو تحقيق الاصلاحات الملحة ، واقعها الاقتصادي والثقافي المتخلف ، بالاضافة الى عدم نضوج الطبقات والفئات الاجتماعية المعنية بالثورة بصورة محددة ، وبالدرجة الأولى الطبقة العاملة، التي من شأنها أن تصبح عنصرا جذريا واقعيا وثابتا في مجرى الثورة ونتيجة ذلك ، على الرغم من الاحتمالات الملائمة التي تفتحت امام هذه

الدول ، فان افتقارها الى الثبات السياسي يزجها في صراعات داخلية تؤثر في اختيار سبيل التطور •

ان طريق التطور اللارأسمالي التي أشارت الى امكانياتها وثائق حركة الشيوعية العالمية ، ليست تطورا عفويا ، ولكنها اتجاه تاريخي يكتسب قوته بالتضامن مع النظام الاشتراكي • وفي ظروف التخلف الاقتصادي والاجتماعي ينتج عنها اتجاهات موازية قوية • وكثيراً ماتضيع الاحتمالات الواقعية (بصورة مؤقتة على الأقل) بسبب ضعف المهدات الذاتية للثورة •

بعد انجاز الاستقلال السياسي ، اتخذت القاعدة الاجتماعية لثورة التحرر الوطني سبلا مختلفة • فالقوى التقدمية ناضلت نحو الاتجاه الاشتراكي ، في حين أن القوى المحافظة والرجعية سلكت سبيل ابقاء بلدانها متخلفة بهدف اعادة هذه البلدان الى حظيرة الرأسمالية • تنقلب الموازين تارة لهذا الجانب وتارة أخرى للجانب الثاني • حققت القوى التقدمية في بعض البلدان مكاسب هامة ، وفي بلدان اخرى تسود القوى المحافظة ، وبعض الاحيان الرجعية اليمينية • حتى عندما تسير عملية التطور باتجاه تقدمي ، فان ذلك يتم بعيداً عن الخط المستقيم ، لأن النجاحات في بعض الاحيان تتناوب مع التراجعات •

ان المعوقات لعملية التطور الثوري ، دون الحاجة للحديث عن الانقلابات العسكرية ، ليست من الأمور المستحيلة في تلك المناطق • هذا يعتمد الى حد كبير على القوى الثورية نفسها ، وعلى قدرتها للقيام باعمال مخططة حازمة ومدروسة جيدا • مع ذلك فان طبيعة البورجوازية الصغيرة،

المشاركة في النضال الثوري تخلق حالة من الضعف ، التي تستثمرها الأمبريالية لاغراض تخريبية ، يتضح ذلك من تجربة البلدان التي تمت فيها انقلابات عسكرية ، وانتهت الى قيام أنظمة معادية للديمقراطية .

مما سبق ، يجب أن لانفهم أن التطور اللارأسمالي احتمال نظري فقط . فهو احتمال واقعي.وان مجرد ظهوره بحد ذاته يؤثر تأثيرا هائلاعلى تطور ثورات التحرر الوطني ، ويشق امامها أفق التوجه الاشتراكي ، ويقربها اكثر الى الطبقة العاملة العالمية ، وهي القوة الثورية القائدة في عصرنا ويرغم الامبريالية على تنازلات هامة لحركة التحرر الوطني .

ولكن هذه الامكانية تتطلب عملية تكاتف ونضال قوى من اتجاهات مختلفة ، وهذه عملية معقدة اكثر كثيراً مما كان يعتقد من قبل . وقد لاحظ اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ « ان الاتجاه الاشتراكي يشق طريقه الى المقدمة في هذه البلدان عبر صعوبات ومحاولات كبيرة .

تؤثر التناقضات في العملية الثورية على نطاق حركة التحرر الوطني في الحركة الشيوعية ايضاً . حيث تعمل في تلك المناطق في بيئة اجتماعية ، يمكن القول فيها على وجه التحديد ، أنها لاتلائم جوهرها الاجتماعي . فالطبقة العاملة قليلة العدد في تلك المناطق . والعمال المأجورون في غالبية البلدان التي تحررت حديثاً ، لاتزيد نسبتهم عن ٥٠٪ بالنسبة للسكان الكسبة المستخدمين ،وفي كثير من بلدان تلك المناطق ،توازي نسبتهم ٢٠٪. الأمر الذي يميز هذه البلدان عن البلدان الرأسمالية المتطورة ، هو أن نسبة الطبقة العاملة بين العمال المأجورين قليلة . وهي لم تنفصل نهائيا بعد، عن الغالبية من الفلاحين واشباه البروليتاريا . كثير من العمال مازالوا يحتفظون

بروابط مع القرية ، وبالتالي تبقى مواقفهم ونظرتهم فلاحية ، مع أوهام عشائرية • كما أن غالبيتهم يعملون في مشاريع صغيرة •

مع ذلك ورغم كل هذه الظروف ، هناك حقيقة هي أن الحركة الشيوعية قد أصبحت في هذه البلدان قوة سياسية هامة لها مايبرر وجودها• وفي الوقت نفسه فان البنية الاجتماعية للعالم الثالث تؤثر بدرجات متفاوتة على تركيب ونشاط الاحزاب الشيوعية • في حين ان الزيادة في القوة العددية لكل الاحزاب الشيوعية في العالم تضاعفت مرتين ونصف بعد الحرب، حيث نجد هذه النسبة في آسيا مثلا قد بلغت ١٥ ضعفاً • ونظراً للضعف العددي للطبقة العاملة ـ حيث الطبقة العاملة في أماكن أخرى القاعدة الرئيسية للاحزاب الشيوعية ـ علينا أن نعترف بأن المصدر الرئيسي لنمو الاحزاب الشيوعية في المستعمرات السابقة يتكون من جماهير البورجوازية الصغيرة ، واوساط الفلاحين • وهذا يدل على ظاهرة ايجابية تعكس مكانة واحترام الشيوعيين بين كل فئات الشغيلة من السكان ، هذا من جانب، واما من الجانب الآخر فان هذه التغييرات في تركيب الاحزاب الشيوعية مشحونة بخطر كامن •

تولد عناصر البورجوازية الصغيرة داخل الاحزاب الشيوعية ، آراء، ومشاعر التطرف الثوري والتوجهات القومية • وتدل التجربة أن الحد من نفوذ البورجوازية الصغيرة داخل الاحزاب الشيوعية ، يكمن في انتهاج سياسة بروليتارية ثابتة ، وكذلك بالعمل الايديولوجي التربوي في اوساط السكان • الا أن المثابرة على سياسة بروليتارية وايديولوجية محددة ، تصبح صعبة بسبب الضعف النسبي لمواقع الطبقة العاملة بصورة مؤكدة •

كان لينين مدركاً لهذه التناقضات والصعوبات الناجمة عنها • ومن هنا كانت انطباعاته عن سياسة الاحزاب البروليتارية في المستعمرات وأشباه المستعمرات ، يقول لينين : « عند الحاجة ، يمكن أن يبرز ذلك من عندهم انفسهم » [1] ان المهمة تكمن في « ترجمة المبدأ الشيوعي الحقيقي الذي كان يعني البلدان الأكثر تقدما الى لغة يفهمها كل الناس » [2] وأن يتم الجمع بين « عناصر الاحزاب البروليتارية المستقبلة ، التي سوف تصبح شيوعية فعلا لا بالاسم فقط » •[3] « لكي يتلائم ••• الحزب الشيوعي (أما عضوية الحزب فهي من المهام الخاصة) •• مع مستوى جماهير الفلاحين في الشرق المستعمر » •[4]

عندما لا يقاوم نفوذ البورجوازية الصغيرة بصورة ملائمة ، فان التناقضات سوف تخترق عميقاً كيان الحزب • وبعد ذلك ينشأ خطر حقيقي في أن يخضع الحزب لضغوط البيئة الاجتماعية غير البروليتارية ، الأمر الذي يدفع الحزب بعيدا عن مواقعه البروليتارية،وتبقى حزبا شيوعيا بالاسم فقط • وعندما نمعن النظر في مثل هذا الوضع نجد أن الغلاف الشيوعي لمثل هذه الاحزاب يخفي سياسة ،وايديولوجية البورجوازية الصغيرة،وأنه حزب الفلاحين ، وسياسته وايديولوجيته لاتمت بصلة للبروليتاريا • يمكن ملاحظة مثل هذا الاتجاه من وقت لآخر ، وبدرجات متفاوتة من الحدية ، في أحزاب شيوعية واشتراكية مختلفة في بلدان العالم الثالث • وتبدو هذه الظاهرة بوضوح شديد في التشويشات العنيفة في الحزب الشيوعي الصيني•

---

(١) المؤلفات • المجلد ٣١ ص ٢٤١ •
(٢) نفس المرجع مجلد ٣٠ ص ١٠٢
(٣) نفس المرجع مجلد ٣١ ص ١٥١ •
(٤) نفس المرجع مجلد ٤٢ ص ٢٠٢ •

ان الذي نصل اليه هو بروز اتجاه ، وهذا الاتجاه يكون الاضعف ، كلما اشتدت المقاومة التي تجابهه به قوى البروليتاريا التي تتمسك بمواقع الماركسية اللينينية • تظهر الحقائق أن مثل هذا الاتجاه الذي سلكته طوعا القيادة الصينية الحالية يجابه مقومة في داخل الحزب •

مشاكل المناطق الاخرى :

من الواجب أن نلاحظ التناقضات في تطور العملية الثورية في قلب النظام الرأسمالي •

أشار لينين الى أن حركة الطبقة العاملة،تجتازعدة مراحل من التطور والانتقال من مرحلة الى التي تليها ، ويتهيأ خلالها « تغييرات عميقة •••• في ظروف الحياة وفي مجمل عقلية الطبقة العاملة » ، وكذلك أيضاً ، يتم ايقاظ « فئات أوسع متزايدة من الطبقة العاملة ••• من أجل النضال النشيط والأكثر وعياً » [1] •

ان التغيرات السريعة نسبياً والمقارنة ، في تركيب وظروف الحياة والعقلية للطبقة العاملة ، في البلدان الرأسمالية ، كل ذلك يهيء انتقال حركة الطبقة العاملة الى مرحلة اعلى من التطور • الا أن مثل هذه التحولات لا تتحقق « فوراً » كما أشار لينين « بدون تأرجحات ، بدون صراع بين مختلف التيارات ••• وبدون انتكاسات نحو الأفكار البالية التي

---

(١) لينين المؤلفات المجلد «٨» ص ٢١١ •
(٢) لينين المؤلفات المجلد «٨» ص ٢١١ •

استنفذت عمرها وتم دفنهـــا منذ وقت طويل » [1] • ان عصرنا الراهـن يمكن أن يساعد على توضيح ذلك •

ان نمو العالم الاشتراكي ، وتطورات تاريخية أخرى ، بالاضافة الى النضال العنيـــد للطبقة العاملة في البلـــدان الرأسـمالية نفسهـــا ؛ كل ذلك قد ارغم الاحتكار الرأسمالي ، أن يقوم بتنازلات للشغيلة • ونتيجة ذلك وجنباً الى جنب مع النمو في : حجـم الأنتاج ، والبضائع المتنوعة ، والأجور الحقيقية ، ارتفع مستوى الاستهلاك الجماهيري بقدر ملموس •

بعد أن وجد احتكار رأس المال نفسه مرغماً على التسليم لتحسـين ظروف الشغيلة الاقتصادية ،لجأ الى تحويل ما خسره الى منافع جديدة له، وذلك بمحاولته التوجيه السيء للنشاط الاجتماعي للشغيلة نحو الاستهلاك، بهـــدف تقييدهم بالنظام الرأسمالي عـن طريق الالتصاق بنمط الحيـــاة الاستهـــلاكية •

من المؤكد أن ، « مجتمع الرأسمالية الاستهلاكي » لم ، ولن يكون قادرا على حل التناقضات الاساسية للمجتمع الرأسمالي ، لأنه لم يبلغ، ولن يكون قادراً على الغـــاء استغلال الشغيلة ، وأكثـــر من ذلك لقد ساعـد على ظهور مشاكل جديدة للرأسمالية لا يمكن حلها ، وهذه سنعالجهـا فيما بعد • على كل حال ، ان استراتيجية «مجتمع الرأسمالية الاستهلاكي» قد فرض مشاكل جديدة على الطبقة العاملة أيضاً ، بانتشار أفكار ومشاعر الاستهلاك بين بعض الشغيلة • انها ظاهرة عابرة مآلهـا الى الزوال •عندما ترتفع حركة الطبقة العاملة الى مستوى أعلى ، وعندما تبقى أقسام منهـــا متعلقة بالمراحل الماضية بحكم قوة الاستمرار ، وعاجزة عن ادراك المهـــام

الجديدة التي تفرضها الحياة ، في مثل هذا الوضع ، على الطبقة العاملة أن تدفع الثمن • الا أنه ، يمكن تجاوز هـذا التخلف ، عندما تستوعب كـل الطبقة العاملة ، ماحققته من نجاحات في مجرى النضال ؛ وعندما تظهـر المتطلبات والمطالب الجديدة بالتجربة العملية ـ لغالبيـة العمال ، أن القضية المركزية ، ـ وهي الغاء استغلال رأس المال للطبقة العاملة ـ لم يتم حلها • اولئك المتخلفـون ، وأسرى المحافظـة ، يقعون بسهولة فريسة لتأثـير ايديولوجية البورجوازية الصغيرة • فيما مضى كانت هذه هي ايديولوجية صغار الملاكين ، أما اليوم ، حتى في البلدان الرأسمالية المتطورة،فانها تصور أوهام المستهلك الصغير ، وهو مأخوذ بحب الكسب ، ولم يعد قادراً علـى الوصول الى الحقيقة ، من مواقع طبقية دقيقة • تلك التطلعات والمشاعـر ، تصبح تربة خصبة للاصلاحية ، والاتجاهات التحريفية اليمينية في حركـة الطبقة العاملة • فالخوف من فقدان المكاسب التي سبق وتم تحقيقها ، وبذل الجهد للتكيف مع الاوضاع السائدة ، هذا وذاك يولدان الهلع من الأشكال الحادة للصـراع الطبقي • من هنا يتـم الالتصاق بالتطور التدريجـي ، والأشكال المسالمة ، بدون تعريض نظام العلاقات القائم الى الخطر • وطبقـاً لهذه المشاعر ، هناك أفكار انعزالية تتولد من معارضة القيام **بأية تضحيات قومية من أجل المصالح الأممية للطبقة العاملة(١)** •

وهكذا نرى أن الجذور الاجتماعية للتحريفية اليمينية المعاصرة داخل حركة الطبقة العاملـة ، تختلف عن الجـذور الاجتماعية للتحريفية التي اعتادت الاعتماد على فئة « العمال الأرستقراطيين »•وهذا يخلق الامكانيات

---

(١) التشديد من المترجم •

للتغلب على الاتجاهات التحريفية اليمينية ؛ دون أن تقلل بأي حال من خطرها ، وضرورة النضال بدون مهادنة ضدهما •

يوجد أيضاً في حركة الطبقة العاملة العالمية اتجاهات يسارية • كثيراً ماتظهر هذه الاتجاهات في أوساط القطاعات العمالية ، التي أصبحت «فائضة عن الحاجة » ، بسبب التقدم التكنولوجي ، والصعوبات التي تواجهها لاكتساب الخبرة اللازمة ، بسبب تدني مستواهم العلمي والمهني ، وبالتالي يقعون أسرى اليأس ، فهم لا يأملون أن تتحسن أوضاعهم • وهذا مايؤدي في أحيان كثيرة الى ظهور مشاعر التمرد في بعض القطاعات ، وهنا تتلقفها الأفكار التحريفية اليسارية بالشكل الملائم ، تلك الأفكار التي تمجد العفوية ، (والعاجزة عن) فهم أهمية التحولات الديمقراطية والحاجة الى تجميع واسع للقوى المناهضة للاحتكارات •

ما سبق وأشرنا اليه حول أهمية مدى التوسع في تجميع القوى الثورية ، يولد بعض الظواهر السلبية • ذلك على الرغم من أهميته البالغة لحركة الطبقة العاملة المعاصرة ،حيث أن الانتلجنسيا التقدمية،لاتخلو من عوامل الضعف ، مثل سيادة الفردية ، الاتجاهات الفوضوية ، التردد، التأرجح،وعدم قدرتها على القيام بعمل مصمم حازم في اللحظات الحاسمة• عوامل الضعف في بعض الأحيان ، هي مصدر للانتهازية ، بشكليها اليميني واليساري • يمكن التغلب على النتائج السلبية الناجمة عن التوسع السريع في تجميع القوى الثورية ، بالنضال المثابر والصبور ، فكرياً وسياسيا للاحزاب الماركسية اللينينية ؛ والنضال الحازم ضد الانتهازية اليمينية واليسارية ، والسعي لايجاد ، طرح صحيح لظاهرة اجتماعية جديدة •

علينا أن نرى التناقضات في مجرى العمليه الثورية ، في عملية تطور النظام الأشتراكي العالمي ، وهذه التناقضات تبلغ أقصى مداها ، حيثما وجدت قاعدة اجتماعية واسعة للنزعات الفكرية والسياسية للبورجوازية الصغيرة ولم يتم احتواؤها بشكل فعال • واذا قدر لهذه النزعات أن تسود، ينشأ وضع يهدد بفقدان المكاسب التي تم احرازها ، وضياع الموقع الذي تم اكتسابه • يبرز في المجرى العام التقدمي للثورة الاشتراكية العالمية ، تيارات متراجعة ، الأمر الذي يخلق معه تغيرات في جبهة النضال المشتركة •وكما يظهر مثال الصين ، في خطها الملتوي وفي التراجعات ، (الذي) من شأنه أن يؤدي الى نتائج مأسوية للبلد ، ويدمر آفاق التقدم والنصر النهائي ؛ حيث أصبحت طريق البلاد شاقة بدرجة كبيرة ؛ ليس هذا وحسب ، بل حشو ادمغة الشعب بأفكار ملفقة حول الاشتراكية ، وسبل بنائها ، وهذا يتطلب كثيراً من الوقت للتغلب عليه •

لاتقتصر النزعات المرتدة الخطرة على البلدان المتخلفة ، اجتماعيا ، واقتصادياً عندما تشق طريقها نحو الاشتراكية • فمثل هذه البلدان التي لم تنضج فيها بعد ، الممهدات الأقتصادية ـ الاجتماعية ـ للاشتراكية ، وهي ليست محصنة أمام النزعة المعادية للاشتراكية ، لأن النزعات المعادية للاشتراكية تنتعش في المرحلة الانتقالية نحو الاشتراكية ؛ والمجابهة الحادة بين النظامين الاجتماعيين في الساحة العالمية ، تعكس آثارها على تطور البلدان الداخلي • تبذل الأمبريالية جهوداً مثابرة لغزو هذه البلدان فكريا وسياسيا ، وتعمد الى احياء النفس القومي في هذه الاقطار ، وتستثمر الذهنية الاستهلاكية ، وتضع الالغام للاشتراكية ؛ والهدف الاستراتيجي للامبريالية هو فصم الروابط بين هذه البلدان والنظام الاشتراكي ، وتمهيد

الطريق لاعادة الرأسمالية عن طريق الانقلاب الداخلي بدلا من الهجوم المباشر •

ان النزعات التي تولدها مشاركة فئات اجتماعية مختلفة ، في عملية النضال ،هذه النزعات ،هيمن الاسبابالاضافيةللتصادم فيالثورة الاجتماعية، كما أن مسيرة الثورة الى الامام لاتنفي الانحراف عن الاتجاه العام ، خاصة عندما تكون الممهدات اللازمة للاشتراكية ناضجة بصورة ضئيلة ، وعندما تواجه القوى الثورية ذات التوجه الاشتراكي ، مهمة اكتشاف الأشكال الانتقالية للتطور ، وهي مهمة فائقة الصعوبة من شأنها أن تخلق تلك الممهدات وفي نفس الوقت تضمن النجاح في الكفاح ضد التخلف الاقتصادي والثقافي •

التحول في ميزان القوى :

تعكس تناقضات العملية الثورية ، ديالكتيك المعارك الباسلة لعصر التحول فالعالم القديم لايستسلم بدون نضال • انه يتشبث بالتحيز والتحلف الاجتماعي ـ الاقتصادي ، ويستثمر عقلية الماضي المحافظة ، ويزرع ويستغل النزعات القومية ، والتحريفية في حركة التحرر الوطني • ان المصير المحتوم للنظام الرأسمالي لايعني بأي حال ، أنه يمكن تقرير نتائج النضال سلفاً لأي فترة معينة،أو في كل قطاع من جبهاتالثورةالعالمية• الحتمية التاريخية ، هي تلك التي تنشأ على الرغم ، أو من خلال الواقع اليومي بكل تناقضاته ، وتقلباته ، والصدامات الحادة ، وذلك من خلال الخسائر والانحرافات والتراجعات •

استنتج اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية في موسكو عام ١٩٦٩ ، انطلاقا من تحليل القوانين العامة للتطور في عصرنا ، واستعراض القوى في

العالم ، أن السمة الجوهرية للمرحلة الراهنة في العالم ، تعلن عن نفسها بتفوق قوى الاشتراكية على قوى الأمبريالية •

يعكس هذا الاستنتاج ، الاتجاه العام للتطور التاريخي ، وقد ولد مع الاحداث التي توالت • وعلى كل حال ، كان تعريف المجمل العام للاتجاه التاريخي للعالم عاماً جداً وفي حاجة الى تحديد • وتم ذلك في اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية في العالم عام ١٩٦٩ • تشير الوثيقة الرئيسية للاجتماع ، الى ديالكتيك تزايدالامكانيات ومايصاحبها من الأخطار فيعصرنا الراهن ، أن السير نحو الاشتراكية يتقدم عبر النضال • أما القوى الأمبريالية والرجعية فلا تخلد الى الكسل • لأنهم يتلقفون كل فرصة ، ويخلقون اوضاعاً خطرة ، ويجابهون القوى الثورية الساعية وراء ضرورة اكتشاف سبل ازالة الأخطار التي تبرز من جديد •

يوجد توتر دائم ، بين قوى النظامين العالميين ، اللذين شطرا العالم قسمين • واي أضعاف لأي منهما يبرز فوراً في (ديناميكية) العلاقات بين القوى • وهذه العلاقات ليست ثابتة الحجم •الا أن التغير في ميزانالقوى، يتأكد دوما لصالح قوى الاشتراكية ، يستمر ويزداد ولا يتوقف في مجرى النضال من يوم لآخر ، ذلك النضال الذي تشنه الطبقة العاملة العالمية ، وغيرها من القوى الثورية المرتبطة بها ضد الامبريالية والرجعية •

كما أشار فالديك روشية، الأمين العام للحزبالشيوعي الفرنسي،في اجتماع ١٩٦٩ « اذا كان من الخطأ تماماً ومدعاة للضرر أن نتصور الامبريالية المعاصرة بأنها كلية القدرة، وباستطاعتها أن تقرر قضايا السلام،

وحرية الشعوب وفقاً لتقديراتها ، فمن الخطأ أيضاً ، الاعتقاد بأن ميزان القوى قد أصبح نهائياً وبدون رجوع على نحو لم تعد تشكل معه الامبريالية تهديداً مستمراً للبشرية » (١) .

يتمثل في التطرف الأول وجهات النظر الاستسلامية للانتهازية اليمينية ، الذين يشككون في صحة الاستنتاج، حول التغيير الذي طرأ على علاقات القوى بأنه في صالح الاشتراكية . ومن هنا فانهم يجاهدون لاستبدال الثورة بالمصالحة الطبقية مع الأمبريالية . بينما يمثل التطرف الآخر ، المغامرة الفائقة الثورية ، التي تصور الامبريالية لا بوصفها عدواً خطيراً وجدياً ، ولكن على أنها « نمر من الورق » . ويبدو للوهلة الأولى ان العلاقات بين القوى ، عند الانتهازيين اليساريين ،هي قضية قد حلت نهائيا وبشكل حاسم. وهم غير معنيين ، سواء في ادراك الأمكانيات التي تتفتح امام القوى الثورية ، أو حشد القوى الثورية على ضوء المخاطر التي تخلقها السياسة الأمبريالية. بعبارة أخرى أنهم يعملون ايضاً ضد مسيرة الاشتراكية العالمية الى الأمام .

تعارض الماركسية اللينينية ، الاشكال الأنتهازية ، يسارية كانت أم يمينية ،باستراتيجيتها التي تهدف الى زيادة الضغط ضد الأمبريالية ،التي تحاول اختراق الجبهة الثورية،وتحاول العمل على تغيير الروابط بين القوى العالمية لصالحها . حجر الزاوية لهذه الاستراتيجية هو وحده ، وتضامن القوى الثورية . ولتحقيق تلك الوحدة وذلك التضامن، يصبح من الضروري أن تتضح الرؤيا حول مكان ونشاطات العملية الثورية العالمية ؛ وقواها الرئيسية ، الممثلة بالنظام الاشتراكي ، والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، وحركة التحرر الوطني .

---

(١) اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية ، موسكو ، ١٩٦٩ ص ، ١١٠ .

نظرية « القرية العالمية »

من الصور التي تشوه الروابط بين قوى الثورة العالمية ، تلك التي قام بتزيينها ايديولوجيو البورجوازية الصغيرة الثورية • وهي واحدة من تلك الصور المشوهة • يعزو هؤلاء المنظرون الدور الثوري القيادي للبورجوازية الصغيرة والفلاحين ، ويعارضون « القرية العالمية » ب « المدينة العالمية » ، حيث توجد المراكز الصناعية التي تتمركز في أطرافها الطبقة العاملة، الاكثر قوة والمنظمة سياسياً • أن جوهر هذه النظرة ، قد تم صياغتها من قبل أحد القادة الصينيين السابقين لين بياو « ان القرية ، والقرية وحدها هي الحقل الواسع غير المحدود للأعمال الثورية ، القريـة ، والقرية وحـدها تشكل القاعدة الثورية ، ومنها تبدأ مسيرة الثوريين لاحراز النصر » [1] •

يشارك في الفكرة القائلة : ان الفلاح ، وليس العامل هو المدافع عن العملية الثورية المعاصرة ، كثير من الراديكاليين اليساريين ، في نطاق حركة التحرر الوطني، وبلدان العالم الثالث • يشير فرانز فانون، أحد الايديولوجيون البارزين لهذا الاتجاه بقوله « الفلاحون فقط ثوريون ، لأنه لا يوجد لديهم مايخسرونـه ، ويربحـون كل شيء » [2] تحدث ماركس عن الفـلاحين وعلاقتهم بالطبقة العاملة في « البيان الشيوعي » • وعلى كل حال اوضـح ماركس ثورية العمال لا لأنهم في وضع مضطهد ، بل لأرتباطهم بأشكـال الانتاج الاجتماعي المتطورة • في حين أن الفلاحين المضطهدين في نطـاق

---

(١) جينين جهاو •

(٢) فرانتز ـ فانون : تعساء الأرض بيويورك •
١٩٦٨ ـ ص ٦١ •

حركة التحرر، مرتبطون بالدرجة الأولى بأكثر أشكال الانتاج تخلفاً • وهنا يكمن مصدر ضعفهم ، الذي أظهر نفسه باستمرار في البلدان ، حديثة الاستقلال • حقاً أن الطاقات الثورية الكامنة عند الفلاحين عظيمة ، ولكن، وحتى تنطلق كاملة ، خاصة لتحقيق المهام البناءة للثورة ، يستدعي الأمر، تحالفهم مع طبقة العاملين على النطاقين الوطني والعالمي ، هذا ماتظهره انتصارات حركة التحرر الوطني وهزائمها ' أن مثل هذا التحالف ،فقط، يضمن ثبات المجرى الثوري •

أما بالنسبة لراديكالية البورجوازية الصغيرة ، فان موقفها من الطبقة العاملة ، يتسم بعدم الثقة بصورة عميقة ، ويصل بها الأمر الى درجة العداء لمراكز المدن•في تقدير روجيه ديبريه،الخبير في القانون الدولي الافرنسي، « يمكن للمدينة أن تحول البروليتاريا الى بورجوازية ••• » ويكتب قائلا « أي انسان حتى الرفيق ، عندما يقضي حياته في المدينة يصبح بورجوازيا قليل الحيلة عند مقارنته برجل المقاومة المسلحة • لأن الأخير لايصرف الجهد الملموس ، من أجل الأكل والنوم ، والتحرك من مكان لآخر ، باختصار لتأمين حياته اليومية • أنه لايعرف وسائل الابقاء على الحياة ، الا بما يمكن أن ينتجه بنفسه ويديه مبتدئاً من خامات الطبيعة • اما ساكن المدينة فانه يعيش بوصفه مستهلكاً ، طالما يجد في جيبه حفنة من النقود ، تكفيه لسد حاجاته اليومية » • [1] هذا النمط من المناقشة مدموغ بتناوله الأمور بعقلية ضيقة سطحية ، تلك التي تحكم على الجذور الطبقية ، لا من حيث موقعها في نظام العلاقات الانتاجية السائدة ، بل من حيث مكان اقامتهم وظروف الحياة •

---

(١) روجيه دوبريه ـ ثورة في الثورة ؟ نيويورك ـ لندن ١٩٦٧ صفحات : ٧٧ ، ٧٠ ـ ٧١ •

للوهلة الأولى وجدت الاطروحة القائلة ، أن القرية هي قاعدة الثورة الرئيسية تأييداً في هذا المكـان او ذاك • لاشك أنه بالنسبة للصـين كانت الأقاليم الريفية قواعدا للقوى الثورية • وأصبحت كذلك ، لأن الحركـة الثورية كانت بقيادة الحزب الذي انشأته البروليتاريا ، وبالتالي ادخلت الى الثورة ايديولوجية البروليتاريا وأشكال نشاطها وتنظيمها • يجاور الصين دولة ديكتاتورية الطبقة العاملة ؛ وبواسطتها قدمت الطبقة العاملة المساعدات المادية ـ العسكرية والسياسية للشغيلة في الصين • القضية الرئيسية هي ان **مجرد وجود دولة اشتراكية ، قد أثر على علاقات القوى في العالم ، الأمر الذي ساعد على خلق وضع ملائم لانتصار الثورة الصينية(١)** •

يتجاهل الثوريون من أوساط البورجوازية الصغيرة ، تلك الاشكال من الروابط الدولية التي تشهد على تأثير الطبقة العاملة العالمية على حـركات الفلاحين في نطاق حركة التحرر • انهم يضعون في ميزان واحد احدى القوى الاجتماعية الثورية في عصرنا ، مع كافة القوى الثورية في العالم ، ويتضخم هذا الخطأ عندما تستخلص منه استنتاجات حول الثورة العالمية بمجملها ؛[٢] معتمدة على التجربة الوطنية والتاريخية المحدودة ، والمبينة بصورة خاطئة • يرى المنظرون لهؤلاء الثوريين ، أن السمة البارزة في التطور الثوري ، حتى على النطاق العالمي ، في واقع ، أن الامارات الريفية تطوق مراكز الرجعية في الحضارة المدنية • اقتنع لين بياو بالمقولة « عنـد النظر على مستوى الكـرة

---

(١) وهذا مالا ينكره قادة الصين الحاليين بمافيهم ماوتسي تونغ ـ المترجم ـ والتشديد من المترجم •

(٢) جمنين جيهاو ١٩٦٥/٩/٨ •

الأرضية ، فان شمالي أميركا وغربي أوروبا ، يمكن أن نسميهم « المدينة العالمية » في حين تتشكل « القرية العالمية » من آسيا ، افريقيا ، واميركا اللاتينية » [1] وهذا يعني في الوضع الراهن أن القرية تطوق المدينة •

وفقاً لهذه النظرية ، فان القلب النابض للثورة العالمية ، يأتي من القرية العالمية ـ آسيا ، افريقيا ، اميركا اللاتينية ـ • أي تلك القارات التي مازالت بلدانها مفتقرة الى المهدات اللازمة لتناول المهام الاشتركية ، ومع ذلك فقد أوكل لها دوراً ، تكون فيه قلباً أيضاً للثورة الاجتماعية في القرن العشرين • أما سيطرة الطبقة العاملة في الحركة الثورية ، والرسالة التاريخية للطبقة العاملة ، والدور القائد للنظام الاشتراكي جنباً الى جنب مع القوى الثورية المعاصرة ـ كل هذا لا أهمية له ويتم اخفاؤه • وتبقى « القرية العالمية » باعتبارها قاعدة للثورة المعاصرة ، والفلاحون باعتبارهم القوة الرئيسية لهذه الثورة•هكذا يتم استبدال الثورة البروليتارية المفترضة، بنظرية ذات صبغة قومية ، هي ثورة الفلاحين ضد « المدينة العالمية » •

علينا أن نؤكد أن مشاكل « القرية العالمية » ، وبدقة أكثر ، مشاكل البلدان الفتية التي تحررت من الاستعمار حديثا ، هي مشاكل قائمة فعلا • ومن وجهة النظر التاريخية ، فان مشاكلها ذات أهمية فائقة • ذلك لأن الأمبريالية قد استغلتها بفظاظة،لوقت طويل،واضطهدت شعوب هذه البلدان• وتحاول الامبريالية الآن ، باللجوء الى أساليب الاستعمار الحديث أن تحتفظ بقبضتها على الدول الوطنية الفتية وتحتفظ بها في فلكها •

القضية السامية لبلدان العالم الثالث هي أن تحرر نفسها من أغلال الامبريالية ، وأن تتخلص من التخلف الاقتصادي والثقافي ، وأن تصل الى

---

(١) جيمنن جيهاو •

مستوى حضاري عصري • هل يمكن حل هذه المشكلة وفقاً لقاعدة معارضة « القرية العالمية » « بالمدينة العالمية » ، أو موازنة جماهير الفلاحين في أطراف المستعمرات ، بالطبقة العاملة العالمية ، أو حركة التحرر الوطني بغيرها من القوى الثورية في عصرنا ؟ لايستطيع المرء أن يجيب على ذلك ،منطلقاًفقط، من وجود دلائل على أن هناك مشاعر ثورية قويةفيمنطقة التحرر الوطني• من الضروري ، عند التقييم الواقعي ، النظر،الى حصة ودور ذلك القطاع في الاقتصاد العالمي ، ودرجة نضوج المهدات المادية ـ التكنيكية والاجتماعية الثقافية للتحول نحو الاشتراكية؛وأن يأخذفي الحسبان العلاقات بين القوى العالمية • اذا تم العمل بذلك فان الاستنتاج الوحيد الذي يصل اليه المرء هو ، أن بلدان العالم الثالث لاتستطيع مقاومة مراكز الامبريالية القوية بدرجة كافية ـ على الأقل في المستقبل المنظور ـ وأن تواجه مشاكلها من أجل الانعتاق الوطني والاجتماعي ، في وقت واحد •

الاستنتاج الذي ولدته التجربة لحركة الثورة العالمية ، يظهر أن الانتصارات البارزة لثورات التحرر الوطني ، مرتبطة بشكل لايمكن فصمه، عن نجاحات حركة الطبقة العاملة والاشتراكية العالميتين • وقد انجزت البلدان التي تحررت حديثا،أعظم النجاحات ،لحل مشاكلها الاجتماعية ،لأنها حافظت على روابط الصداقة والمساعدة المتبادلة مع النظام الاشتراكي ؛ وكثير من هذه البلدان تبرهن على قدرتها الحقيقية للتمسك بالاتجاه الاشتراكي في تطورها • حقائق الوضع العالمي تفرض على القوى الثورية في هذه الدول الفتية أن تتحالف مع القوة الرئيسية في عصرنا وهي الطبقة العاملة والنظام الاشتراكي •

ان ايديولوجي ثورجية البورجوازية الصغيرة ، في رفضهم لهذا

الطريق ، يستبدلونه بتفاهة الفكرة المشوشة حول الدور الخاص للعالم الثالث • وفقا لما يقوله فانون « يواجه العالم الثالث ، أوروبا ككتلة هائلة • ان المسألة ، هي أن العالم الثالث ، يبدأ تاريخاً جديداً للانسان •••• علينا أن أن نفتح صفحة جديدة ، علينا أن نصيغ مفاهيم جديدة ، كما يجب علينا أن ننهض بالانسان الجديد على قدميه » • [1] وهكذا فان العالم الثالث عليه أن يحل مشاكل الانسان العامة ، وفقاً لقواعد مبنية على قيم غامضة لاوجود لها على درب الحضارة العريق •

ان العدمية القومية المشوشة،في الفكر والسياسة ، تسير في اتجاه مضاد لعلم الاشتراكية المعاصر • كتب لينين مشيراً الى النضال الثوري الديمقراطي في بلدان آسيا : « هل هذا يعني،بعد كل ذلك ، أن الغرب المادي ،قد تلاشى بدون جدوى ، وأن النور يشرق من روحانية ودين الشرق فقط ؟ لا انه العكس تماماً • ذلك يعني بالتأكيد أن الشرق قد سلك طريق الغرب حتماً ، ويعني أن مئات الملايين من الناس ، سوف تشارك منذ الآن وصاعداً في النضال من أجل المثل العليا التي سبق وصاغها الغرب لنفسه » • [2] ذلك هو الموقف الأممي الذي رفعه بحزم لينين في مناظرته وجداله مع الشيوعي الهندي ، ماتابندرا روي،في مؤتمر الكومنترن الثاني •واصل روي قوله«مالم تنتصر الثورة في بلدان الشرق ، فان الحركة الشيوعية في الغرب ستنتهي الى لا شيء ••• وعلى هذا من الضروري اعادة بذل الجهود لانهاض الحركة الثورية وتسريعها في الشرق ، والموافقة على أن الاساس هو المقولة بأن مصير عالم الشيوعيين يعتمد على انتصار الشيوعية في الشرق»• [3]

---

(١) (فرانرفانون - البؤساء) في الأرض ص ٣١١ •

(٢) لينين المؤلفات المجلد ١٨ ص ١٦٥ •

(٣) نشرة مؤتمر الكومنترن (بالروسية) عدد (١) تاريخ ١٩٢٠/٧/٢٧ •

لم يوافق لينين على آراء روى وقال : « أيها الرفيق روي ، لو ذهبت بعيداً جداً في التأكيد ، على أن مصير الغرب يعتمد كلية على تطور وقوة الحركة الثورية في البلدان الشرقية ؛ وعلى الرغم من حقيقة وجودخمسة ملايين بروليتاري وسبعة وثلاثين مليون فلاح بدون أرض في الهند فان الشيوعيين في الهند لم ينجحوا بعد في تأسيس حزب شيوعي ، ولهذا السبب فقط أيها الرفيق روي ان آراءك لاتستند الى أساس ، الى حد كبير » [1] .

حدد لينين بدقة نقطة الضعف في الجدل ، حول أن الشرق ، يجب أن يقوم بالدور الحاسم في تشكيل مصير الثورة العالمية ؛ ان الوضع المتخلف للعلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية ، حال دون انضاج العامل الخاص ، ـ الشخصي ـ للثورة الاشتراكية . ويمكن تذليل هذا العائق فقط بتدعيم التحالف مع الطبقة العاملة العالمية من حيث النهج ، ويبقى هذا الاستنتاج اللينيني صحيحاً تماماً حتى اليوم .

الأمر الطبيعي ،أن الشعوب المستعمرة سابقاً ،والتي عانت الاضطهادمن المستعمرين الغربيين ، أن يبقى ذلك الاضطهاد حياً في عقولهم ، ومن الطبيعي أيضاً أن يكنوا البغضاء للامبريالية .وفي بعض الاحيان ، وبفضل عدم الخبرة السياسية ، فان هذا البغض للامبريالية ، يتخذ شكل العداء الأعمى نحو « المدينة العالمية » والبلدان المتطورة صناعياً والعرق الابيض بوجه عام . وهم لا يدركون في كل الاحيان أن « المدينة العالمية » ،هي الاطار الرئيسي لنشاط الطبقة العاملة العالمية في نفس الوقت ، والتحالف مع الطبقة العاملة

---

(١) نشرة المؤتمر الكوفترن (باروسية) العدد الأول تاريخ ١٩٧٠/٧/٢٧ .

لاغنى عنه لحل مشاكل « القريـة العالمية » نفسها • وبـدلا من أن يقوم ايديولوجيو الراديكالية المزيفة،بتوضيح الجوهر الطبقي للمشكلة ، لضحايا الاستعمار القديم والجديد ، عوضاً عـن ذلك ، يجعلون التخلف رمـزاً للثورية ، ويقدسون التحيـز القومي والعرقي على أنـه نظرية ، وبـذلك يشقون صفوف قوى الثورة العالمية •

يورو سينتريست ـ أوروبا المركزية

هناك اتجاه آخر ،يشوه صورة العلاقة بين قوة الثورة العالمية ؛يمكن أن نسميه تجاوزا يوروسنترست • في هذه الحالة تعتبر الحركـة الثورية في نطاق الدول الرأسمالية المتطورة لها كل الأهمية في التقـدم اللاحق للثورة الاشتراكية العالمية ، ويجب تقييم كل مجراها الثوري من مواقع «غربية» •

ان فحوى هذا المدخل ، ينتهي الى مايلي : يسير تطـور الاشتراكية حتى اليوم في ظروف اقتصادية واجتماعية متخلفة صعبة،أعلنت عن مضمونها• وقد عبر عن ذلك ايزاك دوستشير ، النصير الشهير للتروتسكية على النحو التالـي ، تمت صياغـة أشكال الاشتراكيـة قبل مضمونهـا الكامـن في العناصر الأقتصادية والثقافية التي كانت متوفرة ؛ وحينما تم انتاج المضمون أصيبت الاشكال بالتلف أو التشويه » [1]•وفقاً لهذه المنطق ، فان الاشتراكية المطابقة لهذه المقاييس سوف لا تنهض الا بعد انتصار الثورة في البلـدان الغربيـة •

---

(١) ايزاك دوتيشر ـ الثورة التي لم تكتمل • روسيا بين ١٩١٧ ـ ١٩٦٧ • لندن ـ نيويورك ـ تورنتو ١٩٦٧ • ص ٣٨ •

ان فكرة اليوروسنترستم حول الاشتراكية الحقيقية ، الاشتراكية القائمة فعلا،قدتم تشويهها،على أنها لاتنسجم معالنظرية العلمية •هذهالفكرة تترتبط بوجهات نظر المرتد الفرنسي روجيه جارودي • يرى جارودي أن الاشتراكية الحقيقية والشيوعية،يمكن بقاءهما في البلدان الرأسماليةالمتطورة فقط • ويلصق بالاشتراكية الحقيقية مركب نقص من عنديات واختراعه ، متجاهلا ، ونافيا ، كل ما انجزته الثورات الاشتراكية ، ويشيد بالبلدان الغربية ، التي يزعم أنها مدعوة لبناء كل ماهو جديد ، وخلق اشتراكية مثالية ، وأن ذلك المفهوم هو نقطة التقاء كافة خطوط العملية الثورية العالمية • وحيث أن بناء الاشتراكية كان قد تم اولا في بلد ،أنجزت فيه الثورة الاجتماعية مباشرة ، بعداولثورة صناعية ؛فانجارودي يرى أنذلك الطراز من الاشتراكية ، سواء في الحقل الاقتصادي أو السياسي يحمل معه بشكل واضح جدا ،طابع الثورة الصناعية فيالقرن الماضي،أيميكانيكةالطراز الماضي • هكذا تصبح الاشتراكية الحقيقية عند جارودي ميكانيكية ، اشتراكية متخلفة ، تلائم ظروف القرن الماضي ، في حين أن الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة ، تقتضي قيام اشتراكية متخلفة ، أي اشتراكية سيبرنيتيكية الطراز ، لتحل محل الاشراكية الميكانيكية • وفقا لجارودي تظهر الاشتراكية ذات الطراز المثالي ، والمتطابق،مع ظروف القرن العشرين في البلدان الغربية (طبعاً عند جارودي ـ المترجم) ، مستقلة عن وحتى متعارضة مع الاشتراكية الحقيقية •

تنطلق نغمة مشابهة من قيثارة تيودورو بينكوف المطرود من الحزب الشيوعي الفنزويلي : « الى أن تنتصر الحركة الثورية في غرب أوروبا، سيبقى على الثورة العالمية ، أن تخوض المعارك في أجزاء أخرى من العالم؛

وسوف تتكشف أهميتها في المستقبل فقط ، سوف يحطم الانتصار العظيم في أوروبا سياسة الاحلاف ومناطق النفوذ ، ويذيب الجليد عن الثورة الأوربية ، ويزيد امكانيات العمل من جانب الثوريين في البلدان الأخرى ، ويتم بذلك تأسيس مركز لمرجع اشتراكي متقدم،وأخيراً بعد تغيرالعلاقات بين القوى العالمية بصورة جذرية [1] » هكذا اذن عند بيتكوف ،فقد غرقت العملية الثورية في مستنقع من التخلف،اهمية الانتصارات التي تم اكتسابها لاتعلن عن نفسها ، كما أن الاشتراكية الحقيقية لم تعمل على تغيير أساسي بين ميزان قوى العالم • كل الآمال معقودة على أوروبا الغربية،وهي فقط القادرة على تهيئة مركز ، يصبح مرجعاً للاشتراكية المتقدمة •

تشكل الحركة الثورية في البلدان الرأسمالية المتطورة،احدى القوى الاساسية الدافعة للثورة الاشتراكية العالمية للبروليتاريا • عقد لينين آمالا عظيمة بعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، على انتصار الثورة في أوروبا ، التي من شأنها أن تدفع هذه البلدان، الى طليعةالثورة الاشتراكية العالمية • ولكن لينين كان بعيداً عن اعتبار دور الغرب امراًمطلقاً ، لأنه كان واعياً لواقع ، أن أفضل قلاع النظام الرأسمالي تحصيناً كانت هناك في أوروبا،كما أن دروعها ، مصنوعة من أشد أنواع الفولاذ متانة • ولاحظ لينين ضعف الطبقة العاملة في ذلك القسم من العالم ، والنفوذ القوي للاصلاحية ، وغياب الاحزاب الشيوعية الثورية ، التي يتصلب عودها في المعارك ، بسبب هذه العوامل مجتمعة ، لم تتم الاستفادة من الأزمة الثورية التي ولدتها ثورة اكتوبر • اشار لينين « كانت الفرصة متاحة في تلك اللحظة لتقوم البروليتاريا بتصفية حسابها مع الرأسماليين بضربة واحدة ، الا أن العمال في غرب أوروبا اخفقوا في ذلك لعدة أسباب » [2] •

---

(١) بيتكوف • تشيكوسلوفاكيا ومشاكل الاشتراكية كاراكاس • (١٩٦٩) ص ١٦٤ •
(٢) لينين المؤلفات المجلد ٣٢٢ ص • ١١٣ •

لذلك ، « فان تطور الثورة الاشتراكية في غرب أوروبا ، وما صاحبه من بطء شديد وتعقيد وتعرج اكبر،القى على كاهلنا مصاعب لاتصدق»[1].

واجهت الطبقة العاملة في روسيا مهمة تاريخيـــة فريدة من نوعها ، مهمة الهاب السير نحو الاشتراكية ،في الوقت الذي كانت تطوقها فيه البلدان الرأسمالية . وحثت السير في طريق انجاز هذه المهمة في بلد كانت فيـه الممهدات الأولية ،التي هيأها تطور الرأسمالية الاحتكارية لبناء الاشتراكية، تبدو وكأنها جزيـــرة وسط محيط الانمـــاط الأقتصادية المتعـــددة ، بعد أن أنهكتها الحروب الامبريالية والأهلية . وكما يقول لينين أنهاتحمل في أحشائها قوى عملاقة جبارة ، وأن البشرية منذ الآن قد دخلت مرحلـة جديـدة من التطور ذات آفاق مشرقـــة بصورة خارقة » . [2] كـان من الضروري ، انفاق كافةالطاقاتالتي ايقظتها وفجرتها الثورة ،في جبروت قوتها، لاستئصال التخلف الاقتصـادي والثقافي ، واعادة بناء مجتمـع الرأسمالية السابق ، وتجميع حشد الأطر الداعمة للاقتصاد الاشتراكي ، التـي كانت تتشكل بحكم منطق التطور لنمط النظام الرأسمالي .

من الواضح أن تكاليف بنـــاء الاشتراكية في ظروف اكثر ملائمـة ســتكون أقل ؛ كما يمكـــن انجاز كثير من الأمـــور بسرعة اكثـــر ، وعلى وجه أفضـل ،ولكن الواقـع الموضوعي ، وهو أن الظروف الاكثـر ملائمة،لم تبرزعن نفسها ؛وبالتالي فبناء الاشتراكيةلم يتمفي ظروف مثالية،بل بالامكانيات المادية التي كانت متوفرة بعدأن كرست الطبقة العاملة انتصارها. كم هو زائف ومنافق اذن ، ذلك الأسف ، على أن الثورة الاشتراكية لـم

---

(١) لينين المجلد ٣٠ ص ٢٠٨ .

(٢) لينين . مجموعة الأعمال المجلد ٣٢ ص ١١٣ .

تظهر للعالم في السابق بشكلها الصافي ، بدون أن تحمل على كاهلها الاعباء والمشاكل ،وبدون عظمة كمالهاالتام ، كما ظهرت افروديت من زبدالبحر •

على الرغم من تأخر الثورة في أرجاء أخرى من العالم ،الأأن حزب لينين بجهوده الجبارة،وكذلك جهود الطبقة العاملةوكافة الشغيلة في روسيا، حقق مهمة أساسية للثورة هي الاشتراكية العالمية •

قال ليونيد بريجينيف في تقريره بمناسبة الذكرى المؤية للينين : « لقد حمل الشعب السوفيتي على كاهله مسؤولية تاريخية هائلة ، في الوقت الذي كانت حصته كبيرة من المصاعب والمحن ، لكن الشعب تغلب عليها كلها بشجاعته وصموده ، منجزاً رسالته النبيلة بعزة وشرف •••• ولأول مرة في تاريخ الحضارة العالمية ، كرست الاشتراكية انتصاراً كاملا ونهائياً ، وتم بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، وتم خلق الظروف لبناء ناجح للشيوعية » • (١)

يعتمد الكثيرون في الوقت الراهن ، على الحركة الثورية في منطقة الرأسمالية المتطورة • حيث طرأت تغييرات ذات أهمية بعد الحرب هناك • والتي ظللتها كما كان سابقا ،الانتصارات الرائعة للنضال التحرري ،الذي اجتاح اطراف محيط النظام الرأسمالي ، الأمر الذي زود ايديولوجي البورجوازية الصغيرة ، بذريعة زائفة لمعارضة مايسمى « منطقة العواصف » بما يسمى « المنطقة الهادئة » • يبدوا واضحا اليوم بشكل خاص،الفشل في تبرير هذه المعارضة ، وذلك عندما نرى أن الخطوة السريعة الكامنة ، التي رافقت المرحلة الاولى لثورات التحرر الوطني قد أخلت السبيل للخطوة

---

(١) ليونيد • بريجنيف ، قطبية لينين تحيا وتنتصر ١٩٧٠ ص • (٥٠) •
(٢) المقصود بمنطقة العواصف ، مناطق حركات التحرر الوطني ، والمقصود بالمنطقة الهادئة بلدان العالم الرأسمالي هذه تعابير ساذجة ومضحكة وان كنا لا بريق ـ لمرجم •

البطيئة التي ترافق مرحلة تحقيق المهام البنائة ، وطرق البحث عن التقدم الاجتماعي ـ الاقتصاي • تلك المرحلة التي تحصد الصدامات والتناقضات التي سبق واشرنا اليها قبل الآن • اصبح الآن واضحا ،أن وضع هذهالمهام موضع التطبيق يعتمد على مدى النجاح في النضال ضد الأمبريالية ، وفي سبيل الثورة الاشتراكية في المواقع الرئيسية للنظام الرأسمالي • ان الأزمات الحادة التي تبرز في المواقع القوية للرأسمالية وبصورة متزايدة ومتكررة ابدا ، تشهد على هذه التغييرات التي تجري هناك •

تشكل البلدان الرأسمالية المتطورة، الركيزة الآساسية للامبريالية ، وتواجه الثورة الاشتراكية هناك الآن صعوبات جدية • في السنوات الأخيرة من حياة لينين ،كان يوجه الاحزاب الشيوعيةفي البلدان الغربية نحو الحصار المتواصل للرأسمالية بدلا من الهجوم المباشر ، وأن تعمل على احتلال مواقعها التي تتشكل منها ، من اجل الأنقضاض على الرأسمالية • وتم قطع شوط كبير في هذا الخصوص • منذ أخذ العمال باعداد متزايدة ، يدركون الحاجة الى تغييرات اجتماعية ـ اقتصادية اساسية ، اولئك العمال الذين ينهضون للنضال ضد سيطرة رأس المال الاحتكاري ، وهذا النضال هام بالنسبة للعملية الثورية العالمية ، وذلكمن جانبين:فهو اولا يقوض دعائم الامبريالية ، التي هي مصدر الرجعية وخطر الحرب ، وثانيا لأنه يتركز في تلك المنطقة الطاقة الصناعية الرئيسية ، ومن هنا تتركز ايضاً البروليتاريا الصناعية الأكثر تجربة فيالعالم الرأسمالي ، والتي تمتلك وعياً سياسياًعالياً• ان نجاح النضال من اجل الاشتراكية في قلاع الرأسمالية سوف يعجل دون شك عملية الثورة العالمية ، ويخفف من الحمل الذي يقع على كاهل

البلدان الاشتراكيـة في مجابهتها للأمبـريالية ، كما يساعـد في حل قضايا العالم الثالث •

في كل الحالات ، لايوجد أساس للزعم بأن انتصار الثورة الاشتراكية في البلدان الرأسمالية المتطورة سوف يحل كل الصعوبات ، وكل مشاكـل عملية الثورة العالمية ، فمن الواضح سلفاً أن الانتقال الى الاشتراكية في هذه البلدان ، سيواجه صعوبات محددة ، منها على سبيل المثال ، الموقف من « المجتمع الاستهلاكي » ذلك الواقع السائد في الغرب ، لأن التفكير السائد هو الارتفاع السريع في هذا القطاع في ظل اشتراكية نموذجية ، وأن هذه الاشتراكية ، سوف تكون خالية من نقاط الضعف والقصور ، وانها سوف تكون نموذجا تحتذيه كافة البلدان ، هذا كله تفكير غير واقعي •

تضافر القوى الثورية :

ان مختلف المفاهيـم ، التي تبحث في تحـديد الـــدور الحاسم في الثورة العالميـــة ، هل للشرق أم للغرب ، يجمعها كلهـــا خطل منهجي مشترك ، وهذه ، هي النظرة وحيدة الجانب ، الضيقة الأفق ، العاجزة عن النظرة الشاملة للعالم بكليته في هذا العصر •

رغم تنوع الظروف والمهام الملموسة للقـوى الثورية ، التي تعمل في مختلف المناطق ، تبقى الثورة الاشتراكية العالمية عملية واحدة • وتنشأ من تناقضـات الأمبريالية ، وتعمل على تقويضهـا من كل جوانبها ، وتهيئـة الأسس للحضارة الشيوعية • ان المدخل الميكانيكي لهذه الثـورة يجزىء العملية الثورية الى اجزاء مختلفة ، في حين أن المدخل الديلكتيكي يؤكد

وحدة وتتضافر كافة القوى الثورية ، دون أن يغمض العين عن الخصائص المميزة لاجزاء الثورة التي تتشكل منها • هذا التضافر له طابعه الديناميكي• قد يقتضي الأمر فترة معينة ،وفقا للمنطق الموضوعي للأحداث ، ان يتقدم احدى فصائل الثورة الى الخط الأمامي من جبهة النضال العالمية • الا أن تلك الفصيلة لاتستطيع أن تجابه الأمبريالية بمفردها ووحيدة ، عدا عن أنها لا تستطيع أن تأخذ على عاتقها مهمة حل كافة مشاكل العملية الثورية العالمية • ان مصدر القوة للثورة الاشتراكية في عصرنا يكمن في وحدة كافة قواها المحركة •

ان العلاقات المتبادلة ، بين الطبقة العاملة والحركات الديمقراطية في البلدان الرأسمالية ، وبين ثورات التحرر الوطني ، والمجابهة بين الاشتراكية والرأسمالية على الكرة الأرضية ، هذه العلاقات المتبادلة تتوثق اكثر ، باستمرار ،مما يرغم الأمبريالية الى تغطية أضعف حلقاتها بحمايتها من مراكز قوتها الرئيسية ، هذا هو تكتيكها في عدد من البلدان الأوروبية في السنوات الأولى بعد الحرب •وتلجأ اليوم الى نفس الاستراتيجية في منطقة التحرر الوطني • تتوقف تناقضات التطور الداخلي في بلدان النظام الرأسمالي وبشكل متزايد ، على تجميع القوى في الساحة العالمية •

تهدف استراتيجية الأمبريالية ايضاً الى البحث عن الروابط الضعيفة في جبهة الثورة العالمية ، بما في ذلك النظام الاشتراكي ، كما يرتبط اشتداد الموجة الثورية ، والنشاط المضاد للثورة ، في كل بلد على حدة ، بالنضال الثوري ، والقوى المعادية للثورة على النطاق العالمي •

ان تعميق الطابع الأممي للنضال الطبقي ، يؤدي الى تعاظم دور النظام

الاشتراكي في العملية الثورية العالمية • في السابق ، وبعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، أصبحت الاشتراكية الحقيقية مركز جذب لكل القوى الثورية • كتب لينين في هذا الصدد : « تتمركز التطورات السياسية في العالم ، حول بؤرة واحدة ، تلك هي نضال البورجوازية العالمية ضد الجمهورية الروسية السوفيتية ، التي تلتف من حولها حتما الحركة السوفيتية للعمال المتطورين في كل البلدان ، هذا من جانب ، وكافة حركات التحرر الوطني في المستعمرات وبين القوميات المضطهدة من الجانب الآخر » [١] • واليوم ايضا، يشكل الجبروت الأقتصادي والسياسي للاشتراكية ،الدعامة الاساسية للقوى المناهضة للامبريالية • اشار مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية في موسكو عام ١٩٦٠ « ان العوامل المركزية في الوقت الراهن هي الطبقة العاملة العالمية ومنجزاتها الرئيسية ، اي النظام الاشتراكي العالمي » [٢] •

لذلك نفهم أن الهدف الاستراتيجي للأمبريالية ، وهو تقويض النظام الاشتراكي العالمي ، وهذا ماتوليه الأمبريالية الأفضلية القصوى • الا أن الهجوم العسكري على الاشتراكية العالمية على ضوء توازن القوى في الوقت الحاضر لايبشر بآفاق النجاح ، لهذا السبب يركز استراتيجيو الأمبريالية على خرق جبهة النضال الأيديولوجي السياسي • ومن هنا تستغل الاحتكارات الفوائد الناجمة عن الثورة العلمية والتكنولوجية ، لا لخداع المجتمع في الداخل وحسب، بل وللأنقضاض على الاشتراكية ايضا ،بانتهاج سياسة تسعى الى الاطاحة بالاشتراكية من داخلها • فهي تلجأ اليوم الى الامكانيات التي وفرتها للمستهلك ، لاغراض الدعاية في اوساط الشعوب

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٥١ ص ١٤٦ •

(٢) نظرة عالمية للماركسية ١٠ ديسمبر ١٩٦٠ ص (٦) •

في البلدان الاشتراكية ، وتهدف بذلك الى احداث تآكل في الأيديولوجية الشيوعية اولا ثم في الحقل لسياسي • يحث زبنجيوبرزنسكي الأيديولوجي البارز في عدائه للشيوعية في دول الغرب ، الرأسمالية « لتخلق مناخا ملائما لتطوير الانظمة السياسية لأوروبا الشرقية ، وفي نهاية المطاف ، في داخل الاتحاد السوفيتي ، وبشكل ايجابي [1] • تراهن الأمبريالية من أجل هذا الهدف ووفقاً لهذا التكتيك الذي سبق وذكرناه على الاتجاهات التحريفية والقومية وعلى تعميق التناقضات في داخل النظام الاشتراكي ، وعلى زيادة حدة الاتجاهات الناشزة • [2]

عند تقييم الدور الذي تلعبه مختلف البلدان الاشتراكية في عملية الثورة العالمية ، فمن الطبيعي أن يتم تناول ذلك بأشكال مختلفة ، بحكم وجود فوارق ملموسة في مستويات التطور ؛ الأقتصادي ـ الاجتماعي ، وفوارق سياسية ملموسة لكل منها• تصبح الفوارق السياسية واضحة بشكل خاص ، في النهج القومي المتسلط ، الذي تسلكه القيادة الصينية الراهنة •

يجهد التحريفيون اليساريون انفسهم ،لأقناع الآخرين ، بأن الاتحاد السوفيتي ،قد كف عن دوره بوصفه القوةالثورية الحاسمة • هذا هوالدور الذي تقوم به الصين اليوم•فقد اعلنت جماعة المانيفستو من الحزبالشيوعي الأيطالي صراحة أن ، « الاتحاد السوفيتي لايمكن أن يكون طرفا للجبهة

---

(١) الجمهورية الجديدة ٣/١/ ١٩٧٠ •

(٢) ان المراقب لمجرى الاحداث السياسية يلاحظ صحة هذا الاستنتاج،وأبرز مثال على ذلك، موقف القيادة الصينية الحالية ولقاؤها مع الأمبريالية الأمريكية العالمية ضد الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي ؛ بالاضافة الى عدد من الاتجاهاتالأيديولوجية والقومية في اوربا مما يتم كشفه وفضحه : جارودي واترابه ، وغير ذلك مما هو في طريق فضح نفسه بنفسه ؛ ناهيك عن ما يتم فضحه في بلدان العالم الثالث ـ المترجم •

الثورية بعد الآن ، وأن الواجب يقضي مكافحة النهج السوفيتي على الصعيدين الداخلي والعالمي ، وأن الثورة الصينية هي التي تتكلم باسم حركة مقاومة الرأسمالية » •

يرى التحريفيون في سياسة القيادة الصينية « الثورة البروليتارية الثقافية » في بلادهم ، أنها « الاستخدام المتواصل لصراع الطبقات » •• كما يرون في رفض سياسة التعايش السلمي ، وفي تقديرهم للكوارث المشتركة في الصدام المسلح بين الاشتراكية والأمبريالية ، عملا ثورياً •

ترتد أصول مثل هذا التفكير، حول الطابع، والاتجاهات الرئيسية للنظام الطبقي المعاصر ، الى الأفكار الفوضوية البدائية ، حملة هذه الأفكار ، مولعون بهلوسة البورجوازية الصغيرة الثورجية للقيادة الصينية ، واسلوبها الفائق الثورية ودعايتها حول المساواة بين البشر • (وفي الحقيقة هي اسلوب الشوفينية القومية المفلسة وبطلاء ثوري المترجم) من هنا يأتي دعم التحريفيين للقيادة الصينية وممارسات «الثورة الثقافية» ، من أجل عبادة ماو، التي وضعت قيم الثورة الصينية على طريق الخطر •

من المنطق الادعاء أن مركز النظام الاشتراكي العالمي لايكمن في اجزائه ، اي الاجزاء الاكثر تأثرا بالنفوذ المعادي للاشتراكية ، اما الادعاء بأن هذا المركز غير موجود ، في الوقت الذي انلحت فيه الاشتراكية في تحقيق درجة عالية من النضوج ، وبالتالي فهي أقل تأثرا لمثل هذا النفوذ المعادي للاشتراكية ، نقول مثل هذا الادعاء سينافي المنطق •

كان الاتحاد السوفيتي ، أول دولة في العالم تشكل فيه بناء اجتماعي

خال من التناحر الطبقي ، ووجدت فيه جماعة تاريخية جديدة ـ الشعب السوفيتي ـ (المترجم) ظهرت الى حيز الوجود ، كما تم فيه بناءقاعدةتكنيكية اقتصادية قادرة على دعم مجتمع اشتراكي ناضج • ان القوى الجبارة للحضارة الشيوعية ، على النحو التي تصورها لينين تؤكد على وجودها بصورة كاملة أبداً ؛ وذلك يعني ، النظام الاجتماعي الاشتراكي ، ويبرهن على امكانياته غير المحدودة ، وقدرته على التغلب بنجاح ، على المشاكل التي تعترض سبيلها • كما أنها استثمرت كل الامكانيات الضخمة ، لتتمكن من السير الحثيث ، من أجل تحقيق التقدم العلمي التكنولوجي والاجتماعي الذي شق طريقه اليه التنظيم الاشتراكي للعمل •

تم الكشف عن الامكانيات الضخمة الكامنة في تنظيم المجتمع الاشتراكي، منذ تم ادخال الاصلاح الأقتصادي في الاتحاد السوفيتي ، والاستخدام الكامل لدفع الثورة التكنولوجية عندما توفرت أسبابها • وتم بعدذلك ربطها بمزايا الاشتراكية ، أضف الى ذلك الأرتفاع السريع في مستويات المعيشة، وتحسين الاساليب الادارية والاشراف،والسعي لايجاد أفضل السبل لتعاون البلدان الاشتراكية ، ناهيك عن توسيع الديمقراطية الاشتراكية ، وتعاظم نسبة زيادة الدخل الوطني ، والجهد المكرس لتطوير القيم الثقافية •

وضع التاريخ الاتحاد السوفيتي ، في الخندق الأمامي من الجبهة في عملية الثورة العالمية،حيث يقود النضال ضد الامبريالية من أجل مستقبل جديد للبشرية وبغض النظر عن تنوع القنوات للنضال الطبقي ، الا أنها تتم حول محور واحد ، ذلك هو العلاقات بين النظامين الاجتماعيين •

يتوجب علينا أن نفهم أنه لا توجد ضمان بأن النجاح في هذا القطاع من الثورة العالمية يؤمن الزاماً حل المشاكل التي تنشأ في قطاع آخر • لأن الثورة العالمية تتشكل من فعاليات كافة القوى الثورية • وعندما يتعقد الوضع أكثر يصبح من اللازم تنسيق القوى الأكثر أهمية ، كما تتعاظم مسؤولية كل من القوى الثورية لوضع استراتيجية مشتركة لعملية النضال ضد الامبريالية • وفي كل ذلك تقع المسؤولية الأكبر على كاهل الطليعة الثورية في عصرنا ، الا وهي الحركة الشيوعية العالمية •

طليعة الثورة الاشتراكية :

يتجسد في الحركة الشيوعية،باعتبارها الطليعة السياسية للطبقة العالمية في العالم ، وعي الثورة الاشتراكية العالمية •

جاءت المبادرة للثورة الاشتراكية من الحركة الشيوعية • وأصبح الحزب الشيوعي الذي أسسه لينين ، أول حزب بروليتاري للثورة ،سواءفي النظرية ، في البرنامج في الممارسة او في الاعمال •

منذ عشية الثورة الاشتراكية وفيما بعد،اصبح واضحاً أن الديمقراطية الاشتراكية هي السلاح السياسي الرئيسي الذي تمتشقه حركة الطبقة العاملة والذي أطاح بالاصلاحين ، بعد أن فقدوا القدرة على العمل الثوري• اولئك الاصلاحيون الذين أخذوا لأنفسهم ،موقف المصالحة مع البورجوازية في صراعهم ضد الثورة • وعند هذه العقدة التاريخية ، رفع الشيوعيون عالياً راية الماركسية الثورية ، وصانوا شرف حركة الطبقة العاملة ، وقادوها على الطريق الثوري ، حيث يكمن فيه طريق المستقبل •

كان انتصار الثورة الاشتراكية العظيمة في اكتوبر ،أنتصاراً له طابعه العالمي ، ويجتاوب مع متطلبات ثورة البروليتاريا الاشتراكية التي كانت في بدايتها الأولية • ومع اشراقة هذه الثورة ، استيقظت القوى الثورية للعمل، تلك القوى التي كانت في حاجة للوحـدة • وكما أشار لينين عند قـرار تشكيل الكومنتيرون ، فان مؤسسيه ،كانوافيعملهمهذا يلبون مطلبا ،للتعبير عن الوعي الذي سبق ووجد سبيله الى عقول جماهير الشغيلة • يقول لينين « كل انسان عرف ، واهم من ذلك كل انسان رأى ، شعر ، وتلمس مـن تجربة بلده الخاصة ، أن حركة جديدة للطبقة العاملة ، تنطلق باندفاعهـا الكامل • وفي نفس الوقت ،يدرك كل انسان أن تلك الحركة التي لم يسبق لها مثيل ، القوية والتي تزداد عمقا ، لايمكن أن تكون أسيرة لأي من الأطر القديمة » • (١)

لقد تولدت الحاجة في عصر التحول الثوري للعالم ، الى حركةسياسية يكون بمقدورها أن تزود استراتيجيي الطبقة العاملة بالمنظمين والضلعيـين في الأعمال الثوريـة • ولذلك ، وعلى الرغـم من كل الجهود التي بذلتها الرجعية العالمية لمنع انتشـار « البلشفية » وهي في طور الجنـين ، الا أن الحركة الشيوعية اكتسبت وبسرعة مدلولها الأممي • وبالتالي فان نموهـا حافظ على الانسجام مع ايقاع الثورة العالمية في مسيرتها الى الأمام • احرزت الحركة الشيوعية منذ وجودها قبل نصف قرن ، سلسلة من الانتصارات ، كل واحد منها وطد من دورها الطليعي • كما برهنت التجربة أن الحركة الشيوعية هي حافز قوي للطاقات الثـورية للطبقة العاملة وكل الشغيلـة •

---

(١) المؤلفات المجلد ٢٢ ص ٤٧٩ •

يمكن أن نقول : أن كافة ماطرأ من تغييرات في العالم ، يعود لفضل نشاط الشيوعيين مباشرة ، ولا يمكن لهذه التغييرات أن تتم بدونهم •

لقد تم خرق ثغرات كبيرة في سلسلة النظام الرأسمالي بقيادة الاحزاب الشيوعية • كما بدأ اتجاه جديد في النضال الثوري وما زال يقوى ويسير بنفس اتجاه المهام البناءة للثورة الاشتراكية •

تبقى الاحزاب الشيوعية في البلدان الرأسمالية المتطورة ، هي القوة السياسية الرئيسية لمجابهة سلطة الاحتكارات • فقد قادت هذه الاحزاب النضال الديمقراطي ضد الفاشية والرجعية المنفلتة من عقالها • قدم الآلاف المؤلفة من الشيوعيين حياتهم في مكافحة الفاشية ، تلك التضحيات لم تكن بدون جدوى • ذلك لأن هزيمة الفاشية شقت طريقا أوسع لتقدم الاشتراكية والديمقراطية، واليوم يقود الشيوعيون النضال ضد الامبريالية• فهم يدعمون ويشاركون في المعارك التي تشن ضد سيطرة الاحتكارات • كما أن برامجهم تقدم آفاقاً حقيقية واقعية من أجل التقدم والتحول نحو الاشتراكية في قلاع الرأسمالية الرئيسية •

يقوم الشيوعيون بدور هام في ثورات التحرر الوطني • ويواجهون في هذا القطاع من العالم ظروف عمل هائلة الصعوبة • بالاضافة الى حالة التخلف الاجتماعي والاقتصادي، التي تؤثر على تركيب الاحزاب وسياستها، وتدفعهم في بعض الاحيان لاتخاذ قرارات خاطئة ، هنالك أيضا ما يواجهونه من اضطهاد وحشي تمارسه ضدهم السلطات الأستعمارية والرجعية المحلية• ومع ذلك فان تاريخ الحركات الوطنية يشهد على ما قدمه الشيوعيون من مساعدة ومساهمة فيها • واليوم يشكلون في البلدان التي استقلت حديثاً ،

أعظم القوى نشاطاً في البحث عن طريق التطور التقدمي ، وهم الانصار الثابتون المثابرون لطريق الاشتراكية •

تشكل حركة الشيوعية العالمية ، الحافز السياسي للثورة الاشتراكية العالمية ، وصاغت برنامجها مبينة للبشرية سبيل الخروج من الطريق المسدود الذي دفعتها اليه الرأسمالية • أكد ليونيد بريجينيف في كلمته في اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ قائلا « ان التجربة التاريخية للعديد من البلدان ، وتجربة الصراع الطبقي ، قد قدمتا الدليل المقنع على واقع ، كم هو ضروري للبشرية نشاط الاحزاب الشيوعية ، وكم هو مثمر ذلك النشاط في سبيل التطور الاجتماعي • هذه الاحزاب تقود الشعوب على هدى النظرية الماركسية اللينينية الى الطريق نحو مستقبل شيوعي • وهي تحشد الشعوب من أجل النضال وتسير بثبات في المقدمة لحركة الجماهير من أجل الاهداف العظيمة للتقدم الاجتماعي ، ويقف الشيوعيون دائماً في الخط الامامي من جبهة المقاتلين من أجل الحقوق الحيوية للشغيلة ؛ للسلام • ويرفعون عالياً علم الثورة الاشتراكية الذي لايقهر » [1] •

يبرهن التاريخ أن الحركة الشيوعية تعبر بصورة كاملة عن المتطلبات الاساسية للتقدم الاجتماعي ، وعلى أنها القوة السياسية الأكثر تأثيراً ، وأنها الطليعة الصدامية لعملية الثورة العالمية • ويفرض عليها سجل الانجازات التي تحققت في الماضي مسؤولية خطيرة • ان ديناميكية العملية الثورة العالمية تتطلب من طليعتها أن تكون قادرة على تقييم مايجري من تغيرات وأن

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية موسكو ١٩٦٩ ص ١٥٥ •

تبرهن ايضاً في كل مرحلة من المراحل على مقدرتها السياسية ، التنظيمية والنظرية ، لقيادة الحركة الثورية •

في الطور الأول للثورة الاشتراكية ، واثناء الهجوم الناجح الأول ضد النظام الرأسمالي ، قامت الأقسام الأكثر وعياً فقط ، من الطبقة العاملة بشن الهجوم ، من أجل الاشتراكية ، اولئك هم الذين التحقوا بالشيوعيين ، هذا في الوقت الذي اتخذت فيه أقسام واسعة من السكان موقفاً سلبياً انتظارياً لتقطف ثمرة انتصار الاشتراكية (أي انتظر لنرى لمن الغلبة المترجم) • وفي بعض الحالات أخذت جانب أعداء الثورة ، هذه الأقسام الواسعة من السكان لم يكن لديها رؤيا واضحة عن الاشتراكية • في نهاية المطاف وعلى كل حال ، فان التجربة النضالية من أجل الاشتراكية ، التي كدستها الحركة الشيوعية خلال ما يزيد عن نصف قرن ، قد استوعبتها هذه الأقسام من السكان ولدرجة كبيرة ، وهذا أدى الى نشوء حركة قوية شملت الطبقة العاملة ـ الفلاحين وطبقات البورجوازية الصغيرة في المدن ، ـ المثقفين المتنورين والطلاب ؛ من أجل التقدم • حققت الحركة الشيوعية المهمة التاريخية لايقاظ وعي شعوب العالم ، لكي تنصب طاقاتهم في المعركة العظيمة من أجل انتصار الاشتراكية على النطاق العالمي •

هذا التغيير ، حمل معه تغيير في موقف أحزاب البورجوازية الصغيرة • بعض هذه الاحزاب اليوم ، لاتكتفي بالتعبير عن دفاعها عن الاشتراكية فقط ، بل ، وهي متأثرة بالوضع ، تبدي قدرة فعلية للمشاركة في أشكال النضال ، الذي يؤدي موضوعياً للاقتراب أكثر من الاشتراكية • هناك توجهات

متنامية عند الاشتراكيين والاحزاب الاجتماعية والديمقراطية لكي تتحرك نحو اليسار • وكما أشار اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ : هناك انقسام في صفوف الديمقراطية الاجتماعية يتخذ مجراه ، حيث نجد بعض قادته يدافعون عن مصالح رأس المال الاحتكاري ، بينما الآخرون يولون اهتماما أكبر ، للمطالب الشعبية من أجل السلام والتقدم •

تلعب المنظمات الديمقراطية الثورية ذات التوجه الاشتراكي ، في البلدان (النامية) دوراً تتزايد أهميته • ظهر في العالم الرأسمالي اتجاهات سياسة متعددة لليسار ، تنطق باسم الانتلجنسيا التقدمية والطلاب • بعض هذه الاتجاهات يعادي الشيوعية علنا ، بينما البعض الآخر ، يخفي تحامله ومخاوفه من الشيوعية ، وفي الوقت الذي يبدي فيه فريق ثالث ، استعداده للتعاون مع الاحزاب الشيوعية الا أنهم لا يقبلون أن تكون القياة السياسية لهذه الاحزاب •

كل هذه التبدلات تدعو الى فهم واضح لموقع الاحزاب الماركسية اللينينية من النضال الثوري في المرحلة الراهنة •

لماذا الشيوعيون :

يكتب ايلي الينيوس رئيس اتحاد الشعب الديمقراطي في فنلندة : « لندع الحركة لااشتراكيةتوفر الاطار الذي يستطيع فيه الشيوعيون،صياغة سياستهم الماركسية اللينينية ، وفي الوقت نفسه ، يصوغ الاشتراكيون سياستهم الخاصة ، ثم يفسح المجال بعد ذلك ، لنرى محصلة ذلك بمايتلائم مع ظروفنا ، ان التنوع اذا تم فهمه بصورة صحيحة يمكن أن يعني وحدة

جديدة خلاقة » • [1] ان هذا الكلام في حقيقته ، يوازي الأقتراح ، باغراق الحركة الشيوعية في الجناح اليساري لقوى الحركة الاشتراكية • وفي هذا الصدد ، ليس من الخطأ أن نعيد الى الذاكرة ، العامل التي تميز الحركة الشيوعية عن غيرها من الاتجاهات السياسية ، والتي تجعل الحركة الشيوعية تلعب دوراً ثورياً طليعياً (الشكل الظاهر لكلام الينيوس ليبرالي حر ، الا أن المضمون الحقيقي للمسألة يكمن في درجة تطور العلاقات الانتاجية الفعلية ، التي تعكس بدورها موازين القوى • (المترجم)

أولا ، يقف الشيوعيون على رأس مجتمع يبني الحضارة الشيوعية • حقاً هنالك أحزاب كثيرة مناهضة للرأسمالية ، الا أن الحركة الشيوعية بمفردها ، هي القادرة على اعطاء الجواب الواضح المحدد للسؤال ، حول ماهي أفضل الاجراءات الاجتماعية التي تتلاءم مع درجة التقدم ، التي تم احرازها • اذا نظرنا الى الواقع العملي نجد أن الحركة الشيوعية هي ألتي فتحت الباب نحو المستقبل • كما توضح وثيقة اجتماع عام ١٩٦٩ الذي سبق وأشرنا اليها ،أن النظام الاشتراكي الذي تم بناءه بقيادة الشيوعيين،وقد برهن بالاعمال ، لا باقوال أنه « قادر على تأمين الأقتصاد المخطط لصالح الشعب ،وبدون أزمات،وأنه يضمن الحقوق الاجتماعية والسياسية للشغيلة، خالقاً بذلك الظروف الملائمة للديمقراطية الأصيلة ، ومن أجل المشاركة الفعلية للجماهير العريقة من الشعب في ادارة المجتمع ، ومن أجل التطوير الشامل للفرد والصداقة بين الشعوب » [2] •ان منجزات الاشتراكية تؤكد أفكار النضال من أجل الانعتاق •

---

(١) ايلي الينوس هلنستكي ١٩٦٩ ص ٠ ١٨ ٠

(٢) اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي ٠ موسكو ١٩٦٩ الصفحات ٢١ ـ ٢٢ ٠

لأحد ينكر بأنه هناك صعوبات جمة تنشأ أثناء بناء الشيوعية • ذلك لأنه عندما يتم حل المشاكل القائمة ، فهناك مشاكل جديدة تأخذ مكانها وتتطلب جهوداً جديدة، لأن الكمال لايتحقق دائماً سيبقى فهناك تقصيرات، وعدم الدقة ، كما توجد أخطاء أيضاً ، ولا يستطيع أحد أن يحصن نفسه ضد ذلك •

الا أن النشاط الشيوعي يكمن على وجه الدقة في واقع أن الشيوعيين يتغلبون على كل هذه المصاعب والعقبات بالبحث العلمي لانارة الطريق الشاق نحو المستقبل نحو الشيوعية •

ثانياً ، ان الحركة الشيوعية هي الحركة الثورية المنظمة سياسياً لأكثر الطبقات تقدما في عصرنا ،والطبقة العاملة العالمية هي القوة الحاسمة من أجل التقدم • وهي مركز تجمع كافة القوى المناهضة للامريالية• ولأن الاحزاب الشيوعية هي الناطقة باسمها فانها مدعوة لانتهاج سياسة ثورية ثابتة في النضال ضد الأمبريالية وعليها أن تعمل على تحييد الاتجاهات المتأرجحة •

ان المصالح الحقيقية للطبقة العاملة كما يعبر عنها الشيوعيون تتطابق مع الاتجاه العام لتاريخ العالم ، ومع الآفاق المنظورة للتطور ،وانتصار الثورة الاشتراكية للقرن العشرين على نطاق العالم كله • تتضمن الوثائق السياسية للحركة الشيوعية العالمية أجوبة لمسائل الحرب والسلام ، وقضايا حركة التحرر الوطني ، والدفاع عن الديمقراطية ، والنضال ضدالامبريالية والرجعية – ولمسائل التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية التي هيموضع اهتمامالشعوب التقدمية في كل مكان • الحركة الشيوعية هي الرائدة في وضع الحلول للقضايا الجديدة التي يفرضها التاريخ ، لطابعها البروليتاري

لكنها في نفس الوقت تعبر بصورة أكثر كمالا وعمقاً من أي حركة أخرى عن مصالح البشرية جمعاء •

ـ ثالثا ، الحركة الشيوعية أممية بطبيعتها الخاصة • وهي وحدها التي تحررت من قيود ضيق الأفق القومي ، وهي وحدها التي برهنت من خلال الأعمال أهميتها البروليتارية ، وقدرتها في التصدي للدفاع عن مصالح البروليتاريا بغض النظر عن انتمائها القومي • أن اشراقة الحركة الشيوعية بحد ذاته كان عملا لاحياء تقاليد البروليتاريا الأممية التي خانها قادة الاشتراكية الديمقراطية • وهي في الوقت نفسه كانت عملا وطنياً أصيلا ، ذلك لأنها تقدم برنامجاً للانعتاق الوطني والاجتماعي لكل الناس ،والمشاركة النشيطة لمواصلة التقدم الاجتماعي • تعمل الحركة الشيوعية على أنها حركة موحدة مسلحة بالتضامن الطبقي ، تشمل العالم برسالتها الأممية • وبوصفها عامل عالمي في عملية التقدم فهي تقوم بدور التوحيد في النضال ضد الأمبريالية ، وتجذب حركات اجتماعية أخرى الى اطار الأممية البروليتارية وتحشدهم حول الطبقة العاملة العالمية •

ـ رابعاً ، تتسلح الحركة الشيوعية بايديولوجية علمية ، الماركسية اللينينة ، التي يساعد تطبيقها الخلاق كل الشيوعيين لفهم الاحداث التاريخية ، الخاصة بهذا العصر ، وفهم الاتجاهات الرئيسية لعملية الثورة العالمية ، كما تساعد على الاستيعاب النظري وتقيمه للتجربة التاريخية الحديثة •

يتميز الشيوعيون عن غيرهم من الاحزاب والحركات ، التي تشارك في النضال ، ضد الأمبريالية ، أي أولئك الذين يصوغون سياستهم بشكل

برغماتيكي (أي بصورة ذرائعية من فوق وعلى شكل مراسيم) منطلقين من تجربة الاحداث الآنية ، في حين أن الشيوعيين يحللون الوضع ، ويقررون سياستهم من مواقع علمية ، وهذه الميزة تمكنهم من رؤية مهام الصراع الطبقي في ترابطها مع الاتجاهات العامة للتطور التاريخي ، وتمكنهم ، من الربط بين النشاط السياسي اليومي والمباشر ، الاهداف النهائية للطبقة العاملة والحركة الديمقراطية •

ـ خامسا : يقع على عاتق الحركة الشيوعية ، مهمة بناء استراتيجية وتكتيك النضال ضد الأمبريالية ، لأنها كدست ثروة من التجربة الثورية ، وهي مسلحة بنظرة ماركسية لينينية عالمية ، ان قواعد وأساليب النضال التي صاغها الشيوعيون،تجعل أمر اتحادهم مع القوى الديمقراطية الأخرى في جبهة واحدة ، أمرا ممكنا • يؤثر الشيوعيون في القوى السياسية الأخرى ، على الرغم من قلة عددهم النسبية ، وهم يعتبرون هذه القوى على أنها أكثر الاتجاهات السياسية راديكالية في أوساط حركة الطبقة العاملة •

سادسا : تمتلك الحركة الشيوعية ، قوة أخلاقية ومعنوية تنبثق من ادراك الشيوعيين لواجبهم نحو الاسرة البشرية • ولا يوجد لدى أي حزب سياسي آخر ذلك الحس بالمسؤولية التاريخية • ينطلق الشيوعيون من تقييم لينين لدورهم في المبادرة التاريخية للتطور الاجتماعي ، فانهم يقاتلون من أجل تحقيق الامكانات ، التي يوفرها العصر ، ويتحركوا من أجل حماية المجتمع من الأخطار التي تهدده • ان المبادرة الشيوعية توفر مرشدا وقوة دافعة لحركة الثورة العالمية •

ان الرسالة التاريخيـة للحركة الشيوعية ـ باعتبارها قائدة للثـورة الاشتراكية ، تفرض عليها قدرا كبيرا من المسؤولية • ان واقع ، اتساع نطاق النضال ضد الامبريالية ، وانضمام قوى جديدة أبدا ، هذا واذاك لايقللان باي حال من تلك المسؤولية أو يضعفان من الدور القيادي الذي تقوم بـه الحركة الشيوعية ، في جبهة النضال المشتركة ضد الامبريالية ، أشارالفارو كونال السكرتير العام للحزب الشيوعي في البرتغال ، « ان الحركة الشيوعية هي المحور وهي الطليعة في النضال ضد الأمبريالية ، ان تذويب الاحـزاب الشيوعية في الحركة المعادية للامبريالية انمـا يشكل علامة على طريـق النهاية لهذه الاحزاب الشيوعية بوصفها ، حركة مستقلة للطبقة العاملـة وسائر الشغيلة ، هذا من شأنه أن يجرد العملية الثورية من قوتها الحاسمة، ان الاحزاب الشيوعية لاتريد فقط انجاز المهام العاجلة والملحة للنضـال ضد الأمبريالية ، انما تريد أيضا تحويل العالم وتصفية الأمبريالية الـى الأبد ، وأن تقود الشغيلة نحو انتصار الاشتراكية والشيوعية • ان هـذا هو مبرر وجود الحركة الشيوعية الحقيقي ، وهو غرض الكفاح الثوري الذي يمارسه كل حزب شيوعي » [1] •

تعاظم مسؤولية الطليعة :

تزداد مسؤولية الطليعة ، كلما ازداد التوسع في تركيب حركة الثورة العالمية • هنا يصبح من الضروري أن يبحث الشيوعيون عن أرضية مشتركة، من داخل تجمع القوى المشاركة في النضال ، ذلك التجمع المعقد التركيب والمشوش • تلك الأرضية ، التي تساعـد باكبر قدر ممكن لحشد هـذه

---

(١) اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي موسكو ١٩٦٩ ص ٤٠٠ •

القوى وجذبها الى مواقع أقرب للطبقة العاملة ، لأن هذه الطبقة تشكل القاعدة الصلبة للتحالف ضد الأمبريالية •

ان مدى النجاح الذي يتم فيه تحقيق هذه المهمة ، يعتبر مؤشرا هاما على مدى نضوج الحزب المنوط به هذه المهمة ، ومؤشرا على مدى كفائته ، باعتباره قائدا سياسيا لنضال الجماهير الثوري • ان اتساع التحالف بين الشيوعيين وبين الاحزاب ، والمنظمات الأخرى ، في سبيل النضال من أجل الديمقراطية ، كما أن انشاء العلاقات والتعاون معها بالاضافة الى ايجاد الاشكال الملائمة لذلك ، كل ذلك ، يتطلب كما تبرهن التجربة ، **الالتزام المبدئي الطبقي** (التشديد من المترجم) مع مرونة في التكتيك •

ان الاتجاهات اليسارية غير المرتبطة بحركة الشيوعيين ، كثيرا ماتتأرجح ، كما تظهر عدم ثباتها السياسي • ومن هنا تنشأ الحاجة الى التأثير عليهم من مواقع طبقية ثورية • هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر فان الدور القيادي للحزب الشيوعي فيما يتعلق بهؤلاء ، لايمكن أن يتضاءل أو يتخلى الحزب عنه • وكما كتب لينين « لايكفي أن نسمي أنفسنا « الطليعة » ، الجانب المتقدم ؛ علينا أن نعمل بطريقة تقنع بها كافة الاطراف نساعدهم على التحقق بشكل يضطرون معه للاعتراف باننا سير في المقدمة •[٢]

ان الرسالة المدعوة اليها أحزاب الطبقة العاملة لتنجزها ، لاتعني أن دورهم القيادي المنوط بهم تم تحقيقه بصورة اوتوماتيكية ؛ ان هذا الدور القيادي يجب اكتسابه خلال النضال • مع الاتجاهات السياسية في المعارك الفكرية ، بالأقناع ، ثم حشد الحلفاء وليس التناقض معهم •

---

(٢) لينين مجموعة الاعمال المجلد ٥ ص ٤٢٦ •

ان مسألة ، من الذي يقوم بالدور القيادي تحتل أهمية خاصة في نطاق حركات التحرر الوطني ، لأن هذا الدور تقوم به الاحزاب الثورية الديمقراطية ، وليس الشيوعيون • وهذه الاحزاب تضل الطريق في بعض الأحيان وتفقد الطريق الثوري ، ولا تتصف أعمالها دائما ، بالثبات ، وذلك ، لأن تركيبها الاجتماعي ، وسياستها وايديولوجيتها ليست بروليتارية • وكما أكد ليونيد بريجنيف في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي : على أن التعاون بين هذه الاحزاب وبين الشيوعيين يتجاوب مع مصلحة حركة النضال ضد الأمبريالية ، ومع قضية الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي •

ان الدور القيادي للشيوعيين في حركة الجماهير ، لاينفصل عن دور الاحزاب والمنظمات الأخرى المشاركة في النضال ضد الأمبريالية • تؤكد وثائق الاجتماع للاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ أن الشيوعيين يستخدمون أكثر الأساليب ديمقراطية في التحضير ، وفي تنفيذ الأعمال المشتركة ، مع كافة القوى التقدمية على النطاق الوطني ، وعلى نطاق المنطقة وعلى النطاق العالمي • عندما يعمل الشيوعيون من أجل ايجاد لغة مشتركة ، بينهم وبين كافة القوى المناهضة للامبريالية ، فانهم في نفس الوقت يحترمون ويقدرون مختلف المنطلقات المناهضة للامبريالية • يتطلب الوضع الراهن بناء أشكال مرنة من العلاقات بين الطليعة وغيرها من المساهمين في عملية الحشد ضد الامبريالية •

دخلت الثورة الاجتماعية مرحلة حاسمة • وقوى الثورة في سبيلها للتبلور • والاطراف الرئيسية في حركة الثورة العالمية تتحرك لتحتل مواقع متقدمة • كما تجب الملاحظة في نفس الوقت أن النضال يزداد

حدة بين الطبقة العاملة الديمقراطية من جانب ، وبين رأس المال الاحتكاري من الجانب الآخر • هناك الكثير مما يعتمد على الحركة الشيوعية وعلى قدرتها واستعدادها ، لكي تكون على مستوى مهام العصر •

ان وضع الحلول الصحيحة للمشاكل الجديدة يتطلب تطويرا خلاقا للنظرية ، للاستراتيجية والتكتيك ، والنضال ضد الاتجاهات الدوغماتيكية والمحافظة ، وكذلك النضال ضد التحريفية التي تطالب بمراجعة المبادىء الاساسية ، بحجة أن ذلك ضروري للتلائم مع الوضع الجديد • يجب على الطليعة أن تظهر قدرة ونشاطا خلاقين لبناء تقديرات نظرية ، وأن تترجم ذلك في البحث العملي لاشكال وأساليب النشاط المتوافق مع المرحلة القائمة في وضع مائع •

في غمرة كل هذا تبقى التناقضات ، والمصاعب ، والنكسات المؤقتة أمورا حتمية • وهنا يحاول المفكرون من اعداء الشيوعية المبالغة والتهويل، ويسارعون للصراخ ، « الأزمة » ، وأحيانا يلجأون الى مايزعمونه « انهيار الحركة الشيوعية العالمية » •••• والكتابة حول « قصة نهاية « الحركة الشيوعية العالمية » [1] •

الا أن ذلك كله لايتعدى مايتمنونه • فمثل هذه الأفكار من الصعب أن تتفق مع الواقع ، الذي نرى فيه التقدم المتواصل للحركة الشيوعية • لقد أظهر اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي المنعقد في عام ١٩٦٩

---

(١) ر • لوينثال « الماركسية في العالم المعاصر » ـ قدم له م • داركوافيتشن كالفورينا ١٩٦٥ ص • (٢٢٥) •

بوصفه علامة هامة على طريق الوحدة،أظهر بوضوح أن تاريخ الشيوعية مستمر ، وأن الحركة الشيوعية تستطيع التغلب على العراقيل في مسيرتها• جاء في الصفحة ٣٧ – ٣٨ للاجتماع العالمي ١٩٦٩ مايلي « يدرك الشيوعيون أنه في الوقت الذي يحرزون فيه انتصارات تاريخية عظيمة في مجـــرى تطورهم ، الا أنهم ، ومنذ عهد قريب يواجهون صعوبات جدية • علـــى كل حال فان الشيوعيين مقتنعين بأن هذه الصعوبات سوف يتم التغلب عليها• ويستند هذا الاعتقاد الى حقيقة أن الطبقة العاملة العالمية لها أهداف ومصالح مشتركة على المدى البعيد ، كما تستند الى أن كل حزب شيوعي يبـــذل قصارى جهده لايجاد الحلول للمشاكل القائمة ، التي تتجاوب مع كـــل من المصالح الوطنية والأممية للرسالة الثورية للشيوعيين ؛ كما تستند الى ارادة الشيوعين للتلاحم على نطاق عالمي •

ان العزلة السياسية للقيادة الصينية واشتداد الكفاح ضد التحريفيين اليساريين واليمينيين ، بالاضافة الى تعاظم النضال لاعلى المستوى السياسي وحسب ، بل ، وفي سبيل الأيديولوجية الموحدة ، كل هذا مؤشر علـــى نضوج الظروف في الحـــركة الشيوعية التي تساعـــد على التغلب على الصعوبات في المرحلة الراهنة من التطور •

يبدو واضحا بصورة متزايدة أن التحريفيين ومرضى القومية مـــن بعض العناصر الشيوعية بالاضافة الى القوة المنبوذة التي ولدتها القوميـــة البورجوازية ذلك ماهو الا سحابة عابرة وهو من الفضلات التي تلفظهـــا الحركة الشيوعية في عملية انتقال طليعتها لانجازات على مستوى أعلـــى في تأدية دورها في العملية الثورية العالمية •

الفصل الثاني

الضرورة الموضوعية والمبادرة الثورية

ان العلاقة بين التطور وفقا للقوانين الموضوعية ، والعامل الذاتي ، تشكل احدى القضايا الاساسية الفلسفية في نظرية الثورة • يحاول منتقدو الماركسية منذ وقت طويل ، أن يجدوا في هذه المسألة موضع ضعف حسب مفاهيمهم الفلسفية التاريخية لعقب أخيل • (يروى في الاساطير اليونانية أن العداء ، أخيل تم التغلب عليه ، بقطع وتر عقبه أي كاحله •• وذهبت مثلا) المترجم • فهم يؤكدون وجود تناقض بين الحتمية ، والأرادية • ويجادلون في استنتاجات الماركسية حول حتمية استبدال الاشتراكية بالرأسمالية ، التي تستند الى التحليل الموضوعي للقوانين الأقتصادية ، هذا من جانب ، كما يتناولون من الجانب الآخر ، العقيدة الماركسية التي تعتمد على سحق الرأسمالية ، بالأعمال القسرية للطبقة الثورية • لذلك يتحدثون عن « الأزدواجية » في الماركسية • مثل هذه المفاهيم تنجم عن الفهم الميكانيكي للحتمية •

الحتمية التاريخية :

وضح لينين بصورة تامة ، مميزات الماركسية الديالكتيكية ، في تناولها العملية التاريخية « تختلف الماركسية عن سائر النظريات الاشتراكية

بطريقتها الفذة ، فهي تربط برصانة علمية تامة ، تحليل الوضع والشؤون الموضوعية ، ومجرى التطور الموضوعي ، مع الاعتراف والتأكيد الشديد على أهمية الطاقة الثورية ، والعبقرية الثورية الخلاقة ، والمبادرة الثورية للجماهير ، والأفراد ، والجماعات ، والاحزاب القادرة على اكتشاف وانجاز سبل الأتصال مع هذه أو تلك من الطبقات » [1] .

يفصل النقـــاد البورجوازيون ، بصـورة ميكانيكية ، الرابطة بـين الديالكتك والحتمية في الماركسية المادية وبين نظريتها في العمل الثـــوري الواعي . ويستبدلون الديالكتك بموضوعين منفصلين ، لا حياة لأي منهما ، ويقدمونهما على أنهمـا متعارضان . تتميز اللينينية ، بتأكيـدها على دور المبادرة التاريخية ، والوعي الثوري للطبقة العاملة وحزبها السياسي ، وتبرر ذلك على أنه تطور للسمات الطوعية والأرادية عند المبدأ الماركسي . تم دحض هذا الجدل بصورة أفضل بعـــد تجربة نصف قرن من الثـــورة الاشتراكية . اذ ، هل من الممكن أن نفهم اليوم ، أن ثورة اكتوبر بكـل ما حملته معها من تغييرات خطيرة وهامة ، ومارسته في كيان وضمير المجتمع البشري ، أن هذه الثورة لاتزيد عن محصلة للنوايا والأعمال الأراديـــة لحزب واحد ؟!! . اذا كان المرء ، يحتفظ بحس واقعي ، لايستطيـع أن يفسر كل تلك التحـولات العميقة والهائلـة ، بأن يعزوها لعمل اعتباطـي للارادة والوعي ، ثم يضعها معارضة للضرورة الموضوعية .

لقد تم انجاز ذلك في مجرى التطور ، متطابقا مع القوانين الموضوعية، عندما نضجت الحاجة للتحول الى حضارة شيوعية جديدة .

---

(١) لينين ـ مجموعة الاعمال الكاملة المجلد ١٣ . ص ٣٦ .

أظهرت التجربة الاجتماعية ، أن اللينينية تعبر عن القوانين الموضوعية لعصرنا الثوري • تبدأ هذه التعاليم من الحتمية المادية • كما أن الاستنتاج حول حتمية الثورات الاشتراكية قد ، تم استقراؤها وفقا لقواعد الدراسة العلمية للممهدات الموضوعية لنضوج الاشتراكية في ظل الرأسمالية الاحتكارية •

يؤكد لينين ، أنه يمكن اعادة تنظيم المجتمع ، وفقا للخط الاشتراكي ويقول : « فقط ، وبشرط ، أن تكون الظروف الاساسية الأقتصادية والاجتماعية والثقافية قد تم خلقها لهذا الغرض في ظل الرأسمالية وبدرجة كافية »[1]• ان تشكيل الاحتكارات العملاقة التي تستطيع السيطرة من مركز واحد ، على مصادر المواد الخام ، وأسواق التصدير ، والمراحل الرئيسية في عملية الانتاج ، ماهي الا دلالة على الدرجة العالية من اجتماعية الانتاج وراء غلاف من العلاقات الانتاجية الرأسمالية • وتجدر الملاحظة بأن الغشاء الخارجي لم يعد يتطابق مع المحتوى ، وهذا أمر واضح • رأى لينين في نضوج النظام الاجتماعي للرأسمالية ، مؤشرا للثورة الاشتراكية العالمية ، وذلك يكمن ، في حقيقة أنه اذا أخذنا الأمر من حيث الشكل ، نجد أنه قد تم التطور في اطار الانتاج الاجتماعي الرأسمالي ، أي ، الآلات ذات التنظيم الاجتماعي للاقتصاد ، الأمر الذي من شأنه في حال انتقال السلطة للطبقة العاملة ، ان يشكل هيكل العلاقات الأقتصادية الاشتراكية • ومن وجهة النظر للظروف المادية ، فان الانتقال الى الاشتراكية قد تم التحضير له بصورة تامة » ••• وحول ذلك ، كتب لينين مضيفا « ترتو الاشتراكية ببصرها نحونا من كل نوافذ الرأسمالية الحديثة : ويتم تحديد معالمها

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٤٢ص ١٧١ •

مباشرة وعمليا في كل اجراء هام ، يشكل خطوة الى الأمام ، وفقا لقواعد الرأسمالية الحديثة . »[1]

أوضح لينين وهو يطور الاسلوب الذي اتبعه كارل ماركس في كتاب رأس المال ، كيف أن اجتماعية الانتاج ، في ظل الرأسمال الاحتكاري ، تزيد من تفاقم تناقضاته الداخلية ، حاملة النظام بكامله الى خضم الثورة الاشتراكية ، كتب لينين .. « يشكل ذلك أعظم القوى المحركة في الفترة الانتقالية من التاريخ ، تلك التي بدأت مع وقت الانتصار النهائي للرأسمال المالي »[2] .

كان لينين يعارض من حيث المبدأ ، أساليب سلوك الارادية الميكانيكية، التي كان يدافع عنها أصحاب نظريات التطور العفوي ، والانهيار الأوتوماتيكي للرأسمالية . ان ديناميكية التناقضات الموضوعية بمفردها ، وبدون النشاط الثوري للطبقة العاملة ، لاتؤمن الانتقال الى الاشتراكية . فالنظام الرأسمالي ليس مجرد قشرة رقيقة تتكسر بازدياد الضغط من داخلها . الرأسمالية لها طابعها التاريخي ، وتمكنها قدرتها العالية على التكيف وأن تجد لنفسها مخرجا من وضع يبدو وكأنه ميؤوس منه ، وعندما لأيتم الاستفادة من حدة تناقضاتها الداخلية من جانب الطبقة الثورية .

ينبثق التأكيد على دور العامل الذاتي ، الذي تتميز به اللينينية ، كما سبق ورأينا من التحليل المادي للظروف الموضوعية ، حول نضوج الثورة.

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٥ ص ٣٥٩ .

(٢) لينين المؤلفات المجلد ٢٢ ص ٣٠٠ .

ففي عصر الأمبريالية يصبح استعداد الطبقة العاملة وحزبها لتحقيق مهمة الضغط التاريخي ، هو القوة الحاسمة ، لكشف الغطاء عن الثورة الاشتراكية وتحقيق النصر •

لم يعالج المنهج الماركسي أبدا ، الحتمية التاريخية على أنها قوة حاسمة تقف فوق الحقيقة التاريخية • يكفي أن نعود لرسائل فردريك انجلز في التسعينيات من عام ثمانماية والف التي تتضمن نقدا عبقريا « للمادية الأقتصادية » • أوضح انجلز ، ان التطور التاريخي هو تفاعل حي لقوى حقيقية تتحرك بارادتها ، بوعي ، وعاطفة ، ولها مصالحها وبرامجها السياسية • وفقط ، عند الحساب النهائي ، تشق قوى الحتمية الأقتصادية طريقها خلال شبكة القوى المختلفة • وعندما يحل الديالكتيك محل ميكانيكة « المادية الأقتصادية » ، يمكن للتاريخ أن يتجرد من حدة الصراع الطبقي ، السياسي والفكري •

ان المفاهيم الميكانيكية وقفت شاهدة مرات عديدة على النظرية التروتسكية ، حول « ركود » الرأسمالية ، تلك التي تترجم دخول الرأسمالية طور أزمتها العامة على أنه توقف كامل لتطورها ، متجاهلة تكيف الرأسمالية ، وقدرة البورجوازية للتعلم من الأزمات والهزائم وقدرتها على المناورة وابتكار اجراءات الوقاية الاجتماعية •

اشار لينين « لا وجود لشيء مما يسمى بالوضع الميؤوس منه بصورة مطلقة » • حتى عندما يكون هناك أزمة ، فعلى الأحزاب الثورية أن تبرهن « بالتطبيق العملي أنهم يمتلكون ادراكا وتنظيما كافيين يقيمون من خلالهما

الصلة مع الجماهير المستغلة ، بارادة وتصميم ومهارة وأن يعملوا على استثمار الأزمة لثورة مظفرة وناجحة » • [1]

وعندما يكون العامل الذاتي على درجة غير كافية من الاستعداد لقلب البورجوازية في ذلك الوضع الدقيق المفترض ، فلن يكون هناك انهيار أوتوماتيكي للرأسمالية • لأن العامل الذاتي للرجعية نشيط أيضا ويمتلك مايكفي من وسائل القمع والتكيف ليحمل سيطرة البورجوازية الى شاطيء السلامة ، ويستطيع ادخال تغييرات في النظام من شأنها أن تثبتت الوضع للموقت الراهن •

ان التعاليم اللينينية حول الحتمية التاريخية للثورة الاشتراكية لم يتم استخراجها من توقع وصول الرأسمالية في تطورها الى الموت ، بل استخرجت من الانضاج المتواصل لحالة الصراع ، من تعاظم التوتر الداخلي وتفاقم تناقضاته•وبما أن أشكال الحركة ، ومظاهر التناقضات في الرأسمالية تميل نحو التبدل ، فان الحل عند الطبقة العاملة لأي مشكلة ثورية جديدة، لايمكن أن يكن متماثلا مع الحلول التي وجدت في الماضي • ان حل المشاكل الثورية الجديدة يكمن في الجهود الخلاقة ، التي تأخذ في الحسبان كل ماطرأ من تغييرات تطويرية من جانب الرأسمالية ، والعناصر الجديدة في استراتيجية وتكتيك البورجوازية •

محاولات الرأسمالية للتكيف

في الظروف الراهنة ، كما في الماضي ، فان الرأسمالية لاتسلم ، الا

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٣١ ص ٠ ٢٢٧ ٠

اذا أجبرت على ذلك ، وهي تتصرف بسرعة أكثر أو أقل في أي ظـرف جديد • فالتغييرات العظيمة التي تمت في العالم ، أثرت لدرجة كبيرة على تطور الرأسمالية ، وأساليبها الاستغلالية ، وكافة أعمال النظام الرأسمالي • وفي الوقت الذي حافظت فيه الرأسمالية على طابعها الاستغلالي ، الا أنهـا مرت في تعديلات ملموسة وهي تبحث عن الخطط في كل الوقت ، تخطط، وتنظم قواها ، في صراعها لتستمر في الحياة •

مازالت الرأسماليـة المعاصـرة تمتلك مـواردا هائلة • كمـا تشكل ميكانيزما متشعبا من أنظمة الدولة الاحتكاريـة ، وتأخذ شكلا كامـلا في البلدان الرأسمالية المتطورة ، وهذا يشكل أداة لتجميع القوى الأقتصادية والسياسية للرأسمالية على النطاقين القومي والاقليمي • كما تبذل الجهود لادخال عنصر التخطيط في الاقتصاد الوطني ، وتم بناء ميكانزم مركـزي للتدخل واستعمال هذا المركز في الأزمات الاقتصادية ، ولتنظيم استخدامه ، والتسريع من عملية النمو الصناعي ، وبكلمة للتعامل مع الثورات الجياشة والتي لاتستطيع الرأسمالية أن تستمر في الحياة معها ، بدون مثل هـذه التغييرات التي تضطر الى التسليم بها •

تلجأ الاحتكارات في عصر الثورة العلميـة والتكنولوجية للاستفـادة من استراتيجية الاصلاح البورجوازي الى جانب استخدامها علنـا ، الاجراءآت القسرية بالنسبة لحركة الطبقة العاملة • تهدف البورجوازيـة أولا ، وقبل كل شيء ، على ضوء الدروس التي تعلمتها من هزائمهـا في الماضي الى تقويض العامل الذاتي للثورة الاشتراكية •

يجابه التاريخ المجتمع الرأسمالي بمعضلة : أما أن يخلي السبيل للاشتراكية التي نضجت ممهداتها منذ وقت طويل ، أو أن يسبق التاريخ الحذلقة ويجد بديلا مقبولا للرأسمال الكبير • (الحذلقة على التطور التاريخي مهما كانت بارعة ، فاجلها محدود وقصير) • المترجم

ان الزيادة التي لم يسبق لها مثيل في انتاجية العمل وتوريد البضائع التي حملتها معها الثورة العلمية والتكنولوجية ، قد زودت البورجوازية الاحتكارية بامكانية ، انتهاج الدولة سياسة التنازلات للطبقة العاملة في الاطار الاستهلاكي ، بدون أن تتأثر أرباحها المتنامية ، وذلك بهدف التهدئة ومنع التبدلات الثورية • وهذه التنازلات ليست هبة بأي معنى أو حال ، فقد انتزعتها الطبقة العاملة خلال نضالها العنيد ، ذلك النضال الذي يشكل في ظروفنا الراهنة عنصرا أساسيا من النضال الاجتماعي بين العمل ورأس المال على النطاق العالمي ، بين الاشتراكية والرأسمالية• تحاول البورجوازية بعد أن أجبرت على هذه التنازلات الوقائية « لطبقتها » العاملة ، أن تلجأ الى أسلوب ، لاستغلال الوضع الجديد ، ليخدم مصلحتها الطبقية ، انه أسلوب قلب الموائد ، وتحويل الخسارة الى مكاسب •

لقد كان اتساع نطاق الاستهلاك بالنسبة للبورجوازية بداية الانطلاق نحو استراتيجية تخفيف حدة التناقضات الطبقية ؛ وقد تم بناء مفهوم « مجتمع المستهلك » مصحوبا بحملة دعائية مكثفة لأستثمار ايديولوجية المستهلك وعقليته ، وللتأثير في الفرد بصورة مصطنعة ليصرف الطاقة الاجتماعية لتحسين ظروفه الآنية المقتصرة على غرفة الرسوم ، المطبخ ـ الكراج ، ولمعارضة ، والراحة المنزلية ، والرفاهية ، بدلا عن النضال

السياسي ، وكذلك لحث السكان ، لشراء السلع التي يقال أنها تلبي مقتضيات « الأعتبار الاجتماعي • الا أنها في الحقيقة لاتقوم بأي دور في تحسين ظروف العامل أو اغنائه ثقافيا • وتم ابتكار أساليب دعائية مبتذلة للسيطرة على العقل والعواطف ، من شأنها أن تحول الانسان الى عبد من أجل الكسب ، وبالتالي ، تكوين نظام يستند الى سيادة روح الكسب • تعتمد البورجوازية الاحتكارية على ذلك القدر من الازدهار المادي ، لتكتسب دعما متواصلا للنظام الرأسمالي •

ويصبح الركض وراء السلع في « المجتمع الاستهلاكي » اجباريا وملزما ، كما يصبح حاجة في مستوى الأدمان على العقاقير • تماما كما أن توفر المخدرات يشكل هروبا مؤقتا من ضغط الواقع ، كذلك يخلق كسب المستهلك حالة من الوهم ، للتحرر المؤقت من الظلم الاجتماعي • هذا في الحقيقة أسلوب جديد تمت مراجعته لتقييد الانسان روحيا وسياسيا بسلاسل الوجود اللامبالي •

ان الاقتصاد الأميركي البارز جون جالبريت ، كان يرفع الستارة التي تختفي وراءها « الأسرار » الاقتصادية ، « للاجراءات الوقائية » للرأسمالية المعاصرة ، وذلك عندما وافق على أن الاشباع الواسع للحاجات المادية الضرورية يجري استثمارها في الولايات المتحدة للتأثير في مضمون ذلك الاستهلاك • كتب يقول « كلما زاد ابتعاد الانسان عن حاجته البدنية كلما أصبح أكثر استعدادا للاقتناع أو ـ لتدبير ـ بما عليه أن يشتريه » [1] ان

---

(١) ج ر ك • جالبريت • « الدولة الصناعية الجديدة » بوسطن ١٩٦٧ ص ٢٠٢ •

ثبات النظام يدعو لايجاد ذلك الطراز من الناس الوثيقي الارتباط بالنظام من خلال الاستهلاك •

« وهكذا تعمل الدعاية ، وما يرتبط بها من فنون ، لتطوير ذلك الانسان الذي تهدف اليه متطلبات النظام الصناعي ، انسان يعتمد عليه في العمل ، الا أنه ينفق كل دخله لأنه دائما في حاجة الى المزيد » [1] •

« مجتمع المستهلك »

لقد ناقش هربرت ماركوز في كتاباته وهو أحد المدافعين عن راديكالية البورجوازية الصغيرة ، النتائج الاجتماعية لاسلوب حياة المستهلك • ان مفهومه من حيث الجوهر الاجتماعي بعيد عن الماركسية بمقدار بعده هو عن الطبقة العاملة ، وهو ينكر رسالتها في الانعتاق • يكفي أن نقول أن ماركوز لم يحدد الخطوط الفاصلة بين الرأسمالية والاشتراكية ، معتبرا كلتاهما أشكالا متنوعة لما يسميه « المجتمع الصناعي » • على كل حال ، لايستطيع المرء أن ينكر الاهمية الايجابية لبعض أوجه نقده لمجتمع المستهلك • فهو يظهر أن المجتمع الرأسمالي يستفيد من تزايد الاستهلاك ليخدم مبادئه الفكرية ، تلك المبادىء التي يتم غرسها كما هي عليه في طراز من الحياة تمت تهيئته بحيث يصبح فيه الانسان على وفاق من حيث الفكر والعمل مع الواقع • يقول ماركوز في مؤلفه « انسان وحيد النظرة » بوسطن ١٩٦٧ ص • (١٢) •

« هناك (في مجتمع المستهلك ـ المترجم) يبرز نموذج للتفكير

---

(١) نفس المرجع • ص ٢١٠ •

والسلوك الاحادي الجانب ، تصبح معه الآراء ، والتطلعات والأعمال من حيث مضمونها تتجاوز العالم القائم على النقاش والبحث والعمل، ولتصبح هذه كلها اما مرفوضة ، أو تتضاءل الى علاقات متبادلة في هذا العالم » • ان موقف المستهلك تجاه الواقع ، وما يصاحب ذلك من توجهات توفيقية ، تجتاح كل مجالات الحياة في المجتمع ، وتخنق في طريقها أية مقاومة جدية للنظام السائد • ان التوفيقية تفسد الفن ، والأخلاق ، والعلم كما تفسد الفلسفة وكل الحياة الثقافية ، كما أن المزيد من الاستهلاك ، لايستطيع « تعويض واقع : أن القرارات حول الحياة والموت ، حول الأمن الفردي والوطني ، يتم اتخاذها في أماكن لايستطيع فيها الأفراد أن يشرفوا على هذه القرارات • ان عبيد الحضارة الصناعية المتطورة هم عبيد متسامون • انهم عبيد ، لأن العبودية واقع سبق وتقرر » •[1]

هذا يعني : أن ماركوز يطأطيء رأسه أمام الاتجاهات التوفيقية « أي مجتمع المستهلك » ، وهو يرى في النهاية ، أنه لايمكن التغلب عليه • ويفشل في رؤية الاتجاهات المضادة الشاملة ، ونهوض القوى الثورية القادرة على قيادة المجتمع لتتجاوز حدود الرأسمالية •

وتبدو هذه القوى لماركوز ، وكأنها ارتبطت كلية بالنظام الرأسمالي • احدى النقاط الهامة في الماركوزية التي تكشف عن نفسها ، تلك هي المتصلة بالعامل الذاتي للثورة • حيث أن مفكر البورجوازية الصغيرة الراديكالية لايرى قوة الجماهير الدافعة لتغير المجتمع • وهذا مايعترف به ماركوز ؛ عندما يرى أن الجماعات المعارضة من الانتلجينسيا الراديكالية،

---

(١) هربرت ماركوز انسان وحيد النظرة ـ بوسطن ١٩٦٧ ص ٥٢ •

والأقليات العرقية المنبوذة ، لاتستطيع القيام بهذا التغيير • الكلمة الأخيرة اذن عند اليسار الراديكالي للبورجوازية الصغيرة ، التي تحاول العمل مستقلة عن القوة الاجتماعية ـ السياسية الاساسية لهذا العصر ، الا وهي الطبقة العاملة العالمية ، هذه الكلمة تكمن في فلسفة اليأس •

في الحقيقة توافق الماركوزية على المعادلة التي يقدمها المدافعون عن الاحتكارات ، اولئك الذين يؤكدون أن الرأسمالية قد مرت في تحولات، ووجدت بذلك لنفسها مخرجا من التناقضات العميقة التي تقرر حتمية الثورة الاشتراكية • وتنسى الماركوزية أن أشكال التكيف ماهي الا جانب واحد من تعاظم دولة الرأسمال الاحتكاري •

أما الجانب الآخر فهو استفحال التناقضات في النظام الرأسمالي •
وهذان الجانبان مترابطان • ذلك ديالكتيك دولة رأس المال الاحتكاري: ان الوسائل المعتمدة لدعم النظام الرأسمالي تنقلب ضده في نهاية المطاف •

عندما ينظر الى العملية من جانب واحد ويؤخذ بعين الأعتبار هذا الجانب فقط ، لايمكن حينئذ رؤية طبيعة ديالكتيك العملية ،وتصبح الفجوات التاريخية للرأسمالية ، الناجمة عن نمو أساليب التكيف ، غير واضحة وقد تختفي • يكتب الينيوس « كون المجتمع يستمر في التطور في ظل الرأسمالية أيضا ، فهذا لايعني أن الحركة الاشتراكية يجب عليها أن لاتناضل لتتجاوز حدود المجتمع الراهن ، على العكس ؛ واجبها أن تساهم في حياة المجتمع وتناضل من أجل تغييره نحو الأفضل ، وحتى أن تعمل على تسريع تطور المجتمع للخروج عن طريق تغييرات تدريجية للنظام من

داخله ... وأن تبني عملها ، وفقا للفرضية التي تقول : بأن الأزمة العامة للنظام الرأسمالي تزداد عمقا ، وأنها بالتالي ستؤدي الى تغيير الوضع . ان هذا يعني كما أراه أن تكون نقطة البداية ، هي السير ابدء من حالة الجمود الشديدة . بالطبع من الممكن أن يطرأ تغيير في الوضع . ولكن يوجد هناك أيضا أسباب ونتوقع معها أن يستمر التطور وفقا لقواعد النظام القائمة حالياً، ومن هنا نجد الأسس التي تسمح للمرء أن يضع نشاطه وفقا لقواعد ديناميكية »[1] .

يبقى المؤلف على حق في الدعوة لأخذ ديناميكية النظام الرأسمالي بعين الاعتبار ، عند صياغة سياسة الطبقة العاملة . ولكن يبدو أنه يرتكب خطأ منهجيا عندما يغض النظر عن الطابع المتناقض للتحول في الرأسمالية . لأنه يضع تطور المجتمع الرأسمالي ، وعمق الأزمة العامة لهذا النظام في كفتين متعارضتين . بينما كل كفة منهما تشكل في الحقيقة احدى جانبي عملية واحدة . أن تفاقم التناقضات الداخلية للرأسمالية أمر حتمي، وكذلك الحال في الاوضاع المتأزمة ، حتى على الرغم من تطور الرأسمالية التي تفرض بالتأكيد « تجاوز حدود مجتمع اليوم الراهن » . لايجوز القبول بهذا التوجيه السياسي في الاعتماد فقط على «التغيير نحو الأفضل» للمجتمع الرأسمالي ، أو على تحويله الى « مجتمع أسرع في تطوره » أو حتى على « تحويل المجتمع تدريجيا من داخله » .

ان هذا كله يعني : انكسار الحاجة الى التغييرات الثورية ، والتسليم بالتحول غير « الثوري » للرأسمالية .

---

(١) الينوس هو رئيس اتحاد الشعب الديمقراطي الفنلندي .

حذر لينين في هجومه العنيف على « الماركسيين الشرعيين » : [1] بأن الخط الفاصل بين الحديث عن ديناميكة الرأسمالية ، وبين الحديث لتبرئتها والدفاع عنها ، هو خط دقيق جدا • لأن الفصل بين حركة النظام وهو في نشاطه ، وبين ديناميكة التناقضات فيه ، تقود الى الموضوعية البحتة، أي فصل ماهو ذاتي عن ماهو موضوعي ، وهنا ينتهي الخطأ في الاسلوب الى خطأ سياسي •

الضرورة الموضوعية للثورة :

كلما ارتفع مستوى تطور دولة الاحتكار الرأسمالي ، وتعاظم اتساع اجتماعية الأنتاج ، كلما ازدادت معهما حدة التناقضات الأساسية للرأسمالية: أي التناقض بين الطبيعة الاجتماعية للأنتاج ، والملكية الفردية للمنتجات ؛ ويقود نمو الرأسمالية اذن الى اعادة ترتيب بناء الثروة الفردية بشكل معين• كما ينتج عن الطابع الاجتماعي للقوى المنتجة تطبيق اجتماعي لرأس المال، وهنا تنتفي الصفة الشخصية المستقلة لرأس المال • ويتم استبدال أشكال الحيازة الشخصية لرأس المال ، بأشكال جماعية ، والى شكل ملكية الدولة ، التي تمثل أعلى درجات الطابع الاجتماعي للانتاج • الا أن الطابع الفردي لملكية رأس المال وطابعه الاستغلالي ، للتطبيق الاجتماعي ، وتنظيم ماكينة الأقتصاد اجتماعيا ، تصبح قضية ملحة • يصاحب عملية زيادة درجة مركزية الاشراف على الأنتاج ، وازدياد عدد العناصر التي تخطط له ،

---

(١) « الماركسيون الشرعيون » : هم اتجاه اجتماعي سياسي ، في أوساط البورجوازية الليبرالية المثقفة ، ظهر في روسيا في أواخر القرن التاسع عشر ، كانوا يرفضون التعاليم الماركسية حول الصراع الطبقي والثورة البروليتارية وديكتاتورية الطبقة العاملة•

اشتداد حدة الشعور ، الى الحاجة لعزل الأقلية المالية ، التي اغتصبت سلطة الدولة ، واشتداد الحاجة ، الى نقل مهمة الاشراف على الانتاج الى المجتمع بكامله •

وهكذا فان منطق تطور الرأسمالية الداخلي ، يدفع الرأسمالية بصورة لايمكن مقاومتها ، الى نقطة ، تصبح الثورة الاشتراكية عندها ،أمرا حتميا لامناص منه •

في الوقت الذي تجد فيه الرأسمالية نفسها عاجزة عن التخلص من تناقضاتها مثل : فقر الجماهير ، البطالة الأزمات الأقتصادية ، ونزاعات الرأسمالية فيما بينها ، فانها تدخل في أشكال جديدة من التناقضات • ان ان اشتداد حدية العمل ، تحمل معها درجة اكبر من استغلال الطبقة العاملة • كما أن اضفاء طابع التسلح على الاقتصاد ينجم عنه استحواذ المنجزات العلمية والتكنولوجية للاغراض العسكرية • يضاف الى ذلك أن التوسع في تركيبة مؤسسة الصناعة العسكرية ، للامبريالية يهدر ويبتلع ماينتجه عمل الانسان وذكاؤه • ان النمو في انتاجية العمل لايصاحبه زيادة مماثلة في حجم الانتاج • فالتكنولوجيا الحديثة ، بما تقدمه من آفاق لم يسبق لها مثيل للاقتصاد في الوقت والعمل ، قد وفرت بذلك ، امكانية التطوير الشامل لطاقات الانسان الخلاقة ، ولاشباع احتياجاته الثقافية • الا أن الرأسمالية تمنع تحقيق تلك الامكانية ، وبذلك تجعل من نفسها معرقلا للتقدم الحضاري •

يرسم مفكرو البورجوازية المعاصرون ، صورة زاهية لما يسمونه « بمجتمع مابعد الصناعة » او « العصر التكنوقراطي » ، «السبق الحضاري»

حتى عندما يقرون بوجود مشاكل معينة ، فهم يعزونها لاسباب تكنيكية ـ أقتصادية ، بدلا من أسبابها الاجتماعية الطبقية • احد النماذج العصرية هو ر • جارودي • فهو عمليا يستبدل مشاكل الثورة الاجتماعية ، بمشاكل القدرة العلمية والتكنولوجية ، وعلى الدرب التاريخي الجديد » ، « الانسان بابعاده الجديدة » ، الذي يفترض أنه ظهر الى الوجود ، فقط ، نتيجة الاكتشافات العلمية والتكنولوجية ، وليس نتيجة الثورة الاجتماعية •

أحد نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية ، هو الأتمتته • وهذه تقلل كثيرا من الحاجة لمشاركة الانسان المباشرة في العملية الانتاجية • وهذا من شأنه في ظل الرأسمالية أن يحمل معه قسرا صراعات حادة • كما يحوم من وراء الأتمتة شبح البطالة الجماهيرية ، والكسل الاجباري ، والاتكالية والسخط العام • لأن الأتمتته تتطلب درجة عالية من التعليم عند العامل ، وهذا بدوره يتضمن نمو وعيه السياسي ، ونشاطه الاجتماعي ، الذي من شأنه أن يسعر المشاعر المناهضة للرأسمالية •

ان ارتفاع انتاجية العمل ، تخلق معها الممهدات لتطوير ثقافة الأنسان • وعلى كل حال ، لايمكن تحقيق هذه الممهدات في مجتمع يحرك نشاطه تحقيق الربح اولا وقبل كل شيء • حقا تجرى الدعوة لاهداف اكثر نبلا ، ـ فمنذ أقدم العصور والانسان يكافح من أجل الحرية ، والمعرفة والانسجام ـ الا أن كل هذا الأمور يتم قهرها وتبقى حبيسة لهيمنة رأس المال •

تواجه الرأسمالية مشاكل اكثر حدة : مشاكل التنظيم الواعي للاقتصاد

---

(١) راجع تيودور بيتكوف كركارلس ١٩٧٠ ص• ١١ •

وغيره من العمليات الاجتماعية ، مشاكل الاقتصاد العالمي والتكامل الثقافي ، تحقيق المساواة الاجتماعية ، وكذلك مشاكل تحقيق السلام الدائم ، وما يسمى ، بالشعوب « الفقيرة » « والغنية » ، بالاضافة الى مشكلة « الانفجار السكاني » • والعالم الرأسمالي غير قادر على ايجاد الحلول المعقولة لأي من هذه المشاكل •

لا يستطيع مفهوم « مجتمع المستهلك » تزويد الرأسمالية ، على الرغم من المستوى العالي لتطورها الصناعي ، أن تشبع الحد الأدنى من احتياجات الاعداد الكبيرة من الشعب العامل • نجد مساحات شاسعة يسودها الفقر في البلدان الرأسمالية « الغنية » ؛ ولا حاجة للقول شيئا عن ورطة شعوب المستعمرات السابقة في محيط الرأسمالية •

ان النظرة نحو مجتمع المستهلك ، وما يرافق ذلك من آراء توفيقية متصلة به ، تصيب المجتمع بمرض اللاأبالية والتكيف ؛ ويولدان معهما مناخا ضاغطا نحو الانحدار في الاخلاق ، وهذا مايتنافي مع الطابع العام لعصرنا الراهن ، ولطبيعة الثورة العلمية والتكنولوجية والتطور الثقافي السريع للبشرية • ان طراز الحياة في « المجتمع الاستهلاكي » يبرهن على افلاس الايديولوجية الرأسمالية ، وعدم تلائمها مع القيم التي تلهم الانسان العصري ، تلك التي أصبح من الممكن تحقيقها ، نتيجة البناء الثوري الجديد للعالم ، والانجازات غير العادية للعلم والتكنولوجيا • ان اليقظة العالمية لمثل هذا التناقض ، تعني العداء للرأسمالية على نطاق عالمي • ان احتجاج المثقفين ، وتمرد الطلاب والشباب ماهي الا المظاهر الأولى للاشمئزاز الواسع النطاق من النفاق والرياء ،والسخرية من النوازع البشرية وقذارتها والعقم الروحي « للمستهلك الرأسمالي » •

ان الجذور العميقة لاسباب الاضطهاد والقهر للطبقة العاملة وظروف ذلك لاتكمن في مسألة الاستهلاك ، انما تكمن في علاقات الملكية السائدة • والى أن يتم تغيير هذه الظروف بصورة جذرية ، فان التجربة العملية ، سوف تبرهن للعمال باستمرار ، أنه حتى ظروف المعيشة الأعلى نسبيا لاتخلصهم من الظلم الاجتماعي ، وانعدام الطمأنينة ، وعدم الرضى من حياتهم • عندما يتم الوصول الى درجة معينة من مستوى المعيشة ، ودرجة معينة من التطور الثقافي ، فان الشعور بالحاجة الى تطوير قدرات الفرد بحرية ، وأن يكون حرا في تحديد غرضه من الحياة ، هذا الشعور ، تحوله التجربة بعنف الى حاجة فيسيولوجية ، لم يتم اشباعها • لقد وضع أطراف الجبهة الأمامية للطبقة العاملة في المقدمة ، المهمة العاجلة ، وهي : حق العمال في المشاركة التامة في الحياة الاجتماعية ـ الاقتصادية ، والحياة الثقافية أيضا • ذلك هو تحرك الطبقة العاملة وجوابها « للرأسمالية الاستهلاكية » • هذا الموقف يتلائم مع ماتقوم به الجماعات الأخرى من احتجاج ، يجعل من مطلب الطبقة العاملة سباقا في الهجوم الثوري على سلطة الرأسمال الاحتكاري • أشار المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي في قراره « ان محاولات الرأسمالية للتكيف مع الظروف الجديدة لاتؤدي الى ثباتها كنظام اجتماعي » •

الديالكتيك حول ماهو موضوعي وذاتي :

ينهض المفهوم الماركسي حول الحتمية التاريخية ، وفقا لديالكتيك ماهو موضوعي وما هو ذاتي • هذان الوجهان للعملية الثورية ، متصلان بصلة وثيقة • لأن الحاجة الموضوعية للتحولات الثورية ، توقظ نشاط

الطبقات ، وفئات المجتمع التقدمية ، عندما يتجسد هذا النشاط بالوعي والأعمال الهادفة ، ويحمل معه تغييرات موضوعية •

ان حدود العلاقة بين الموضوعية والذاتية محددة وليست مطلقة ، كما يشهد على ذلك ، واقع أن تعريف كل منهما يبقى شرطيا الى درجة معينة• يمكن القول : أن ذلك يعتمد على المنهج الذي يتم اختياره للبحث • تشكل الحركة الثورية بالنسبة لنظام معين العنصر الذاتي ، هذا اذا اعتمدنا المعنى الواسع ، الا أن المرء يستطيع أن يستخرج من هذه الحركة الثورية جانبها الموضوعي ، (مثل ظهور ونمو الطبقات الثورية ، طاقتها والعلاقة فيما بينها) •

وفي نفس الوقت يمكن استخراج الجانب الذاتي (مثلا : مدى فهم الطبقة لموقعها ، دورها ومهامها ، واستعدادها لانجاز هذه المهام ، واتقان الحزب السياسي وضع البرنامج ، الاستراتيجية والتكتيك للصراع الطبقي ،) • الا أننا اذا بقينا داخل اطار حزب واحد ، فان الحدود بين ماهو موضوعي وما هو ذاتي سوف تتغير • ولا يكون ذلك فيما يتعلق بالبيئة الاجتماعية للحزب وحسب ، بل وأيضا بأشكاله التنظيمية القائمة ، وأساليبه النضالية ، كما أن التقاليد سوف تبدو بوصفها ظروفا موضوعية لنشاطه في لحظة معينة • كما أنه في أثناء بناء النظرية باحكام ، تكون الافكار التي سبق لها واخذت دورها في الانتشار كاداة ، لتقييم الاوضاع ، تعمل كما يتم طرحها بصورة موضوعية بالنسبة للعمل الذهني والنظري للمفكرين • ان رسم الخطوط العريضة بين الموضوعي والذاتي في الحركة الثورية ، من المحتمل أن يكون أرجح لهذا أو ذاك ، وذلك يعتمد على النقطة موضع البحث •

يتعارض ديالكتيك الموضوعي والذاتي ، كما تجسده اللينينية ، مع كل من محاولة التقليل من دور الجانب الذاتي ، وطرحه على أنه لايزيد عن كونه مجرد انعكاس لصورة الظروف الموضوعية ، ومحاولة الفصل الأرادي بين النشاط الواعي والوضع الواقعي • تتميز اللينينية بموقف ثوري نشيط تجاه الواقع • فالعمل وفقا لقواعد الظروف الموضوعية ومتطلباتها يتبعهـا فورا دور العامل الذاتي للمبادرة في التغيير الثوري • وبهذا المعنى يمكن اعتبار المفهوم اللينيني للثورة ، على أنه نظرية المبادرة التاريخية •

تطورت اللينينيـة في غمرة النضال ضـد النزعات الفلسفية التأمليـة الجامدة • ان منظري الأنتهازية حولوا الماركسية الى نظرية تجريدية غير عملية ، معولين على ممهدات الاشتراكية • كما جردوا المبدأ الماركسي من جوهره ـ وهو التحـام النظرية الثورية بالعمل الثـوري ، الذي يأخـذ شكل الصراع الطبقي العملي • أصبحت النظرية كما ترجموها منهجا متخلفا لاحياة فيه ، حيث حددوا للطبقات والاحـزاب ، والقادة السياسيـين دور المميزين ، بحيث يتم تقرير كل خطوة بشكل مسبق • كان لينين يهـزأ من الانتهازيين اليمينيين الذين قوضوا أسس الماركسية ، وأكد لينين « ان محاولة حساب الفرص بدقة تامة سلفا لايزيد عن كونه شعوذة أو حذلقة لارجاء منها » • [1]

لأن مثل هذا الطرح يتجاهل العنصر الرئيسي للتصور العام ، الا وهو الروح الثورية الخلاقة للطبقة العاملة • تم النظر في التاريخ من وجهـة النظر الموضوعية لمراقب نزيه مدخـلا في حسابه كل الاحتمـالات وليس

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ١٢ ص • ١١١ •

« من وجهة نظر اولئك الذين يحسبون الاحتمالات سلفا دون أن يكونوا في وضع يسمح لهم بذلك وبصورة معصومة عن الخطأ » [1] .

يريد الأنتهازيون اليمينيون والمنظرون غير العمليين منهم ، أن يضعوا جدولا زمنيا في السير نحو الاشتراكية ، وهذا من شأنه أن يعرض الاعمال الثورية الباسلة للمخاطر واحتمالات الخسائر التي لاداعي لها . ويريدون أيضا أن يتم التحول الى الاشتراكية « من تلقاء نفسه » بعد أن تنمو القوى الانتاجية وتطور الواقع الموضوعي ، بدون نضال مرهـق ، لاينتفي معه ، امكانية التراجع المؤقت ، ولا احتمالات الهزائم الجزئية . وعلى كل حال ، يهيء نضوج الظروف الموضوعية فقط ، امكانية التحول نحو الاشتراكية. أما كيف يمكن تحقيق ذلك والى أي مدى ، وبأية سرعة ، كل ذلك يعتمد على العامل الذاتي ـ على قوة الطبقة العاملة ، وقدرتها على العمل الثوري الجسور ، بالاضافة الى موقع حزب البروليتاريا السليم .

قدم انطونيو جرامسكي احد مؤسسي الحزب الشيوعي الايطالي ، وهو نظري ماركسي بارز ملاحظة هامة،وهي أن السياسة الثورية النشيطة تتضمن عنصر الافتراض ، وليس فقط اعتبارات الحالة الموضوعية . يقول: « من الضروري أن نعمل وفقا لقواعد الواقع الحقيقي ، ولكن لايجب أن نعمل بصورة لاتساعدنا على تجاوزه والتغلب عليه من أجل الوصول الـى الهدف » . ومن هنا يكون العمل الأيجابي المباشر « الزاميا » يضاف الـى ذلك حقيقة يدعمها التاريخ ، تلك هي أن التاريخ والفلسفة عندما يترجمان الى العمل تصبح هي السياسة صحيحة.من السمات المميزة لفلسفة السياسية

---

(١) لينين . المؤلفات المجلد ١٢ ص ١١١

اللينينية ـ هي موقفها النشيط نحو الواقع ، نحو القضايا الناضجة للحل ـ وهذا ماتراعيه اللينينية بدقة •

من الضروري أن نضيف الى مايجري من تغييرات موضوعية ، تلك ، التي تخلق معها امكانية الثورة « قدرة الطبقة الثورية » لتقوم بعمل ثـوري جماهيري قوي لدرجة كافية لكسر (أو خلخلة) الحكومة القديمة ، تلك الحكومة التي لايمكن أن تسقط حتى في فترة الأزمات ، مالم يتم الاطاحة بها »[1] ان ضعف العامل الذاتي ، وغياب المبادرة الثورية يمكن أن يؤديا، كما سبق وحصل في تاريخ حركة الطبقة العاملة ، لضياع الفرص ، التي لايمكن أن تعود ثانية بنفس الشكل وفي نفس القطاع من جبهة الثورة على النطـاق العالمي • وهـذا لايعني أن الاتجـاه التاريخي الشامل للتطـور التقدمي ؛ سوف يتوقف • فعلى المدى البعيد ، ستوقظ الحاجة الموضوعية للتغيير الثوري الطبقة المتطورة لتعمل ، الا أن الطريق سوف تكون أطول وأكثر صعوبة ومعاناة •

المبـــادرة الثوريـة :

عندما دحض لينين مناقشات المنشيفكي الروسي سوخانوف ، استعار مقولة نابليون « أبدأ أولا في معركة جدية ، وبعد ذلك سوف نرى ما الذي يحدث » وكتب لينين يقول : « حسنا ، بدأنا نحن معركة جدية في اكتوبر ١٩١٧ ، وبعد ذلك رأينا مايتعلـق بتفاصيل التطـور (فمن وجهة النظـر التاريخية كانت هذه الأمور تفاصيل بالتأكيد) سلم بريست ،ومثل السياسة

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢١ ص ٢١٤ •

الأقتصادية الجديدة وما الى ذلك • والآن لايوجد أدنى شك أننا كنا مظفرين في القضية الاساسية » • [1] ان هذا المقتطف درس بليغ • لأنه يتحدث بصوت داوي ، معارضا أطروحة الانتهازية اليمينية في منهجها التأملي السلبي ، والتي تحاول أن تعزو عدم نشاطها وخوفها من النضال الثوري ، لعدم توفر الظروف الموضوعية ، ونظرا للمخاطر الشديدة التي يحملها معه الصراع الطبقي في أشكاله وأساليبه الأكثر حدة • يؤكد لينين أن مدى احتمالات انتصار الثورة التي تبدو للوهلة الأولى غير مؤكدة ، تعتمد على مجال نشاط الطبقة العاملة وحزبها • مع النشاط تنفتح ممرات جديدة نحو طريق النصر ، ماكان لها لتنفتح من تلقاء نفسها ، بدون العمل الثوري الخلاق الذي يصنع التاريخ • كتب لينين ، وكأنه يتنبأ باحتمال تراجعات في أشكال الاتجاهات الانتهازية اليمينية قائلا : « لم يخطر ببالهم حتى ولا في الاحلام أن انجاز الثورات يمكن أن يتحقق خلاف ذلك » [2]•

جرت محاولات من جانب نقاد اللينينية لترجمة المبادرة الثورية التي تشكل سمة غير قابلة للتبديل في المنهج اللينيني ، على أنها مظهر من مظاهر الذرائعية •

لقد عرض هذا الرأي البروفسور أندريه مايـر ، من الولايات المتحدة في الندوة العالمية التي عقدتها اليونسكو والمكرسة ، للذكرى المئوية لميلاد لينين في ابريل عام ١٩٧٠ • يرى هذا البروفيسور ، أن عبارة نابليون التي استعارها لينين تؤكد أن لينين كان « عبقريا ذرائعيا ، مع « نزوة ضد النظرية » كما كان حريصا على « دقة وشاعرية الديالكتيك » •

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٣ ص ٤٨٠ •

(٢) لينين المؤلفات المجلد ٣٣ ص ٤٨٠ •

يؤكد البروفيسور ماير أن لينين « قضى حياته وهو يقطع عقدة جورديان [1] بضربات جسورة ، وهذا كما يبدو لي ـ الكلام لماير ـ سمة غير ديالكتيكية » •

وهكذا يصبح الديالكتيك عند الاستاذ ماير ؛ مجالا تأمليا محضا ، لايمكن تناوله في التطبيق العملي والممارسة ، وأن تدخل الديالكتيك الوقح في الممارسة ينزع عنه « دقته وشاعريته » أي المتعة النظرية للواقع • أن مايدعوه الاساتذة الروحانيون الأرستقراطيون ، بالذرائعية ، هو بالضبط ماتعتني به السياسة الحقيقية ، تلك السياسة التي تم في اطارها صنع التاريخ الأصيل ، عبر المعارك الطبقية المريرة ، والعواطف الجياشة المضطربة ، والصراع بين الآراء • ان فرض الفيتو على الممارسة العملية ، يعني أنهم ينفصلون عن الحياة ، بضرب سياج يحيطون به أنفسهم ، الأمر الذي يؤدي الى انهيار مشاريعهم الحالمة ، بعد أن خلقوها ، وهم مسترخون على مقاعدهم ، جاعلين من أنفسهم أوصياء على مصالح الطبقة العاملة ، نعم اولئك هم الذين يخشون ديالكتيك التاريخ •

صهر لينين النظرية بالممارسة العملية ، من أجل التحويل الثوري للعالم • وكان بذلك ملتزما بمقولة ماركس : « قام الفلاسفة حتى يومنا هذا ، بمجرد تفسير العالم ، الا أن الأمر الهام هو تغييره • مايبدو عند الاستاذ ماير ، أي الانطلاق نحو العمل النشيط ، بأنه « سمة غير

---

(١) عقدة غورديان : هي عقدة أحكم شدها غورديوس ملك الفرنجة ، وقيل في ذلك ، أن أحد لايستطيع حل تلك العقدة الا سيد آسيا المقبل ... الى أن جاء الاسكندر الأكبر وقطعها بسيفه •

ديالكتيكية » ، يصبح في الحقيقة عنصرا أساسيا وضروريا للديالكتيك العلمي متميزا بذلك عن الديالكتيك التأملي ؛ ولا يمكن حل عقدة جورديان بالتفكير فقط •

عندما ينتهي التحليل النظري القائم على قواعد الممارسة ، ودراسة الحالة الموضوعية ، الى تأكيد ضرورة التغير الثوري ، عندئذ يأتي دور السياسة العملية لتأخذ بيديها الزمام • ان الضرورة تتم صياغتها بمساعدة النظرية لتكون مشكلة عملية ، الا أن حل هذه المشكلة العملية ، يتطلب تجاوز حدود النظرية ، والدخول الى مجال الصراع السياسي الجماهيري •

ان مدخل الديالكتيك اللينيني نحو العلاقة المترابطة بين النظرية والممارسة ، لايجمعه أي جامع مع الذرائعية • كما لايرتبط بأية علاقة مع الصفات التي ألصقها بها تيودور بتكوف ؛ الذي يقر أن لينين « برهن على مقدرته في تقييم مميزات الوضع القائم ، وينهض بشجاعة لاتخلو من المغامرة بوجه عام للاستيلاء على السلطة •» [1] ان تأكيدات بيتكوف ، حول النظر في عناصر المغامرة في سياسة لينين ، تجري ضد الحقائق ، وهي تعتمد على نظرة وحيدة الجانب الى أقوال لينين ، تماما كما هو الحال عند الاستاذ مايـــر •

بقي لينين يرى ، أنه على ضوء تحليل الوضع في روسيا والعالم ، فان الظروف لم تكن ناضجة بعد للثورة البورجوازية الديمقراطية ، وهنا لم يكتف لينين بعدم اطلاق صرخة المعركة ، بل فضح الطبيعة المغامرة للنظريات والشعارات التروتسكية • الا أنه عندما نضجت الظروف الموضوعية ، أصبح

---

(١) تيودور بتكوف الاشتراكية في فنزويلا ص • ٨٤ •

من الضروري البحث في العمل الثوري ، عن الوسائل العملية لانجازالثورة، التي لايمكن اكتشافها بالتأمل • وتم فصم « عقد جورديان » بالنشاط العملي للطبقة العاملة • ولم يكن هناك سبيلا آخرا •

يضاف الى ذلك ، مشكلة التكتيك لاختيار اللحظة الصحيحة لبدء العمل • وتم حل هذه المسألة أيضا من موقع محدد • كان لينين ضد « الدخول في المعركة في ابريل وحتى تموز ١٩١٧ ، لأن توازن القوى لم يكن ملائما ، ولأن الجماهير لم تكن مستعدة للسير وراء الطليعة في عملية المجابهة • الا أن لينين ، رأى في اكتوبر ، وصرح ، أن أي تأخير في التحرك ، سيكون قاتلا • وتم اختيار لحظة الأعمال الحاسمة ، وفقا لمبادىء التقدير على ضوء الرؤيا الواضحة للوضع الياسي ، (التوازن بين القوى السياسية ، ووضع الحكومة ، واستعداد الطبقة الثورية للعمل) الذي له قوانينه الخاصة في التطور والحركة •

يشجب نقاد اللينينية عملية الانتقال من النظرية الى الممارسة العملية، باعتبار ذلك انتقال الى عالم الصدفة • يقول الاستاذ جون كيب من جامعة لندن : « مايمكن اليوم تسميته أحيانا عند لينين بالعامل س » ، أي العنصر الذي يستطيع عن طريق الصدفة تقرير كافة الفوارق ، بين النصر والهزيمة والذي لايمكن التنبؤ به من قبل ؛هذا ولاشك بعد نظر ثمين ، الا أن ذلك لا يمكن ملائمته مع الحتمية الماركسية المتعارف عليها • » [1] وهنا فان الاستاذ كيب يهاجم اللينينية من وجهة نظر المفهوم الميكانيكي للحتمية • ويعارض المبادرة الثورية بالحتمية • فاذا كان كل شيء قد تم تقريره سلفا ، فلم تعد هناك حاجة للمبادرة التاريخية • عندما تؤخذ الأمور بمفهوم

---

(١) لينين ـ الرجل ـ النظري ـ والقائد ـ توطئة ليونارد شابيرو نيويورك ١٩٦٧ ص ١٤٦ •

الديالكتيك ، فان مجرى العملية الثورية الحية تبرز معه الحاجة للتغيير الثوري ، كما تبرز من خلال نشاط كافة القوى الاجتماعية والسياسية •

ان التحليل النظري « البحث » يستطيع أن يكشف الاتجاهات العامة للتطور ، الا أنه لايستطيع الكشف عن **كل الاحتمالات** ، ذلك لأن النشاط العملي للقوى الطليعية ستبقى خارج اطار الرؤية الواضحة للتحليل • علما بأنه كلما تعاظمت كتلة الجماهير الشعبية التي تنشط سياسيا ، كلما زادت رحابة الامكانيات التي كان يغفلها الاسلوب التأملي ، (وفي هذا الصدد نستعيد فكرة لينين ، وهي أنه في الأيام الثورية تتوسع حدود الامكانيات المتوفرة) مع هذا وذاك ، يتضح اكثر ، أن الاستنتاجات والتقديرات القائمة على التحليل المطلق غير دقيقة • ان المقياس الصحيح للامكانيات في وضع تاريخي محدد ، لايمكن تأكيده بمساعدة النظرية فقط • يجب أن يضاف الى النظرية **المبادرة العملية للطبقة المتطورة** (١) **وطليعتها** ، وهي تعبد الطريق ، للتحولات الثورية • لايكمن الشيء الهام في « العامل س » الصوفي ؛ بل يكمن في الطبقات الفعلية لكل الطبقات والاحزاب ، ودرجة استعدادهما ، لانجاز المهام الملقاة على عاتقهما ، التي تتكشف في النضال العملي • البحث العملي عن الامكانيات والاتجاهات لتطور الثورة ، لايذهب الى مدى أبعد من الحتمية التاريخية بل يشكل جزءا من مضمونها •

النشاط الثوري والبيئة •

يشكل البحث الدائم وراء امكانيات العمل الثوري ، جانبا وجزءا من النظرية والممارسة اللينينية • ولما كان هذا العمل يجري في بيئة اجتماعية

---

(١) التشديد من المترجم •

محددة فمن أجل ضمان النجاح ، يجب أن يتناسب هذا العمل مع طبيعة البيئة وديناميكيتها • تختلف اللينينية عن راديكالية البورجوازية الصغيرة حول هذه المسألة ، فهي تدعو لموقف نشيط نحو الواقع دون أي اعتبار لظروف البيئة • وترى أن العامل الحاسم الوحيد في النشاط الثوري، هو الارادة في العمل الثوري والتصميم على الكفاح • تتوجه البورجوازية الصغيرة الراديكالية دائما ، نحو العمل الثوري المباشر ، في حين أن المفهوم اللينيني حول اللجوء الى ذلك الشكل يبقى رهن وجود وضع ثوري يبرر زج الجماهير العريضة في الحركة السياسية •

أما عند الراديكاليين اليساريين ومنظريهم ، فالأمر يختلف ، فهم يرون أنه اذا لم يكن هناك وضع ثوري ، **فيجب خلقه بمبادرة شجاعة من جانب الثوريين لشن هجوم مسلح علنا** • مثل هذه الآراء ، وجدت تعبيرا عنها في نظرية البؤرة المرشدة ، التي جرى الدفاع عنها لمدة طويلة في موضوعات روجيه ديبريه ، كتب ديبريه « الفوكو » ـ البؤرة المرشدة ـهي مجموعة من رجال الغوريلا ، تتألف مبدئيا ، من عشرة الى ثلاثين محترفين ثوريين جرى اعدادهم جسمانيا للنضال المسلح • ويكون موقعها ، مثل موقع فتيل التفجير ، في الجزء الأقل ضعفا من الشحنة المتفجرة • ومن هناك سوف تنمو تدريجيا تماما « مثل بقعة الزيت » ، ناشرة معها نفوذها وتأثيرها المركزين الى جماهير الفلاحين ، ومن ثم الى سكان المدن المتوسطة، وفي نهاية المطاف الى العاصمة • » كما يستمر النمو « منطلقا » من الأقلية المعزولة الى الأقلية التي تشكل نواة الحركة الشعبية لتصبح أخيرا ، محركة لمد لايمكن التغلب عليه • » [1] وهكذا فبؤرة الغوريلا عبارة عن « محرك صغير » ، أما حركة الجماهير فهي « المحرك الكبير » وتتطور العملية باتجاه

---

(١) لتمبب مودرن ـ الأزمنة المعاصرة رقم ٢٢٤ •

صاعد من الأصغر الى الأكبر مع استمرار « المحرك الاصغر » في تحريك « المحرك الأكبر للجماهير » • [1]

مثل هذه المعادلة البسيطة المضللة ، توجه الثوريين نحو العمل المباشر بشكل تسيطر فيه الخيالات الجامحة •

الا أنها تبالغ في تبسيط الروابط المعقدة القائمة بين : الحالة الموضوعية ، حركة الجماهير ، ونشاط القوى الطليعية للثورة • وينشأ الهوس على أن كل شيء يعتمد على أن يبدأ « المحرك الصغير » بمعنى : كل شيء يعتمد على العمل المسلح المباشر لمجموعة من المقاتلين الذين كرسوا أنفسهم لقضية الثورة ، وذلك لأن شجاعة الجماهير ، وهي تتحدى قوى العدو المتفوقة عليها سوف تثير الاعجاب • وغالبا ماتولد هذه المحاولات حتى في حالة فشلها نتائج ايجابية ، لأنها تكتسب مؤيدين جديدين الى جانب الثورة ؛ ولكن هنا يكمن الخطر الذي حذر منه لينين بقوله « لايمكن احراز النصر بالطليعة فقط ، لأن زج الطليعة في معركة حاسمة قبل أن تكون الطبقة كلها ، والجماهير العريضة قد أخذت لنفسها موقعا : اما في المساندة المباشرة للطليعة او على الأقل موقفا حياديا متعاطفا مع الطليعة ، او تعطيل مساعدتها للعدو ، مثل هذا الموقف ليس مجرد غباء ولكنه جريمة » • [2]

يتجاهل منهج الراديكاليين اليساريين ، ديالكتيك تكوين حركة الجماهير الثورية ، وعملية الانتقال الى الثورة • ينبثق هذا المنهج من

---

(١) روجيه ديبريه ـ ثورة في الثورة ص • (٨٤) •
(٢) لينين المؤلفات المجلد ٣١ ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ •

الفكرة المثالية ، التي ترى ، أنه كلما تعمقت النزاعات في النظام الاستغلالي، الذي يقرر حتمية الثورة ، كلما واصلت الطاقات الثورية للجماهير عملها بثبات ، للوصول الى النقطة القريبة من الصدام ، وهذا يشكل حافزا دافعا لوضع الجماهير في حالة الحركة بدرجة كافية •

ان واقع الأمور ليس بمثل هذه البساطة • لأن بروز حركة الجماهير يعتمد على مجموعة من العوامل الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، النفسية ، وعوامل أخرى • فالتناقضات **في أسلوب الانتاج** لابد لها أن تشق طريقها الى اطار العلاقات الطبقية ، الى المجال السياسي ، ثم تتطور الى أزمة في السلطة • ان السخط الذي تراكم على مدى السنين والاحقاب، لابد له أن يتحول ، الى خميرة سياسية جماهيرية من شأنها أن تصبح مصدرا لطاقة اجتماعية للعمل الثوري • تحتاج الثورة الى وضع اجتماعي سياسي ملائم • صاغها لينين بايجاز :

« آ ـ : الفئات الدنيا لاتريد • والفئات العليا لاتستطيع •

ب ـ : تفاقم المشاكل •

« ج ـ : نشاط خارق للعادة • « [1]

تلك هي المتغيرات الموضوعية مجتمعة والمستقلة عن ارادة الفرق الاجتماعية والاحزاب والطبقات ؛ كما وصفها لينين بالوضع الثوري•وبدون ذلك ، وكقاعده عامة أشار لينين ، فان الثورة تكون مستحيلة • ان الوضع الثوري هو المؤشر لنشاط الجماهير السياسي • وهو يعبر عن تلك اللحظة

---

(١) لينين : المجموعات الكاملة : الطبعة الروسية مجلد ٢٦ ص ٣٧٩ •

التي يتطور فيها الصراع الطبقي وعندما تبدأ طاقات ونشاط الجماهير تتحول الى طاقة وعمل ثوري تضمن معها مساندة الجماهير للطليعة الثورية •

لايمكن خلق الوضع الثوري :

ان ميكانزم بروز الوضع الثوري معقد ودقيق • يكمن هـذا على وجه التأكيد ، في اطـار العلاقات الاجتماعيـة ـ السياسية بين الطبقـات والأحزاب ، وبين ما هو موضوعي وذاتي ، والتقاء الضرورة التاريخية مع النشاط الواعي للجماهير ، وبتحول هذا العامل الى ذاك • حيث يثير تفاقم التناقضات الاجتماعية ـ الاقتصادية ونشاط الطبقة المتطورة ، وهذا بدوره يصبح عنصرا ضروريا لمزيد من التطور •

ينشأ الوضع الثوري مباشرة من التناقضات بين الطبقات ، وبين البنيـة السياسية العليا وجماهير الشعب ، الذين يرفضون الاستمرار على طريقـة الحياة القديمة لمدة أطول ، وكذلك ينشأ الوضع من التناقضات في البنيـة السياسية العليا نفسها • يتضمن ديناميك هذه التناقضات ماتقوم به الطبقـات من أعمال الى جانب عمل الاحزاب والقادة السياسيين ؛ ومحافظتهم وثباتهم على النهج الذي اختاروه بأنفسهم ، بتأثـير ظروف الحياة والصـراع • وبالتالي يأتي نشاط الطليعة الثورية ليكون اداة التأثير في هذا الوضـع • عندما لايكون الوضع الثوري قد أخذ شكله الكامل بعد ، مع وجود دلائل على ظهور خميرة سياسية واضحة ، حتى في مثل هذا الوضع يمكن لنشاط الطليعة العنيف (وهذا يشمل الظروف المواتية والنضال المسلح) أن يعجل من انضاج الوضع ودفعه نحو الثـورة • هكذا كان الوضع في الثـورة الكوبيـة •

أثار رودني ارسمندي الى احتمالات تطور الأحداث على هذا النحو في ظروف ، « وضع ماقبل الثورة » وأكد « أن قدرة الطليعة للتدخل في مجرى الاحداث يشكل جانبا لايمكن فصله عن العملية الجارية » •

من الواضح على كل حال ، أن نظرية البؤرة الملهمة تعالج قضية النضال المسلح ، لا بوصفه من الوسائل ، التي من شأنها تسعير الخميرة السياسية المتوقعة ، بل على أنه مصدر وسبب الثورة الأول • من المؤكد أن النضال المسلح لجماعة من المتمردين على السلطة يساعد على تحريك الجماهير ـ بشرط أن يتم تنسيقه بصورة ملائمة مع الآخرين ، الأكثر قوة ، لتوليد الوضع الثوري موضوعياً • والا فإن نشاط الأقلية المسلح سوف يواجه حائطا مسدودا من الغموض ، وموقف الجماهير السلبي ، كما دلت على ذلك التجربة المأساوية للعديد من بلدان أميركا اللاتينية • يشهد تاريخ الثورات على أن الجهود التي يبذلها جماعة من الثوريين بغض النظر عن كل ماتقدمه من تضحيات ، لاتستطيع أن تخلق وضعا ثوريا • وكان مآلها عادة الهزيمة •

ليس العامل الذاتي هو العامل الحاسم في الواقع الحي ، كما أن امكانياته رهن بظروف البيئة • والوضع الثوري لايتم خلقه بالاعمال الأرادية للثوريين • لأنه ينبع من تطور الحالة الموضوعية التي يمكن التأثير فيها بعد معرفة الاتجاهات العامة ، الا أنه لايمكن تغييرها أو اعادة صياغتها بناء على الأرادة الذاتية • ان تأثير البؤرة المرشدة للنضال المسلح بحد ذاته ، يعتمد ، قطعا ، على الحالة الاجتماعية الاقتصادية للبيئة •

لاشك ، أن الثوري نشيط أبداً ، الا أن اتجاه هذا النشاط ، وشكله ،

تقرره الحالة الموضوعية • طالما لايوجد هناك وضع ثوري ، فان طاقة الطليعة يكون هدفها ، تجميع وتدريب قوى الثورة ، وتوطيد مواقعها • ان نتائج العمل الثوري اليومي لاتعطي نتائجها ، ولا تطفو الى السطح فورا الا أنها تصبح واضحة تماما خلال فترات المد العالي لحركة الجماهير • أشار لينين في حديثه عن الأعمال الحاسمة ، أنه من الضروري معرفة « اللحظات التي لها دلالتها • » [1]

ان تقرير اللحظة التي تشن فيها الطليعة نضالا علنيا من أجل الاستيلاء على السلطة مهمة صعبة • وفي هذا الصدد أشار لينين محذراً ضد الأعمال التي لم تنضج بعد ، مؤكدا على ضرورة افساح المجال للثورة ، « لتنمو حتى تنضج ثمرتها تماما » [2] مؤكدا أن لحظة البدء في النهوض المسلح يعتمد على الحالة الموضوعية • ولا يجري الحديث عن النهوض المسلح ، « قبل أن تنضج الممهدات العامة للثورة ، والى أن تصبح الجماهير تدرك بصورة تامة أنها مستيقظة ومستعدة للعمل ، والى أن تكون الظروف الخارجية قد وصلت الى درجة الأزمة التي لايمكن اخفاؤها » • [3] من المستحيل القول بدقة متى تأتي تلك اللحظة للوجود ،في هذا البلد أو ذاك• لأن نضوج الوضع الثوري يعتمد على جملة عوامل بعضها يكون عفويا ، وبعضها يمكن التنبؤ به ، كما لايكون بعضها الآخر مرئيا • هناك دائما درجة معينة من عدم التأكد من اللحظة التي تبدأ فيها الأزمة الثورية • وهذا يتطلب من الحزب الثوري درجة عالية من التحرك السياسي وامكانية ادخال تغيير سريع في أشكال وأساليب واتجاه النضال •

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٤٢ ص ٣٢٨ •
(٢) لينين المؤلفات المجلد ٤٢ ص ٣٥٥ •
(٣) نفس المرجع جملد ٩ ص ٣٦٩ •

العفوية والوعي :

لايمكن فصل المبادرة الثورية عن الأيديولوجيـة ،ولا عن الوعـي السياسي للطبقة العاملة ، الذي تجسده النظرية ، ولا عن البرنامج ، كما ، لايمكن فصله عن النشاط الهادف للحزب الماركسي • بدون نظرية ثورية لايمكن أن توجد حركة ثورية ، بهذه العبارة البليغة صاغ لينين فكرته • تدعو اللينينية الى التحام النشاط الثوري مع الوعي السياسي ، وبهذا تعارض اللينينية النظرية العفوية وايديولوجية الانتهازية في صفوف حركة الطبقة العاملـــة •

يجب مراقبة العفوية ـ التلقائية ؛ في أي حركة احتجاج جماهيري ، وكان لينين يعتبر ذلك علامة على اصالة الحركة الجماهيرية وهذا يبرهن على أن انتفاضة الجماهير ليست مفتعلة من « الاعلى » ولكنها منبثقة أساسا مـن « القاعدة » ويتم نموها بصورة طبيعية بفعل التناقضات الاجتماعية للطبقات المضطهدة • ومع ذلك فاي حركة عفوية بقدر ما فيها من تعبير عن موقف هذه الطبقات من النظام القائم نجد فيها عنصر الوعي • وبمجرد ظهـورها تفرض الأسئلة التالية : ما الذي يجب عمله !؟ هل نشارك في العمل !؟ انها تخلق معها الحاجة والاتجاه نحو استيعاب ظروف وأهداف النضال • أكد لينين وهو يشير الى الأفق الضيق لموقف الأقتصاديين الروس نحو حركـــة الطبقة العاملة ، الذين ادعوا أن تطورها يقرره التفاعل بين البيئة « والعناصر المادية لحركة الطبقة العاملة » • وفي هـذا الصدد أكد لينين « ان عنصـر الوعي يشارك في هذا التفاعل وفي تقرير المسيرة • » [1] تواجه حركـــة

---

(١) لينين : المؤلفات الكاملة • المجلد (٥) ص ٣١٦ •

الطبقة العاملة بشكل تلقائي ، المشاكل النظرية ـ السياسية والتنظيمية ، التي لاغنى عن حلها لاستمرار التقدم ، والتي تتطلب التعميم والاستيعاب للتجربة المكدسة وتطور الوعي الاشتراكي •

هكذا يتبين ، أن الدفاع عن العفوية يؤدي الى عرقلة التطور الطبيعي للعملية الثورية ، كما يتعارض مع بناء الممهدات لدفع الثورة الى مرحلة أعلى • وهذا ينطبق بالتساوي على نظرية العفوية لكل من الانتهازية اليمينية واليسارية •

تزرع الأنتهازية اليمينية الوهم حول نمو الوعي الاشتراكي في ظل الرأسمالية بصورة تدريجية من خلال الحركة العفوية ، التي تنتشر تدريجيا أيضا الى أغلبية الطبقة العاملة • كما تصور وجود الممهدات للاشتراكية ، وبذل الجهد من أجل الوعي الاشتراكي من خلال الحركة العفوية باعتبارها الجنين الثوري للوعي المطلوب • غير أنها لاتدخل في حسابها المراحل النوعية ، لتطور الوعي الطبقي السريع ، المرتبط بتكديس تجربة النضال الطبقي واستيعاب ذلك بكل أبعاده وأنواعه ، بتناقضاته ، وأمميته •

ان نظرية العفوية تتجاهل ديالكتيك تشكل الوعي الطبقي ، وتواصل الزعم بأن طريق ذلك بأكملة ، ابتداء من الوعي النظري العادي ، يمكن أن يقوم به كل عامل بمفرده •أما في الواقع فان جمهور البروليتاريا الضخم يصل الى قناعته بالاشتراكية ، من خلال تجربة النضال السياسي ، التي يفترض معها ، وجود حزب بروليتاري بشكل مسبق ، يمثل الطبقة العاملة في علاقاتها مع الدولة والطبقات والمنظمات الأخرى •

يبقى هناك أمر واحد لابد من أخذه بعين الاعتبار ؛ أشار لينين اليه « يوجد

هناك دائما في داخل كل طبقة ، وحتى في الظروف السائدة في أكثر البلدان تنورا ، وفي صفوف الطبقة الأكثر تطورا أيضا ، وحتى في الاحوال التي تكون فيها الحركة قد أيقظت كافة قواها الفكرية الى درجة استثنائية ، يوجد دائما ممثلون للطبقة ، لايفكرون وعاجزون عن التفكير بانفسهم ؛ في أن الرأسمالية ، قد لاتكون هي مصدر الاضطهاد – في حين أنها هي فعلا كذلك – لو اختلفت الأمور بشكل معاكس » • – (لينين المؤلفات الكاملة مجلد ٣١ ص ٦٣ – ٦٩ هذا عدا عن واقع،أن جزءا من الطبقة يبني عقيدته السياسية ، بحكم الثقة في هذا الخط أو ذاك في الدرجة الأولى ، اعتمادا على الحس الطبقي ، والثقة بطليعة الطبقة •

ان تشكيل حزب ثوري من داخل حركة الطبقة العاملة ، قادر ، على ايصال تجارب المعرفة النظرية لكل الحركة ، ومن ثم قيادتها ، نحو الاشتراكية عبر تجارب النضال المكتسبة ، هذا الأمر يشكل المرحلة النوعية الحاسمة في تطور الوعي الطبقي •

أما النظرية العفوية عند الانتهازية اليسارية ، فهي تحتقر النظرية ، والضمير العلمي ، وتصور الثورة على أنها تمرد أعمى ، بدون حس ،مع مسحة من الطبية اليسوعية•وفي شكلهاالمتطرف جدا ،تدعومباشرة للفوضى، وأعمال الشغب « والى حركة منفلته » ، وقد ارتبط هذا الشكل بقائد الطلبة دانيال كوهن بنديت ، من ذوي النزعات الفوضوية الجديدة ، وقد أحيط بدعاية واسعة عندما ، اندلعت حركة الطلاب في فرنسا في ربيع ١٩٦٨ • صرح دانيال قائلا : « أن قوة حركتنا تكمن على وجه التحديد ، في واقع أنها تعتمد العفوية « غير المنضبطة وأنها توفر الحافز دون محاولة الاحاطة بالنشاط الذي تثيره ••• ولهذا من الضروري أن نتجنب أقامة أو وضع

برنامج حاليا ، لأن ذلك سوف يشل الحركة حتما • أمام حركتنا ، فرصة واحـدة فقط ، هي الفوضى ، التي تسمـح للناس أن يتكلموا بحريـة ، ويمكن أن تنمو الى تنظيم من تلقاء نفسها » • [1]

نجد هنا أن مفهوم العفوية قد وصل الى درجة السخافة ويتناقض مع نفسه ، « العفوية الصرفة » التي يدافع عنها ، لاتتلاءم مع التنظيم الفوضوي نفسه ، الذي يصيغه الاخوة كوهن بانديت « ان نوع التنظيم الذي يجب أن نبنيه، لايمكن أن يكون في الطليعة ، ولا في المؤخرة ، بل يجب أن يكون في صلب الكفاح» • هذا ماكتبه الأخوة كوهن ـ بانديت حول دور مفكري الفوضوية الحديثة • « الشيء الذي نحتاج اليه ليس تنظيما يبدأ بحرف كبير ، بـل نريد حشدا من خلايا منيعـة ، لتكون على شكـل جماعات فكريـة ، أو دراسية يمكن أن نلجأ الى عصابات الشوارع ••• على كل جماعة أن تجد طريقها وتعمل على الشكل الذي يروقها ، وتتكلم لغتها الخاصة » [2] •

نلاحظ هنا جملة من التناقضات • ذلـك لأن العفوية « الصرفـة » يفسد معناها تنظيمات من هذا الطراز • هذا أولا • وثانيا ماهي الضمانة أن لاتحاول هذه التنظيمات توجيه الحركة العفوية باتجاه محدد ؟! خـلال الأحداث ، التي وقعت في أيار وحزيران عام ١٩٦٨ ، التي كتب عنها الأخوة كوهن ـ بانديت ، حاولت الفئات اليسـارية كل جهدها لتوجيه الحركـة العفوية على طريق مناهضة الشيوعية • ثالثا : أن برنامج الفوضوية الجديدة

---

(١) لنوفيل اوبزيرفاتور ١٩٦٨/٥/٢٠ •

(٢) ج • كوهن ـ بانديت ، د • كوهـين بانديت ـ الشيوعية الأثرية • وبديلها الجناح اليساري لندن ١٩٦٩ ص ٢٥٦ •

يؤدي الى تدمير الطبقة العاملة والحركة الديمقراطية ، وكل مالديها هو الوعد بنضال ضار فقط •

رفض الوعي السياسي :

تعني المبادرة الثورية ماهو أبعد من أعمال التمرد العفوي على السلطة ، وأكثر من احتجاج الجماهير ، الدائم بشكل عفوي ، الذي لا يسرعه الوعي ، بقدر مايعتمد في ذلك على ، الاحاسيس والعواطف والانفعالات •

يفترض مع المبادرة الثورية ، البحث الواعي سلفا وراء الحلول الواقعية ، وأخذ الحالة القائمة بعين الاعتبار بذكاء ، والتفكير الجيد ببرنامج عمل • أما مفكرو الفوضوية فانهم يتجنبون مثل هذه القضايا • ماهو أبسط من ذلك : أن يقوم الطلاب تلقائيا بالاستيلاء على الجامعات واقامة الادارة الذاتية ، ثم يقوم العمال عفويا باستلام زمام المصانع ، وتطبيق التسيير الذاتي • في تقدير المؤلفين المذكورين سابقا ، أن نقطة الضعف في حركة أيار حزيران في فرانسا كانت في فشل الطلاب بتحويل كلية واحدة فقط الى « قاعدة حمراء » ، حتى تتمكن بذلك من حث العمال على مواصلة السيطرة على المصانع •

مثل هذا المفهوم الفوضوي : في أن تتحول الكلية الى « قاعدة حمراء» يؤدي الى تصديع سيطرة النظام الرأسمالي ،ماهوالا دليل على ضيق الأفق الفكري وبدائيته • تفتقر نظريات الانتهازيين اليساريين الى : برنامج اقتصادي متوازن للنضال ضد رأس المال الاحتكاري ، الى خطة لتنظيم الدولة ، وادراك المهام العامة والوطنية المعقدة للسلطة الجديدة ، كما تفتقر

الى اليقظة حيال قوة ماتمتلكه الثورة المضادة من احتياطي ضخم ، والى معالجة مسألة ادارة الاقتصاد بنظام ديقراطي بهذا القدر أو ذاك في عصر الثورة العلمية والتكنولوجية • تحاول العفوية أن تبرر غياب برنامج سياسي محدد المعالم•ان اللعب في الثورة خلال الأزمة في فرنسا في أيار وحزيران، عندما تحولت الأزمة موضوعيا الى نقطة التحريض ، قد سهل للرجعية اتخاذ الاجراءآت المضادة لضرب الطبقة العاملة والحركة الديمقراطية •

يعلم التاريخ ، أن تناول الثورة الاشتراكية يجب أن يكون جديا • وهذا يتطلب الزاما ، أن يكون للطبقة العاملة قيادتها السياسية والنظرية ـ أي حزب قادر على تنظيم العمل بشكل يتناسب مع الوضع ، والقدرة على تنظيم العلاقة الحقيقية بين القوى ، ثم مع الاهداف النهائية للحركة •

تشهد أحاديث وكتابات دوبريه تأكيدا مبالغا فيه على العفوية ، عندما يضع الأولوية لحركة العصابات المسلحة عوضا عن الحركة السياسية ، حيث تندمج الحركة الثانية مع الأولى في نهاية المطاف ، والتأكيد على حاجة الاستقلال السياسي للعصابات ، وانفصالها عن القيادة الفكرية والسياسية من جانب الحزب السياسي يكتب قائلا •• « من الضروري أن ندرك أن قوة الغوريلا تكمن باعتبارها هي جناحا موجها وأنها القوة الدافعة في الحركة » • [1] على الرغم من أنه يأتي على ذكر مبادرة الأقلية ودورها الثوري الواعي ، الا أنه لايعني بذلك الايديولوجية العلمية للطبقة ، بل الايمان الراسخ للمتمردين في عدالة قضيتهم ومعنوياتهم • حتى هذا النوع من المبادرة ينحدر الى مرتبة دنيا ، على الاساس التالي « بالاضافة الى

---

(١) ر • دوبريه ثورة في الثورة ص ٧٥ •

الروح المعنوية ، والايمان الراسخ ـ تبقى اللياقة البدنية ... هي العامل الاساسي ، بين كافة المهارات اللازمة ، لشن حرب العصابات ؛ ويسير هذان العاملان جنبا الى جنب . ان توفير الثقافة الماركسية الصحيحة ليست شرطا الزاميا في البداية .... الأهلية البدنية هي الممهد لسائر مايلزم لشحذ قابليات أخرى ... » [1] يعطي دبريه تقديرا على أفضلية تكتيك النضال المسلح لفصائل العصابات وأنه يتقدم في أهميته على السياسة ، التي تتطلب بشكل مسبق تحليل العلاقات الطبقية على نطاق الأمة .

لأن مثل هذا التحليل « يشكل مسألة لا أهمية لها ودعواها النظرية محدودة ، ولكن النضال المسلح يبدو وأن له أساس منطقي لاتعرف النظرية عنه شيئا » . [2]

يبدو واضحا ، بالطبع ، أنه عندما يقرر وضع نضال العصابات ، نظام الحياة اليومية ، فان الاستراتيجية والتكنيك ، وحتى اللياقة البدنية ، كل ذلك يحتل المقام الأول الا أن ذلك كله أبعد من أن يقلل من دور القيادة الفكري والسياسي ، الذي تزداد أهميته في عملية النضال الثوري على نطاق الأمة . مع تقديرنا لبسالة المقاتلين ، الا أن نتيجة النضال ، تعتمد على مدى التنسيق بين حاجات فصائل المقاومة العسكرية ـ التكنيكية ، لتبقى على نسق واحد مع ديناميكية القوى الطبقية في البلد ككل .

ان الجمع بين العمل العسكري المحض ، والعمل الفكري والسياسي ، يساعد رجال الغوريلا في حياتهم التي يعيشونها على أن لاينسوا أنهم جزء من طبقة ثورية ، ويشعرون بنبض الحياة لكل الأمة . ان التخلي عن العمل

---

(١) نفس المرجل ص ٧٥ .
(٢) نفس المرجع ص ٧٥ .

الفكري والسياسي لصالح العمل العسكري من شأنه فقط أن يعرقل نمو الوعي الثوري الذي لا يتشكل بصورة عفوية •

لجأ المنظرون الماويون أيضا الى تبجيل العفوية ، لأنها مبرر فكري « للثورة الثقافية » وكل ماصاحبها من أعمال منفلته • التمرد العفوي « عند مستوى جذور الاعشاب » قد تم القيام به كوسيلة لمقاومة « الهرطقة » النابعة في اطار النشاط الفكري • وفقا لاولئك المنظرين ، لم تكن المسألة قضية وعي ثوري ، ارتفع بحركة الجماهير الى مستوى أعلى ، بل حركة الجماهير العفوية التي نجمت عنها معايير دقيقة « تحمي » الوعي من الذهاب أبعد من الحدود المقدسة للدوغما • وهكذا تصبح الأيديولوجية وجهاً غير عقلاني ، وتتلون بالغيبية الدينية ، وتصبح تعبيرا عن القومية ، بما فيها من مطامح التعصب القومي • انتهت العقلانية الماركسية اللينينية ليحل محلها مجموعة من الصلوات ، والدعوات ، التي يجب أن لايتطرق اليها الشك ، والتي تعتبر حقيقية مسلما بها •

حول العفوية وقيادة الحزب :

تنكر ، نظرية العفوية ، دور الطليعة السياسية القيادي للطبقة العاملة في الثورة • كما يتم عندها استبدال مفهوم الطليعة الواعية المنظمة في حزب ماركسي لينيني ، بأفكار ضبابية حول نشاط الأقلية العسكري التي أوكل اليها انجاز أعمال مساعدة •

يدعي دانيال كوهن ـ بانديت : « من الضروري أن يتم التخلص من نظرية « الطليعة القائدة » ، والأخذ بنظرية أكثر بساطة وأمانة ، تلك هي

---

(١) لينين المؤلفات المجلد «٥» ص ٣١٦ •

نظرية نشاط الأقلية التي تعمل كخميرة دائمة ، تحرك الشعب نحو العمل دون أن تطالب بالقيادة ... » [1] كل تثبيت للقيادة ، يؤدي الى قتل ديمقراطية الحركة العفوية . يصرح منظرو الفوضوية العصرية أنهم يتحدون « الحاجة للقيادة الثورية والحاجة للحزب » [2] .

حتى هذه المعالجة المحدودة ، للوقائع المادية ، لاحداث أيار - حزيران في فرنسا عام ١٩٦٨ ، التي نجدها في كتاب الأخوة كوهن بانديت، تعمل ضد مفهومهم. ذلك، لأن لجان العمل، التي انبثقت في مختلف المقاطعات في فرنسا ، بشكل عفوي كانت تواجه مشكلة الحاجة لتنسيق العمل . لأن الضرورة تقضي أن تعرف كل منها « عما يجري » ، وهذا يتطلب تقديرا سياسيا للوضع ، لا على المستوى المحلي ، وحسب بل وعلى نطاق الأمة. [3] تبذل الجماهير الواسعة جهدها من أجل تضامنها ووحدتها التنظيمية ، مستلهمة ذلك من ممارستها ، وهذا يقدم مزيدا من التأكيد ، لواقع ، أن الطبقة العاملة والحركة الديمقراطية ، تتطلبان قيادة سياسية ثورية من حزب ماركسي لينيني .

يعود الفضل في امكانية تجنب النتائج الخطيرة ، لخطة العمل التي حاول الانتهازيون اليساريون فرضها على حركة الطبقة العاملة ، يعود الفضل في ذلك الى الموقف الذي تبناه الحزب الشيوعي الفرنسي المبدئي والمرن أيضا .

---

(١) نوفيل البزرفاتور ٦٨/٥/٢٠ .

(٢) راجع : ج . كوهن بانديت ، د . كوهن بانديت : الشيوعية المندثرة ص ٧٩ - ٨١ .

(٣) ريجيه دبريه ثورة في الثورة ص ١٠٦ - ١٠٧ .

عمليا يستبدل دوبريه في كتابه ، الحزب السياسي بحركة العصابات، بغض النظر عن نواياه واغراضه ؛ يقول دوبريه في كتابه ثورة في الثورة ص ١٠٦ – ١٠٧ « يستطيع حزب الطليعة أن يتكون على صورة مركز العصابة نفسها ... ان قوة العصابة هي الحزب عندما يكون جنينا ، .... كان من الضروري أن يتم فصم الاعتماد العضوي على الاحزاب السياسية واستبدال الطليعة السياسية الضعيفة . » (١)

تتناقض ثورية البورجوازية الصغيرة ، في نظريتها وممارستهاالمدموغة بالسيطرة القومية ، مع تعاليم الماركسية اللينينية ، حول الحزب ، والطبقة العاملة . ويصبح الهدف هنا تحويل الحزب ، من كونه الطليعة الواعية المتقدمة للطبقة العاملة ، الى تنظيم من أجل العبادة واثارة الاعجاب ، الى شيء ، يشبه قطاعا تتجمع حوله العسكر ، ويقوم بتنفيذ الأوامر «المقدسة» للقادة بطاعة عمياء .

ان النشاط الواعي للطبقة الثورية يجب عليه أن يفترض مقدما ودائما وجود طليعته السياسية . يؤكد المفكرون المناهضون للشيوعية ، والتحريفيون اليمينيون ، بأن الاختيار الواعي من جانب الشعب للسياسة ، يمكن ضمانه بالانتخابات التي تتم في اطار النظام الانتخابي البورجوازي : تنهض وجهة النظر هذه من الفرضية الخاطئة ، على أن كل ناخب ، يعي تماما مصالحه السياسية .

لننظر الى الواقع ، حقا : ان ما يسمى بالانتخابات « الحرة » في المجتمع البورجوازي يوفر لكل قطاعات وجماعات الشعب امكانية نظرية فقط

---

(١) نفس المرجع .

للحديث حول المسائل السياسية • الا أن أعدادا كبيرة من المنتخبين بعيدون جدا عن الحياة السياسية ، وكثيرون أيضا يتخذون مواقف سلبية،وكثيرون آخرون مثقلون بمخاوف وتحامل اللاابالين وعقدهم ، بالاضافة الى ماتقوم به الدعاية من توجيه معاكس • كثيرا مايضيع الوعي الحقيقي للطبقة المتقدمة ، الذي يكتسبه بشكله العلمي العام ، ممثلوها الأكثر نشاطا سياسيا، في خضم الآراء المتعارف عليهامن جانب الاغلبية ،حيث يتم اختزال هذه الآراء لتصبح القاسم المشترك • غني عن القول أن الانتخابات الديمقراطية لايمكن أن تخدم كوسائل للتعبير عن نمو الوعي السياسي عند الجماهير • الا أن الجوانب الايجابية في هذا المجال ، تتطلب أيضا ، بذل أقصى الجهودوالعمل المثابر من جانب الطليعة السياسية للطبقة الثورية ، التي تعي تماما مصالحها وأهدافها •

يعرقل النظام الشامل للعلاقات الرأسمالية ، عمل ودعاية الأقلية الواعية المستنيرة ، عن طريق البنية العليا للعلاقات الفكرية المتشابكة ، والمؤسسات ونمط الحياة التي شكلها النظام • ومن أجل اجتياز شباك الأفكار البورجوازية ومواقفها ، فان الأمر لايدعو الى مجرد وجود حزب سياسي فحسب بل ، الى حزب يقوم بعمل ثوري • لايستطيع حزب (ذيلي) للمجموعة البرلمانية ، يتكيف مع الوضع القائم ، ويعاني من الشلل في الأزمات الثورية ، أن يحقق مهمة ايصال الوعي الاشتراكي لحركة الطبقة العاملة •

ان حزب الطبقة العاملة ليس ندوة للجدل ، وليس ناديا ثقافيا أو مركز معلومات • انه حزب الثورة الاشتراكية انه تنظيم سياسي ، مقاتل ، قادر على ايقاظ الطبقة كلها وحلفائها من أجل النضال الثوري ، معتمدا

على تنوير الشغيلة من خلال تجاربهم العملية • ان مزج الوعي الثـوري ممثلا في الطليعة السياسية مع الحركة الثورية بصورة شاملة يمكن صهرهما من خلال النشاط العملي فقط •

التنوير السياسي عملية معقدة :

لايتم تطوير الوعي الاشتراكي ، لحركة الطبقة العاملة ، بعمل واحد وبسيط ، وأكثر من ذلك ، انه ليس مجموعا حسابيا بسيطا لسلسلة مـن الاعمال التي تم القيام بها ، أو كلما شارك جيل جديد من الطبقة العاملـة في الحياة السياسة ، ان ذلك عملية معقدة ، تكتسب ملامح جديدة ، كلمـا أخذت ظروف الحياة للمجتمع الرأسمالي تتغير ، وعندها تعدل الطبقـة العاملة تقدير ظروفها ؛ وتبدأ الطبقة العاملة تدرك بدرجة أكبر أن أساليب الاستغلال المقنعة والمعقدة ، تتطلب معرفة سليمة للروابط الظاهرة والدقيقة بين العمل ورأس المال ،بين الاقتصاد والسياسة،بين القاعدة والقمة ••الخ•

هناك بعض التغييرات التي طرأت على موقف جماهير العمال ، مـن الايديولوجيـة الاشتراكيـة ، والتي دأب علـى ترددها بعض منظـري البورجوازية الصغيرة الراديكالية وذلك دليل على تردي اهتمام الشغيلـة بالاشتراكية • يرى هربرت ماركوز أن الرأسمالية العصرية قد غيرت مـن، « البنية التحتية للانسان » وادت الى خلق « نوعية ثانية » ، من شأنها أن تطيل أمد « العبودية الطوعية » • وهو يـرى أن مايخلفه ويفرضه « المجتمـع الاستهلاكـي » من حث للتملك ، والاستهـلاك ، والتجديد المستمـر في الممتلكات « مثل الاثاث وأدوات المنزل •• الخ) ، هذا الوضع أصبح كما يزعم « حاجة حيوية » تتحدى التغيير •

ألقت الثورة المضادة ، « مراسيها على التركيب الغريزي » [1] • ان أسباب جمود الوعي ، تمتد بجذورها الى « أبعاد حيوية » ، أهملتها النظرية الماركسية • [2] وهكذا فان ماركوز يرى أن الطريق لتحرير الوعي الذي وقع في شباك التضليل يتم بانتشار مفهوم جديد للواقع « بابعاد جمالية » ، وبدون الحاجات المادية للعامة من الشعب • ان مهمة تثبيت النظرة الجديدة للعالم تقع على كاهل الشباب الراديكالي،الذي يلجأ الى « أشكال الاحتجاج السوريالية » (أي الفوق واقعية ـ المترجم ، وليس الى الاشكال السياسية، هذا الشباب ، القادر على رفض مايمليه « الفكر القمعي » ويخلق « مشاعر جديدة » • وبيئة جمالية جديدة » • [3]

يتحول ماركوز وهو يتخلى عن العقل،الى مجال الغرائز والعواطف، والاساليب اللاعقلانية ، لأن العقلانية كما يقال قد أصبحت اداة « المستهلك الرأسمالي » • عمليا ، لقد استسلم ماركوز للايديولوجية البورجوازية ، ايديولوجية ماكينة رأس المال الاحتكاري أن وجهات نظر ماركوز المتعالية، تظهر موقفه في تحقير الحاجات المادية للشغيلة • تقوم فرضيته على أن « الرأسمالية الاستهلاكية » قد اشبعت الحاجات الضرورية للطبقة العاملة منذ وقت • وهذا بعيد عن الحقيقة كما سبق وأشرنا • ان عدم تأمين الحاجات المادية ، الذي يتخذ أشكالا متنوعة بما في ذلك الحاجات الجديدة، مازال مصدرا قويا للمشاعر الثورية للعمال ، الأمر الذي يحفز مصلحتهم في الشيوعية العلمية • وهذه المشاعر هي مصدر قوي متوازي ، مع مختلف

---

(١) راجع هربرت ماركوز ـ مقالة حول التحرير ـ بوسطن ١٩٦٩ ص ١١٠ •
(٢) نفس المرجع •
(٣) نفس المرجع •

أشكال الاضطهاد الاجتماعي للشغيلة ، حيث لايخف عبئها بأي حال ، مع أي تحسين نسبي ، في حياة العمال المادية في ظل الرأسمالية • ان السير الحثيث من أجل النشاط الاجتماعي والمساواة الذي يقوم على هذا الاساس، والذي يظهر نفسه بوضوح اكثر وأبدا يدفع بالبروليتاريا نحو الماركسية•

ان ماتبذله الطبقة العاملة من جهد من اجل الاشتراكية ينمو ، كما يزداد الاتجاه لقبول الايديولوجية الاشتراكية كمنهج علمي للافكار في شكلها النظري العقلاني • والنضوج السياسي لحركة الطبقة العاملة نفسها يسهل تلك العملية بالاضافة الى الارتفاع العام في مستوى التعليم والنظرة السياسية للشغيلة •

هذا ويتم في نفس الوقت التدقيق في أساليب الدعاية البورجوازية • كما تجري الاستفادة من المعرفة المكتسبة في حقلي ، النفسية الفردية والاجتماعية ، ومن التجربة المكتسبة في تشكيل الرأي العام من خلال تكنيك العلاقات العامة ، بهدف التأثير في ايديولوجية المجتمع البورجوازي• وهذا من شأنه أن يخلق صعوبات جديدة للحزب الماركسي اللينيني لعمله في غرس الوعي الاشتراكي في أوساط حركة الطبقة العاملة ، وهذا يفرض على الحزب أن يعيش تلك المصاعب وأن يكون مستعدا للتأقلم مع الاوضاع الجديدة ، آخذا بالحسبان الطبيعة التاريخية لحركة الطبقة العاملة،وظروف تطورها • ان الحزب لايستطيع أن يتحمل الآراء المتقولبة غير القابلة للتغير، ويجب عليه ، أن يبحث عن الطرق للتغلب على التأثير الماكر للدعاية البورجوازية في أوساط الشغيلة •

ان بنية ودرجة نضوج العامل الذاتي في الثورة ليستا ثابتتين ،انما تتغيران مع تغير الظروف،ووعي الطبقة العاملة ، وعلاقتها مع الطبقات الأخرى وقطاعات

المجتمع وهذا يتغير تبعا لنمو اليقظة السياسية والمستوى الثقافي للسكان ، في الماضي كان العمال يلبون نداء الطليعة الثورية باعداد متزايدة عند حساب ظروفهم ووضعهم الذي لامستقبل له ، دون أن يكونوا بالضرورة على درجة عالية أو حتى على أي درجة من الوعي السياسي ؛ أما في ظل مجتمع « رأس المال الاستهلاكي » فلا بد من أن تتوفر درجة عالية من الوعي الاشتراكي في أوساط الشعب • يشير آرني سارينان رئيس الحزب الشيوعي في فنلندة حول هذا الصدد ، « يعتمد تحقيق الاشتراكية في الظروف الراهنة اكثر من أي وقت مضى على النضال الايديولوجي وحدته وعلى مستواه ، وما يحمله من قناعات • تلعب العوامل الذهنية دورا أعظم ، بترشيد التفكير الاجتماعي ، والجوانب الاخلاقية • لاتستطيع الحركات العفوية والغريزية الناجمة عن الاخطاء الاجتماعة ، أن تقوم بدورها الهام كما عهدناها من قبل ، اللهم الا اذا طرأت تغييرات عنيفة في الظروف • » [1]

دور الحزب الثوري :

ان حزب الطبقة العاملة الثوري ، وثيق الصلة بالشعب ، حزب نشيط فعال ؛ يوحد اكثر أقسام الطبقة وعيا ، كما أنه المحرك الأشد أهمية للعامل الذاتي في الثورة الاشتراكية ، وهو المؤشر على نضوج الثورة •

ان الحزب رأس النبع للوعي الثوري ، الذي يمكن حركة الطبقة العاملة أن تستوعب فحوى الثورة الاشتراكية « وتدرك مهامها الأممية •

ـ ان الحزب هو المركز الأيديولوجي والسياسي ، يعمم تجربة

---

(١) كانسان يوينيست ١٩٧٠/١/٢٠ •

النضال الطبقي لتكون في حوزة كل الحركة الثورية ، ويضمن ثبات واستمرارية العمل الثوري •

ـ ان الحزب هو الاستراتيجي الشامل للثورة الاشتراكية ، يقرر خطة العمل بمجملها ، والتصرف بالقوى في الساحة السياسية ، والاهداف الرئيسية •

ـ ان الحزب هو القيادة العليا للثورة • يوجه وينسق أعمال القوى السياسية للثورة ، في المحافظة على المهام العامة للحركة ، ويتضمن وحدة عمل الاطراف الثورية •

ـ الحزب هو المنظم المباشر للاعمال الثورية للشعب ؛ وفي فترات الاعمال الهجومية يدفع أفضل قواه الى مقدمة حركة الجماهير ، وفي فترات التراجع المؤقت ليحمل نكسات النضال ، فهو يغطي الانسحاب المنظم لقوى جماهير الثورة •

ان نشاط الحزب ، متعدد الجوانب ، يحمل قلادة التفكير العلمي ، والعمل الثوري ، والتحليل العملي للواقع الموضوعي ، ويأخذ على عاتقه مسؤولية اتخاذ القرارات في اللحظة التي يتوجب فيها ذلك ، ويكرس كل الطاقات من أجل المعركة الثورية محركا وحاشدا كافة القوى والوسائل •

أكد لينين « لاتملك الطبقة العاملة في نضالها من أجل السلطة الا سلاح التنظيم ••• ، تستطيع البروليتاريا ، وحتما سوف تستطيع ، أن تصبح قوة لايمكن التغلب عليها ، وذلك فقط من خلال وحدتها الفكرية وفقا لمبادىء الماركسية اللينينية التي يتم توطيدها بالوحدة الملموسة في التنظيم ،

التي تصهر ملايين الشغيلة في جيش للطبقة العاملة » • [1] يقوم الحـــزب الماركسي اللينيني بالدور الحاسم ، باكتشاف وفهم وتحقيـق الامكانيات ، التي يمكن شقها أمام الطبقة العاملة في نضالها نحو الاشتراكيـة ، وذلك ، بحكم أنه مركز التفكير النظري العلمي ، وباعتباره القيادة العليا لتوجيـــه النشاط السياسي لحركة الطبقة العاملة • يجابه الحزب اللينيني مشاكـل صعبة خلال صياغته وانجازه لما يتوجب عليه من أعمال • الا أن واقع وجود الحزب بحد ذاته ، لايكفي لضمان نمو المبادرة الثورية عند الشعب • لأن مايحتاج اليه الأمر ، هو أن يعمل الحزب بصورة خلاقة من مواقع طبقية ثورية ، ومن واجبه مساعدة العملية الثورية لتصب مبادرته وتصبح معهـا قوة جبارة تكتسح كل ما هو أمامها • وهـذا بدوره يفترض مقـدما ، أن يكون الحزب قادرا على السير مع الزمن خطـوة فخطوة ، وأن يكـدس التجـربة الثورية ويعممها • انتقد لينين بحـدة ، الوهم ، حول الفكـــرة القائلة ، أن أية مجموعة تصبح قوة بمجرد أن تعلن عن نفسها أنها حزب شيوعي ، بدون نضال عنيد لاكتساب تأييد الشعب •

تفرض حاجة الحزب الماركسي اللينيني،ليقوم بدوره القيادة للحركة الثورية للطبقة العاملة ، السؤال حول العـلاقة بين الشيوعيين وغيرهم مـن احزاب الاشتراكية ، والديمقراطيين الثوري النزعة • لم يفسر لينين أبدا الدور القيادي للحزب الماركسي في الثورة الاشتراكية ، على أنه استبعـاد الاحزاب والقوى السياسية الأخرى من النضال من أجل الاشتراكية •

على عكس ذلك ، على الحـزب الماركسي ، بوصفه ممثلا لمصالـح الطبقة العاملة ومثابرا على خطة الثوري ، أن يكافح من أجل توحيد كافـة

---

(١) لينين ـ المؤلفات المجلد «٧» ص ٤١٥ •

القوى القادرة على أخذ دورها في هـذا النضال • خلال التحضير لثـــورة اكتوبر • كان الحزب،أبعد عن التفكيرمن حرمان الاحزاب والجماعات الثورية الأخرى من المشاركة في الثورة ، بذل البلاشفة كل ما في وسعهم لتوسيـع اطار القوى الثورية المكافحة من أجل الاشتراكية • وأثمرت هذه الجهود بنتائج ايجابية محددة • فقد تم التحضير للانتفاضة المسلحة بمشاركة الثوريين الاشتراكيين اليساريين وهو حزب يمثل الجناح الراديكالي للبورجوازية الديمقراطية الصغيرة ؛ وقد شاركوا فيما بعد في الحكومة السوفيتية • أمـا كون الأغلبية من المناشفة والثوريين الاشتراكيين قد أخذوا لأنفسهم ، مواقع المهادنة ، فهذا ليس ناجما عن خطأ الشيوعيين ، لأن المناشفة فشلوا في فصم روابطهم بالبورجوازية ، ووقفوا على الجانب الآخر من المتاريس ، وذلك بحكم التطور المنطقي للثورة ، وعندما تبلورت الفوارق بين القوى بصـورة محددة ، كان هناك حزب واحد فقط على مستوى المهمات التاريخية لتلك اللحظة • أنه حزب الجناح الثوري لحركة الطبقة العاملة ، حزب البلاشفة الذي قاده لينين » ••• كتب لينين « في اللحظة التي تم فيها الاستيلاء علـى السلطة وتأسيس الجمهورية السوفيتية ، كانت البلشفية موحدة ؛ وأخذت لنفسها كل ماهو أفضـل في اتجاهات الفكـــر الاشتراكي القريب اليهـا ، وحشدت حولها كل الطليعة البروليتارية والاغلبية الساحقة للشغيلة » •[1]

لقد برهن الحكم الاشتراكي الحقيقي خلال ربع قرن على سلامـة موقف الجناح اليساري الثوري لحركة الطبقة العاملة ، وقد عمل على اغناء التجربة السياسية لكل الطبقات ، ووسع القاعدة الجماهيرية للقوى القادرة على المشاركة في الثورة الاشتراكية • من واجب كافة الاحزاب السياسيـة

---

(١) هربرت ماركوز ـ مقالة حول التحرر ـ بوسطن ١٩٦٩ ص ٥٤ ـ ٥٥ •

التقدمية أن تأخذ العبر من دروس التاريخ عندها تتوفر امكانيات أكبر للتعاون بين الاحزاب الشيوعية ، والاجنحة اليسارية للاحزاب الأخرى- بالطبع على شرط أن تعلن الأخيرة تخليها عن سياسات المهادنة •

الحزب والطبقة :

يتساءل منظرو الليبرالية البورجوازية الديمقراطية : لماذا يجب أن تكون الطبقة العاملة بالذات ، ممثلة للنظرية العلمية للثورة الاشتراكية ؟! النظرية هي ملك وميدان المثقفين • اذن ، اليس من الأجدر أن يناط اليهم صياغة البرنامج الاشتراكي ؟! حقاً ، ان الذي صاغ وطور ايديولوجية الطبقة العاملة هم العمال المثقفون ، والاخصائيون في علم الاجتماع • الا أن نتائج هذا النشاط تعبر عن مصالح الطبقة العاملة ، وذلك لأن منطلقها العلمي كان من المواقع الطبقية للبروليتاريا ، باعتبارها أعظم قوة ثورية تتصف بالثبات بحكم موقعها الاجتماعي •

أجل ! لقد وصل الوعي الثوري للطبقة العاملة من خارجها ، ولكن هذا الوعي في جوهره الطبقي لايمكن فصله عن حركة الطبقة العاملة ،لأنه يتشكل نتيجة الادراك النظري لظروف الحياة وتجربة نضال الطبقة العاملة• تلك هي العقدة ، التي مزقها هربرت ماركوز بفظاظة • فهو يعتبر المرحلة الراهنة للرأسمالية على أنها ، « فترة التوازن » ، وخلالها تكون الطبقة العاملة « قد أخذت لنفسها عملا متوازنا ومحافظاً ؛ ويكون عامل اختزال التحولات يعمل من الخارج »[1] • يزعم أن دور عنصر الوعي ، ملقى على عاتق قوة غريبة عن الطبقة العاملة « العامل الذاتي •• بمعنى أن الوعي

---

(١) هربرت ماركوز ـ مقالة حول التحرر – بوسطن ١٩٦٩ ص ٥٤ – ٥٥ •

السياسي يوجد في اوساط الشباب المثقف غير الملتزم » • [1] يحتفظ بالطبقة العاملة ، على أنها قوة مادية كامنة للاطاحة بالرأسمالية • الا أنه من الصعب أن نفهم كيف يمكن للوعي السياسي الغريب عن الطبقة العاملة أن يتم تطعيمه للطبقة • يبني ماركوز حساباته مرة على التنوير ، وعلى الحظ السعيد ، وفي المرة الأخرى من أجل المساعدة في حل المشكلة • « ••• الحظ يكمن في امكانية التقاء اطراف التاريخ مرة أخرى ؛ وهي الاكثر تقدما في الوعي للانسانية وهي قوتها الأكثر خضوعاً للاستغلال » • [2]

ان مثال عدد من ايديولوجي حلقات المثقفين الليبراليين الديمقراطيين، يبين أن النقد النظري للرأسمالية الذي تم من مواقع غير مواقع الطبقة العاملة ، هذا النقد يبرز بوضوح وبدرجة كبيرة من العمق ازمة النظام الرأسمالي ، الا أنهم عاجزون عن الاشارة الى طرق الانعتاق من الرأسمالية، والتأكيد على حضارة شيوعية جديدة • مثل هذا القصور في الوعي ما هو الا نتيجة كونه بعيداً عن الصلة مع التجربة العملية لنضال الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية •

لم يفهم لينين الحزب على أنه نشاط الأقلية فقط وبمثل هذه البساطة• لقد فهم لينين الحزب على أنه الطليعة السياسية للجماهير ، الذي يرفع عالياً مصالحها الحيوية ولا يجوز الانفصال عنها • كتب العالم الاجتماعي الأميركي روبرت ويلدر منتقداً فهم لينين ، « أن العمال لايستطيعون النهوض في الثورة من تلقاء انفسهم ، ولهذا السبب ••• لايمكن ترك الأمر بين

---

(١) نفس المرجع •

(٢) هربرت ماركوز انسان بعد واحد • بوسطن ص ٢٥٦ •

ايدي الطبقة العاملة فقط ، ولكن يجب أن يكون ، أنهاض العمال من عمل حزب مختار » .[1]

لا ينحل الحزب ويذوب في الجماهير عندما يقوم بدوره الطليعي . من المحتمل ، أن يحدث ويسير الحزب ضد التيار ، هذا صحيح . وقف البلاشفة بسالة اثناء الحرب العالمية الأولى ضد الشعار الشوفيني ، « دافعوا عن ارض الوطن » الذي وجد تأييداً من جانب اقسام واسعة من الطبقة العاملة . كما أن الحزب لا يكيف نفسه مع كل تغيير في مزاج الجماهير بل يجاهد لتوسيع اطار العقل والأفق الثوري بين الجماهير . وكما اكد لينين « خط الحزب الحازم وارادته التي لاتستسلم ، هذا وذاك ايضاً من شأنهما أن يكونا عاملا لخلق مزاج آخر ، خاصة في لحظة المنعطفات الثورية الحادة » .[2]

ان العلاقة الجدلية بين الطليعة السياسية والجماهير ، بين الحزب والطبقة ، أبعد من آفاق النقد . يصورون الحزب والطبقة كأنهما قطبان : حيث تتركز السلبية ، والانشغال بالشؤون الاقتصادية والعفوية في واحد منهما ، ويتركز النشاط السياسي ، والأرادة والوعي في القطب الآخر ، كتب آدم اولام ، وهو بورجوازي مختص بالشؤون السوفيتية ، يعتقد لينين « أن العامل يريد زيادة أجره ، وأن الاشتراكية ستضربه في رأسه من خارج طبقته ، من الانتلجيسيا » .[3]

وعلى هذا الاساس يكون مفهوم لينين عن الحزب مصبوغا بصبغة

---

(١) روبيرت ويلدر التقدم والثورة نيويورك ١٩٦٧ ص ٢٣١ .
(٢) لينين المؤلفات المجلد ٢٦ ص ٢٠٩ .
(٣) آدم . ب ـ أولام ـ لينين والبلاشفة لندن ١٦٦ ص ١٧٨ .

دينية صوفية • يضيف الكاتب « أنـه أقـرب الى ما يشبه بطل نيتزشـيان الفوق انساني التعاوني ، او شيء على غرار نظـام الفروسـية في القـرون الوسطى اكثر من كونه ، رابطة سياسية تدعو للضجر ، التي يفترض أن يكون عليه حزب الاشتراكية الديمقراطية » • (١)

وبمثل هذه السفسطة يتم سلخ الحزب بعيـداً عن الطبقة العـاملة ، ويوصم بأنه غريب عنها ، على الرغم من أن المفهوم اللينيني يفترض مقدماً أن الحزب والطبقة لايمكن فصلهما عن بعض • لاينشأ الحزب الماركسي خارج حركة الطبقة العاملة بل هو من نتاجها نفسها ، لأنه يميز مرحلـة حتمية من تطورها ، وهو نتيجة تحول البروليتاريا « من طبقة بحد ذاتها » الى « طبقة لنفسها • ان واقع الحال ، ليس كما يصوره المفكرون المناهضون للشيوعية على الاطلاق : حيث يقولون ، يريد العمال تحسـين وضعهـم الأقتصادي ، لكن الحزب يدفع بالسياسة اليهم • كل منطق التطور يدفع ، حركة الطبقة العاملة لفهم ضرورة النضال السياسي من أجل مصـالح الطبقة الحيوية • وظهور الحزب ممثلا لتلك المصالح على النطاق السياسي هو التعبير عن هذه الحيقة • لايوجد شيء خارق للطبيعـة او صـوفي في نشاط الحزب • يستمد الحزب دوافع نشـاطه السياسي من المتطلبـات الحقيقية لحركة الطبقة العاملة وهي تجابه الحاجة لتعرف موقعها في العملية التاريخية ، وتعرف مهمتها في الكفاح من أجل الانعتاق من الرأسماليـة والاستغلال •

لا تستطيع الطبقة العاملة انجاز دروها بوصفها القوة الدافعة الرئيسية، وبوصفها موضوع الثورة الاشتراكيـة ، بدون أن تلد من احشاءها حزبـاً ثورياً ليكون الطليعة السياسية •

---

(١) آدم • ب اولام ـ نفس المرجع السابق ص ١٧٩٠ •

الفصل الثالث

الوثبـــة الثـوريـــة

ان جوهر الثورة الاجتماعية ، يتضمن ، عملية استبدال نظام ، يقوم على علاقات اجتماعية ـ اقتصادية محددة ، بنظام جديد • لهذا السبب يصبح الأنتقال ، الى نظام من نوع جديد ، بوثبة واحدة عملية من شأنها دائمـا ، أن تقطع أوصال ، عملية التطور الهاديء للنظـام الاجتماعي الأقتصـادي الجديد ، وما يفترض أن يرافقه من تطور نحو التغيير • ترى النظريـــة الماركسية ، الحركة الثورية « لا بمعنـاها السوقي المبتذل ، كما يفهمـــه « التطوريون » ، الذين لايرون الا التغيرات البطيئة ، بل تراها بمعناهـــا « الديالكتيكي » [1] •

الأشكال التاريخية للثورة :

تعتمد الاشكال ، التي توجد عليها الثورة ، على الوضـع القائم ، في الوقت الذي تجري وتتم فيه ، لايمكن أن تكـــون هذه الثورة او تلك ، نسخة طبق الأصل لثورة أخرى سبقت، بسبب الأنواع والاشكال الدينماكية للحياة الاجتماعية • في هذا الصدد ، نجد وجهات نظر ، عند راديكالـي البورجوازية الصغيرة ، حيث يتمسكون بالرأي القائل ان الثورة تنبثق من

---

(١) لينين مجموعة الأعمال الكاملة مجلد «٢١»ص • (٧٥) •

اشكال التطور السلمي الهادي فقط ، الا أن وجهتي النظر عند هؤلاء فوهة البندقية ، كما نجد وجهة نظر الاصلاحيين ، الذين يصرون على واؤلئك تلتقيان ، بنظرة جامدة مشتركة هي الدوجماتيكية ـ اي (ترديد البغباء • المترجم) وهي نظرة محدودة وضيقة الأفق • كما أن هذين المفهومين يجعلان من سمات التطور ، قانونا عاما لكل العالم • وبالطبع ، فان ذلك لايتفق مع وجهة نظر التاريخ العالمي ، ومع ذلك ، من الممكن أن يناسب عددا محددا من البلدان والمناطق •

تتأثر اشكال العملية الثورية دون ريب ، وبشكل قوي ، في البلدان المختلفة ، بما طرأ من تغير على الروابط بين القوى في العالم ، والتي نجمت ، وتأخذ مجراها اليوم بالثورة الاشتراكية للبروليتاريا ، وهي ثورة لها أهميتها على نطاق الكرة الأرضية •

كان لهذه الثورة مراحلها : في الطور الأولى ، يتوجب عليها أن تتغلب على الصعوبات في النظام الرأسمالي ، تنطلق عبرها بحكم الضرورة الضاغطة لتحقيق التحول الثوري ، وتبدأ مسيرتها نحو بناء الاشتراكية •

يحمل الطور الأولي معه تغييرات ، من شأنها أن تؤثر الى درجة كبيرة ، في ظروف التطور اللاحق للعملية الثورية • من الواضح ، أن الاطوار التالية ، لايمكن أن تكون تكررا للطور الاول • يساهم كل طور جديد ، بعناصر اضافية للعملية الثورية العالمية ، يمكن أن تعدل من ظروف تطورها • وهذا من شأنه أن يؤثر بعمق على الاطراف المعنية بالقفزة الثورية على نطاق المعمورة • تلك القفزات التي تتشكل منها الثورات الاشتراكية في مختلف البلدان ، وتشكل في نفس الوقت جزءا من العملية الثورية في العالم • يضاف الى ذلك أن المراحل الأكثر نضوجا في

عملية الثورة العالمية تخلق ظروفا ملاءمة اكثر ، للثورات الناشئة ، هنا أو هناك في النظام الرأسمالي •

يصبح التطور السلمي والتدريجي للثورة الاشتراكية ، أمرا نسبيا ، في المرحلة التي يتم فيها كسر سلسلة الأمبريالية لأول مرة ؛ وهذا الوضع يوجد فقط ، بسبب تلائم الظروف المحيطة بالثورة بصورة فريدة ، غير عادية • كانت هذه الامكانية نادرة في ذلك الوقت ـ (اي وقت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى •• المترجم) ـ تلك الامكانية النادرة في ذلك الوقت برزت في روسيا مباشرة ، بعد انتصار الثورة البورجوازية الديمقراطية في شباط ١٩١٧ (ـحكومة كيرنسكيـالمترجم)واستمرت قائمة حتى أزمة تموز، لتعود وتظهر من جديد بعد أيام قليلة من سحق فتنة « كورنيلوف » [١] وحول ذلك كتب لينين « لاتجرؤ اي طبقة ، أن تنهض ضد السوفيت ، أما وبعد أن تعلم ملاك الأرض ، والرأسماليون ، درسا من تجربة ثورة كورنيلوف ، فلسوف يسلمون سلطتهم بسلام ، وينصاعون للانذار النهائي السوفيتي » • [٢] بعبارة أخرى يصبح تطور الثورة سلميا ، فقط ، عندما لاتستطيع ولا تجرؤ الطبقة الحاكمة ، اللجوء الى العنف علانية ضد الشعب •

على الرغم من كافة الجهود التي بذلتها الطليعة الثورية للطبقةالعاملة اي الحزب الشيوعي الا أن امكانية تحقيق الثورة السلمية في روسيا لم يتحقق •

---

(١) في آب ١٩١٧ دبرت الرجعية مؤامرة لوقف تقدم الثورة ، أختير في ذلك الوقت الجنرال كورنيلوف ليقوم بتنفيذ خطط اخماد الحركة الثورية عسكريا •

(٢) لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٢٦ • ص «٦٧» •

بعد أن عـاد لينين الى روسيا بعد ثـورة مارس ١٩١٧ كان يتصـور امكانية التطور السلمي للثـورة البورجوازية الديمقراطيـة التي تحققت، تطورها الى الثورة الاشتراكية • الا أن الوقائع الملموسة ، كما كانت آنئذ، وكما رآها لينين ، كانت تؤكد أن المناشفة يقفون بعناد ضد التطور اللاحق باتجاه الثورة الاشتراكية ، وكانت موضوعات نيسان التي كتبها لينـين وهو مختفي ، مؤكدة في مجملها أنه لابد من الاطاحـة بالحكم البورجـوازي المتنكر للديمقراطية بثورة بروليتارية فلاحية مسلحة (وكانت ثورة اكتوبر المظفرة أبدا ـ المترجم راجع تأريخ ثورة اكتوبر ـ المترجم ـ) • ان حدة تمايز القوى الطبقية ، وحدة الصراع الطبقي ، يضاف الى ذلك الافتقـار الى التجربة التاريخية التي تمكن الشعب من ادراك حقيقة الاشتراكيـة ، وموقف الاحزاب الاشتراكية للبورجوازية الصغيرة المهادنة ، كل ذلك كان من العوامل الحاسمة لكي تشق الثورة طريقا غير سلمي •

واليوم ، نجد أن انتصارات الاشتراكية المعاصرة ، وتغير ميزان القوى العالمي لصالح الطبقـة العاملة العالميـة ، زادا من امكانيات التطور السلمـي للاشتراكية • لم يعد اليوم الأمر ، ممكنا للحديث عن التحول السلمي نحو الاشتراكية في البلدان الرأسمالية [1] ، بصورة استثنائية لأن الذي يقـرر ذلك هو منطق الترابط بين القوى التي تساند الطبقة العاملة والاشتراكية ، وباتساع نضال الجماهير من اجل الديمقراطية ، وباليقظة العالمية حيـال الحاجة الملحة للتحولات الديمقراطية التي يجب تعميق طبيعتها المعاديـة للاحتكارات • تطرح الاحزاب الماركسية اللينينية في هذه البلدان الرأسمالية مفهوم استراتيجية التحول التدريجي نحو الاشتراكية • اشار باليرو توليياتي

---

(١) الانسانية ١٩٧٠/٢/١٤ أومانيتيه •

وهو يتبنى هذا الاحتمال ، في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الايطالي : « أننا نتقدم بمفهوم التطور التدريجي ، حيث يصعب معه التقرير بشكل مؤكد متى تتم التغييرات النوعية ..» ويعتبر الحزب الشيوعي الفرنسي كما جاء في الاطروحات المقدمة لمؤتمره التاسع عشر « ان فرنسا سوف تتحول نحو الاشتراكية بطريق سلمي » [1] .

ان هذه الامكانيات الجديدة ترتبط عند الماركسيين بالمرحلة الأكثر نضجا ، التي وصلت اليها عملية الثورة العالمية ، وذلك نتيجة ثورة اكتوبر وما حملته معها من توجهات تاريخية . تشير الى ذلك وثائق المؤتمر الحادي عشر للحزب الشوعي الايطالي ، التي تبين ، أنه مع انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، بدأ اتجاه تاريخي عظيم ، كان من شأنه (أن غير واقع العالم بصورة حاسمة ، كما غير العلاقات القديمة للقوى » . وخلق « ظروفا وامكانيات جديدة لتقدم الشعوب ومسيرتهم على درب الاشتراكية » .

وحدة الطرق السلمية وغير السلمية

ان نمو امكانيات تطور الثورة الاشتراكية تدريجيا بصورة مقارنة ، وسلميا بشكل نسبي ، لايدل على ان ذلك هو الطريق الذي يجب التزامه. لأن شكل الطفرة الثورية في كل بلد يعتمد على الظروف الداخلية . من الواضح أنه في المرحلة الراهنة لامجال للحديث عن التطور السلمي ،ذلك، لأن مجموعة من البلدان الرأسمالية تحكمها انظمة ديكتاتورية ، والغيت فيها الحريات الديمقراطية . حتى بعد أن تتوفر امكانية التحول السلمي نحو الاشتراكية ، فان المحصلة النهائية تعتمد على صراع القوى ، وعلى

---

(١) الانسانية ١٩٧٠/٢/١٤ اومانتية .

قدرة الطبقة العاملة أن تبني لنفسها تفوقا حاسما وتحول دون المقاومة المسلحة للبورجوازية •

ان السبل السلمية ، وغير السلمية ليسا قطبين متعارضين • على الرغم من تعدد الاشكال التي تحقق فيها الطبقه العاملة سلطتها ، الا أن الاشكال الاساسية لهذا العمل الثوري هي نفسها :

ـ لايهم أي طريق تم سلوكه لاحراز السلطة ، ان الحاجة تتطلب كما وصف لينين ، ذلك « لأن قوة الطبقات الثورية سوف تقاتل وتستطيع ذلك » [1] هناك الحاجة للارغام الثوري للطبقات المدحورة بهذا الشكل أو ذاك ، (القمع المسلح في حالة لجوءها الى المقاومة المسلحة ، الاعتقال في حالات اللجوء الى التخريب ، الرقابة وغير ذلك من (أساليب الأرغام) •

في كل حالات النضال في الثورة الاشتراكية ، من أجل السلطة توجد حركة سياسية عريضة تضم غالبية الطبقة العاملة وحلفائها في مجرى التطور، لانتقال السلطة للطبقة العاملة ، سواء كان ذلك سلميا او غير سلمي فان الذي يقرر ذلك هو انتفاضة الحركة الثورية على اوسع نطاق للأمة ،والتي تتم في ظروف وضع ثوري وأزمة وطنية عامة •

ـ لا هذا ولا ذاك من الطريقين ممكن بدون صراع طبقي حاد ، ولا يمكن تقرير نتائجه بشكل مسبق ، لأن ذلك يعتمد على درجة نضوج الشعب بمجمله ـ على العامل الذاتي •

ـ وفي كل الاحوال ، فان ظفر الطبقة العاملة بالسلطة ، يدل على تغيير اساسي في المحتوى الطبقي للدولة ، كالانتقال الى شكل من اشكال

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٥ ص ٢٩٢ •

ديكتاتورية الطبقة العاملة ، والغاء جهاز القمع للدولة التابع للسلطة القديمة •

– يصبح من الضروري في النضال من اجل السلطة باي شكل كان، فضح السياسة التوفيقية للبورجوازية ، للانتهازية اليمينية والاعمال اليسارية المتعصبة •

– يتطلب نجاح السلطة الجديدة دائما ، قيادة سياسة حازمة ،مثابرة وفعالة من جانب الحزب الماركسي – اللينيني الثوري •

– هناك عناصر مشتركة ، بين شكلي الثورة يكمن في تركيبهما • لايعرف التاريخ شكلا واحد بحتا للثورة ، هناك الاشكال السلمية وغير السلمية ، التدرج والتقدم غير السوي ، التطور ، واعادة بناء العلاقات الاجتماعية لتغيير نوعي جذري ، الاصلاحات والتحويل الثوري – كل هذه العناصر يحتمل تواجدها ، في كل ثورة ، بذلك القدر النسبي ، او بهذا الشكل من التآلف او غيره •

ان التوازن بين هذه العناصر ، وطبيعة الروابط بينها ، يقرران الشكل المحدد للعملية الثورية • عندما نتحدث عن الشكل السلمي وغير السلمي ، التحول التدريجي او التغير العنيف بضربة واحدة ، ذلك ليس لأن بعض هذه العناصر متوفرة في الثورة المفترضة وغير متوفرة بغيرها ، ولكن بسبب انه في الظروف المفترضة للعملية الثورية ، تسود بعض العناصر والسمات والأوجه على غيرها ، وتأخذ مكان الصدارة وتقرر طبيعة الثورة بشكل محدد •

عندما يكون الوضع غير ناضج بعد ، ولم يتم تجميع القوى للثورة بعد،

لا يستطيع النضال المسلح انجاز مهام الثرة الاجتماعية • تنضج الظروف من اجل الثرة تدريجيا ، بحكم تراكم التجربة السياسية للشعب بمجموعه، وهذا لايكون باديا للعيان في حينه في كثير من الاحوال ، ثم يبدو واضحا نتيجة نشاطات الطليعة الثورية المثابرة سلميا بالدرجة الاولى • اذا استمرت الثورة في التطور لتأخذ شكل النضال المسلح فان ذلك لا يدل على استبعاد الاساليب السياسية السلمية ، التي مازالت ضرورية،لجذب جماعات جديدة من الطبقة الثورية ، الى النضال ، وفي سبيل تحييد المتذبذبين • وعلى نفس النحو فان فترات التشديد الحاد للنضال المسلح ، تخلي مكانها ، لفترات من التطور التدريجي النسبي وهذا ضروري من اجل توطيد المكاسب التي تم تحقيقها ، ومن أجل تجميع القوى من جديد للمعارك القادمة ، وعلى العكس ، فان الثورات السلمية تفترض مسبقا ودائما ، اللجوء الى الأرغام بهذا الشكل او ذاك ، دون استبعاد الصدام المسلح في بعض القطاعات وفي لحظات معينة •

كما توجد احتمالات للربط بين اشكال واساليب النضال الثوري السلمي وغير السلمي • من الواجب أن نتذكر أن التميز بينهما شرطي الى حد ما • يمكن للثورة أن تمر سلميا ولكن تتضمن صدامات مسلحة ـ محلية ، كما يمكن أن تبدأ بالاعمال المسلحة ويلي ذلك مراحل سلمية نسبيا •

أساليب النضال

تقود امكانية تنوع اشكال النضال الثوري وحتى غير المرئي من هذه الاشكال ، الى الاستنتاج : على أنه من الضروري دراسة كل أساليب

العمل الثوري بعمق وعدم الاكتفاء بتكرار الاستراتيجية والتكتيك بصورة جامدة ، لكي تظفر الطبقة العاملة بالسلطة • في العمل السياسي من الصعب أن نعرف سلفا «ماهي أساليب النضال التي سوف تكون قابلة للتطبيق وتكون لمصلحتنا في ظروف معينة من المستقبل • مالم نتعلم تطبيق كل أساليب النضال ، فمن الممكن أن نعاني في بعض الاحيان هزيمة محزنة ، ان لم تكن حاسمة ؛ اذا حدث تغيير خارج عن ارادتنا ، في وضع الطبقات الأخرى ، ودفعت آنئذ ، الى المقدمة شكلا من النشاط لا نتقنه ، لأننا ضعفاء فيه بشكل خاص • فاذا تعلمنا استعمال كافة اساليب النضال ، عندئذ يصبح النصر مؤكدا ، ذلك لاننا نمثل مصالح الطبقة الأكثر تقدما فعلا ،والاكثر ثورية في الواقع ••••» [1] يترتب على ذلك ، أنه عندما نتبنى اسلوبا معينا للاستيلاء على السلطة ، يتلاءم مع الحالة القائمة والعلاقة بين القوى في البلد ، وعلى الساحة العالمية ،فمن الضروري أيضا ، أن ندخل التطور السياسي ، ونشاط الطبقات ، والاحزاب والمنظمات السياسية •

بعد توجيه الاستراتيجية ، نحو شكل محدد الاستيلاء على السلطة حين يتقرر ذلك ، وبعد تقييم صحيح للوضع القائم ، وعند أخذ الاتجاهات الرئيسية للعصر بعين الاعتبار ، يمكن مع كل ذلك ، أن تنقلب الأمور ضد تلك المقاومة ، الأمر الذي لا يتطلب تغيرا التكتيك ، بل وتغيير الاتجاه نفسه • فاستراتيجية النضال من اجل السلطة يجب أن تكون مرنة ، مفترضين احتمال التحول السريع من اتجاه الى آخر ، بينما يتم تركيز الجهود للعمل في اوساط الشعب في كل الاحوال ، والاستيلاء على رؤوس جسور سياسية حاسمة ، وضرورية ، لأي طريق نحو الاستيلاء على

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٣١ ص ٠ (٩٦) •

السلطة ، هذا في الوقت الذي تتوفر فيه امكانيـة التحـول للانتقال الـى الاشتراكية • شدد مؤتمر الاحـزاب الشيوعية والعمالية المنعقد في مـوسكو عام ١٩٦٠ حول ، « فيما لو لجأت الطبقات المستغلة الى العنف ضد الشعب، فمن الواجب أن لاننسى أن امكانية الانتقال الى الاشتراكية لايكون سلمياً. تعلم اللينينية كما تؤكد التجربة أن الطبقات الحاكمة لاتتنازل عـن السلطة طوعا • في مثل هذا الحال ، ستعتمد درجة ضراوة أشكال الصراع الطبقي ، لاعلى البروليتاريا ، بقدر ماتعتمـد على المقاومة التي تقوم بها الدوائـر الرجعية ، وعلى ارادة الغالبية الساحقـة من الشعب ، وعلى تلك الدوائـر التي تعتمد القوة في هذاوتلك المرحلة من النضال من اجل الاشتراكية

تشهد الاحداث القريبة على موضوعية الاستنتـاج الماركسي اللينينـي المتعلق ، بحاجة الطبقة العاملة لاستيعاب كافة أشكال النضال ، من أجـل السلطة ، وأن تكون مستعدة لاي تغيير سريع ، وأن تثبت تعذر الدفـاع عن التوجيه الجامد ، سواء أكان ذلك بالانتقال السلمي الكامل الى الاشتراكية او بالنضال المسلح فقط •

شهدت السنوات الحديثة ، تشديدا ملحوظا لهجمات الرجعية علـى المؤسسات الديمقراطية ، في عدد من بلدان الدول الغربية ، حيث توجـد امكانية فعلية للانتقال السلمي الى الاشتراكية • صرح انريكو بيرلنجيور ، السكرتير العام للحزب الشيوعي في ايطاليا ، مخاطبا المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، « انسجاما مع منطق النضال الطبقي ، ومع نهوض الطبقة العاملة ، والحركة الديمقراطية لم يكن ممكنا تجنب مجابهة الهجوم الرجعي المعاكس بشكله المسعور ، والذي قامت به القوى الرجعية ، ولجأت فيه أكثر وأكثر وبشكل متكرر ، الى الاستفزاز والعنف والارهاب

المنظمين ، ضد الطبقة العاملة ومنظماتها والنشطين منها • مثل هذه المجابهة وطبيعتها ، تؤكدان أنه من المحتمل أن تواجه الطبقة العاملة الحاجة لصد التحرك الرجعي بالقوة » •

كما تدحض التجربة أيضا ، الجانب الآخر المتطرف ، وهو اتجاه اليسارية المفرطة ، لكسب السلطة من فوهة البندقية فقط • انتشرت مثل هذه الآراء انتشارا واسعا ، بكل معنى الكلمة ، في بلدان اميركا اللاتينية • الا أنه في نهاية عام ١٩٧٠ ، تسلم الحكم في تشيلي كتلة الوحدة الشعبية بطريقة دستورية تماما ، باحراز النصر في الانتخابات • على كل حال يوجد هناك رد فعل لاتبدو لديه الرغبة في التخلي عن المسرح طواعية ، ولا يستبعد أن يشن النضال المسلح ، قاطعا الطريق أمام التطور السلمي للثورة • ان تجربة تشيلي هي تأكيد اضافي لصحة القول : لكي تحرز السلطة وتحافظ عليها ، يجب على الطبقة العاملة أن تكون قوية لدرجة تلجم معها الثورة المضادة •

يدعو الصراع الطبقي ، وقد اصبح عالميا ، في عصرنا الراهن ، الى الحذر والأنتباه ، حيال القيود الجامدة لاختيار اشكال ظفر الطبقة العاملة بالسلطة • ذلك على الرغم من ان الموازين تميل اكثر فاكثر لصالح قوى الاشتراكية ، وتزيد من امكانيات التطور السلمي للثورة الاشتراكية ، في بلدان العالم الرأسمالي ، الا أنه توجد هناك ، نزعات أخرى ، لايجب غض النظر عنها واغفالها باي حال •

ان عملية تكامل الاقتصاد في البلدان الرأسمالية ، وتحالف الامبريالية العدواني ، بالاضافة الى الاحلاف العسكرية ، كل ذلك يزيد من تعقيد وصول الطبقة العاملة الى السلطة في بعض الاقطار • تلك العوامل الجديدة تشكل عبئا لاختيار اشكال النضال الثوري ، وتتطلب تحديد هدفا مرنا ،

بعقلية ديالكتيكية • وهنا يتزايد خطر اعمال المغامرة للعناصر اليساريةالتي من شأنها أن تثير صداما مع الرجعية في العالم وهي متفوقة في قواها ، هذا من جانب ؛ اما من الجانب الآخر ، فان الاتجاه نحو طريق التطور السلمي لايمكن الا أن يفرض التفكير ، في احتمال اللجوء للعنف المسلح ، ليس من جانبالطبقة الحاكمة فيذاك البلد وحسب،بل على مستوى الماكينة العسكرية للاحلاف الأمبريالية •

ان الاشكال الحقيقية للسير والانتقال الى الاشتراكية تجد تعبيرا لها ، في الفرضية الماركسية حول تنوع أشكال الانتقال في التطور الثوري •

الاشكال الانتقالية

اشار كارل ماركس الى احتمال وجود مراحل انتقالية واجراءآت مرحلية ، في الطريق من الرأسمالية الى الاشتراكية ، حيث نجد ذلك « في دولة ، تعيش مرحلة تحول اجتماعي ، ونجد فيها أن الأسس الأقتصادية للمجتع لم تتحول بعد ؛ هذا جانب • أما من الجانب الآخر حيث نجد فيه أن الجماهير العاملة قد جمعت من القوة مايكفي لتفرض الاجراءآت الانتقالية المحسوبة لتحضر من اجل التغيير الجذري والنهائي للمجتمع » • [1]

نجد هذه المسألة قد تم درسها بعناية في اعمال لينين ، مثال على ذلك: نظرية تطور الثورة البورجوازية الديمقراطية ، الى ثورة اشتراكية ، او بعبارة أخرى نظرية الثورة المستمرة التي تمر باشكال انتقالية ، تكون فيه الاجراءآت الجذرية ، غير قادرة على تجاوز حدود النظام الرأسمالي،

---

(١) الاجتماع العام للاممية ١٨٦٨ – ١٨٧٠وقائع الاجتماع موسكو ١٩٦٦ ص ٣٢٤ •

ومع ذلك فانها تضع الالغام لتقويض أسس الجبروت الأقتصادي لـرأس المال وترسي قواعد التحولات الاشتراكية •

اما فيما يتعلق بالسياسة ، يمكن اعتبار ذلك شكلا من اشكال الدولة الانتقالية ، حيث يتضمن ويحمل معه ديكتاتورية البروليتاريا والفـــلاحين الديمقراطية ، وكلما تعمق مجرى الثورة ، تتحول الى ديكتاتورية الطبقة العامـــلة •

لاتتطور الثورة الاشتراكية العالمية ، وفقا لجدول زمني تم اعـداده بناء على النمط المنطقي للقوانين العامة لتطور الرأسمالية•فالثور الاشتراكية العالمية تشق طريقها عبر النظام ارأسمالي عندما تتوفر الظروف المـــلائمة لذلك • لأن التغيير الفعال لمواقع مختلف الفئآت من وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية ، عندما يختلط عضويا ، مع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، من شأنه أن يسد الطريق المستقيم في وجه الاشتراكية •

يحثالانتهازيون اليمينيون في برامجهم ، يحثون الثوريين ليتوقفـوا وينتظروا الرأسماليـة حتى تأخذ مداها ، كمـا أن اليساريين يدعون الـى القفز مباشرةنحو ديكتاتوريةالطبقة العاملة ،هؤلاءوأولئك يعرقلون اكتشاف الطريق السليم،كما يمنعون بناء العلاقات الفارقة التي تتخلل تلك الطريق•

الطور الأولي للثـــورة الاجتماعية للبروليتاريا ، هـو اللجوء الـى الاشكال الانتقالية وقد جرى تحديده بدقة • فهو يتطلب الانقطاع عـــن الاندفاع الأول المفاجىء نحو تنظيم جديد للمجتمع ، من أجل الاكتشاف العاجل ، لتلك الاشكال الاجتماعية ــ الاقتصـادية ، والسياسية التي مـــن شأنها أن تجعل الأمر ممكنا لقطع الصلة فورا مع الماضي • وخلاف ذلـك يصبح بمقدور النظام القديم أن يخنق براعم النمو الجديدة ، خاصة وأن

الشعب لايمتلك تجربة تاريخية في النضال من اجل الاشتراكية • ومع ذلك ففي عشية ثورة اكتوبر اعطى لينين كثيرا من العناية والفكر للاشكال الانتقالية للنضال الثوري من اجل الاشتراكية • وعندما تم حسم مسألة السلطة ، بنى لينين اهمية كبيرة على اللجوء الى الاجراءآت الاقتصادية الانتقالية • طرح لينين وهو يفكر بالآفاق الثورية للاقطار التي لم تمر بمرحلة النظام الرأسمالي ، كما جسد فكرة طريق التطور اللا رأسمالي كنظام له مراحل انتقالية واشكال للتقدم باتجاه الاشتراكية متجاوزا الرأسمالية •

ان افكار لينين حول الاشكال المحددة للتقدم الثوري ، بما في ذلك ، المراحل الانتقالية ، تحتل أهمية خاصة في الاحداث الجارية في وقتنا الراهن • وهي وثيقة الصلة بشكل خاص بالاقطار ذات الاتجاه الاشتراكي التي انجزت تحررها الوطني والتي يتميز تطورها باشكال اقتصادية انتقالية، وتحول في العلاقات الاجتماعية ، وتحالفاتها السياسية ، وموقفها الثوري الديمقراطي • ان البحث عن المراحل الانتقالية على طريق الاشتراكية هو امر هام للبلدان الرأسالية المتطورة • لأن اعادة بناء الأقتصاد على أسس ديمقراطية عميقة ، وأشكال التآلف الديموقراطي ، وقيام حكومة تتشكل من تحالف القوى اليسارية ، تلك هي الاهداف التي تضمنتها برامج الاحزاب الشيوعية لاستمرار تعميق الاصلاحات الديمقراطية ، وهذه تشكل مراحل متوسطة ، واشكالا انتقالية ، في الطريق نحو الاشتراكية ، في ظروف على درجة عالية من النضوج الاقتصادي والاجتماعي وتمهيد الطريق نحو الثورة الاشتراكية •

تختلف اشكال الطفرة الثورية من حيث فكرتها ، وعناصرها المرافقة في عدد من الملامح المميزة للمراحل المتوسطة • الا أنه وفي كل الحالات

يبقى منطق التقدم الثوري هـو نفس منطق الأنتقال من وضع نوعي الـى آخر ، هو منطق الثورة التي تحول البنية الأقتصادية والاجتماعية ، وتضع السلطة السياسية في أيدي الطبقة العاملة • وهذا المنطق دليل شاهـد على كل ، من طريق النضـال المسلح نحو الاشتراكيـة وعلى طريق التطـور التـدريجي والسلمي نسبيا • وفي هـــذا المنطق يكمن جوهر الثـــورة الاشتراكيـــــة •

الثورة والاصلاح :

لاشك أن مفهوم « الاصلاحية » يتعارض مـع مفهوم « الثـورة » • كتب لينين حول ذلك ، وقال : « ان الاخفاق في أن نتذكر هـذا التناقض ، لايعني ، الا الاخفاق في أن تتذكر ، الخط الفاصل بين هذين المفهومـين ، وهذا يقود باستمرار الى اخطاء خطيرة في المناقشات التاريخية ؛ ومع ذلك ، هذا التناقض ليس مطلقا ، كما أن هذا الخط ليس بدون حياة ، انـه خط حي ، متغير يتوجب على المرء أن يحدده في كل حالة خاصة على حدة [1] • تعني الثورة استئصال نظام اجتماعي اقتصادي محدد من جذوره ، ثم بناء نظام من طراز جديد • بينما تعني الاصلاحية ، تحويلا كيفيا في اطار نظام معين ، لذلك فانهما متعارضان ، ومتشابكان في وقت واحد • يمكن اعتبـار الاصلاحات ، من فضلات النضال الثوري ، الا انها مع ذلك تخدم بدورها الاغراض الثورية •

بغض النظر عن واقع ، أن الدور السائد هو لتلك الصلة المتشابكة ، أو أن الأمـر عكس ذلك ، فـلا يمكن اتخـاذ قرار بشكل مطلـق • لأن

---

(١) لينين المؤلفات الكاملة • مجلد ١٧ ص ١١٥ ـ ١١٦ •

الاصلاحات تصبح وسيلة لاجهاض الثورة في بعض الحالات ، وفي حالات أخرى تمضي الاصلاحات والثورة باتجاه واحد • اعتبر لينين اثناء التحضير لثورة اكتوبر ، أن تأميم الأرض ، والبنوك ، وتوحيد النقابات ، واشراف السوفيتات عليها ، كل ذلك «بمثابة اجراءآت لعملية الأنتقال الى الاشتراكية» •(١) ان الحدود الفاصلة بين ماهو ثوري وماهو اصلاحي ، يجري تقريرها على ضوء الوضع الحقيقي القائم • كما أن المسيرة المشتركة لكل من الاصلاح والثورة الاشتراكية ، يمكن اعتبارها سمة الاتجاه العام للتاريخ المعاصر • ولا يجوز اعتبارها اكثر من ذلك • لأنه تسود في بعض الظروف العوامل المعاكسة ، وهنا يبدو التناقض بين الاصلاح والثورة ، عنصرا معارضا للاتجاه العام ، وعندها يصبح التناقض اكثر وضوحا •

هنا ، ينشأ سؤال ، ماهي الاسباب القائمة التي تسمح بالحديث عن تقريب طريق الاصلاح الى طريق الثورة الاشتراكية ؟ • احد هذه الاسباب هو اتساع وعمق العملية الثورية العالمية • ان المقولة حول « ان الاصلاحات ، هي من فضلات النضال الثوري » مازالت صحيحة وسارية المفعول حتى اليوم على النطاق العالمي • فالاصلاحات التي تم تنفيذها ، وتلك التي مازالت موضع التنفيذ ، على نطاق بلدان التحرر الوطني ، لم تكن نتيجة نضال شعوب هذه البلدان وحسب ، بل نتيجة التحولات البارزة التي تحققت على النطاق العالمي ؛ يضاف الى ذلك أن المكاسب التي احرزتها الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، المتطورة ، مدينه الى درجة كبيرة ، لنجاح الثورة الاشتراكية العالمية الحقيقية • يجب رؤية الاصلاحات

---

(١) لينين المؤلات الكاملة • مجلد ٢٦ ص ١٧٠ •

الديمقراطية اليوم ، بغض النظر عن المكان الذي أنجزت فيه ، في اطار العصر والتقدم على وجه المعمورة ، من الرأسمالية نحو الاشتراكية • يضاف الى ذلك أن الاتجاه نحو تقارب اكبر بين كل من الاصلاحية والثورة الاشتراكية ، لكي تسيران معا ، يجد له حافزا اليوم ، بسبب الثورة العلمية والتكنولوجية ، وجعل الانتاج الاجتماعي تقدميا ، بالاضافة الى التوسع في نظام دولة الاحتكار الرأسمالي ؛ فهذه الدولة ، قد وضعت المجتمع قريبا من الخط ، الذي لابد معه وبعده من احداث تغيير نوعي • ان كل تدخل جدي ، في البناء الاقتصادي الاجتماعي للعلاقات الاجتماعية ، حتى لو لم يكن له طابعا اشتراكيا ، يمكن أن يصيب بالخلل ، التوازن غير الثابت ، للنظام ، وقد يطلق زناد التغير ، الذي سوف يكون من شأنه تقويض سيطرة رأس المال المالي الاحتكاري ، كما أن الاصلاحات الديمقراطية الرئيسية ، التي لاتتجاوز حدود النظام الرأسمالي ، يمكن لها أن تشكل عتبة الأنتقال الى الثورة الاشتراكية •

ان تعميق التناقض بين الاحتكارات والشعب ، وتعاظم هذا التناقض الذي يقترب أبدا من حدود التناقض بين العمل ورأس المال ، بين الطبقة العاملة والبورجوازية ، بالاضافة الى تشكيل التحالف الواسع بين القوى المناهضة للامبريالية ، كل ماتقدم ،وتمشيا معه ، يخلق ظروفا اجتماعية وسياسية ملائمة ، لشد كل من الطرفين بعضهما الى بعض :أي الاصلاحات الديمقراطية والثورة الاشتراكية •

على كل حال ، لايعتمد تحريك الخط الفاصل بين الثورة والاصلاح كلية على الظروف الموضوعية • فالاصلاحات الديمقراطية في المجتمع

الرأسمالي اليوم تحقق اغراضا متنوعة ، هذا يتوقف على الطبقة التي تنجح في تحقيق الاصلاحات • حقا ، يمكن للرأسمالية أن تقوم ببعض الاصلاحات ، ولكنها تفعل ذلك كاجراء وقائي • الا أن الطبقة العاملة تناضل لجعل الاصلاحات وسيلة لزعزعة النظام الرأسمالي ، وضمان موطئي قدم لها ، يمكن أن يتحول الى « مراكز قوية لحركة الطبقة العاملة الزاحفة من اجل الانعتاق التام للبروليتاريا » [1] كما يمكن تأجيج صراع طبقي حاد ، من خلال الاصلاحات وذلك يتوقف على عمقها وطابعها •

الاجراءآت الاصلاحية المسبقة :

عندما يحل أوان الاصلاحات الديمقراطية ، وتعيها الغالبية من الشعب ، هنا ، كثيرا ما يلجأ مفكرو البورجوازية ، وقادتها السياسيون ،الى تكتيك خاص « لاتخاذ الاجراآت » الاصلاحية سلفا •

من هذا التكتيك ، كان التأميم في عدد من الاقطار ، وكذلك أيضا ، كانت برمجة الاقتصاد ، أو « المساهمة » العمالية في ادارة المشاريع •

نجد مثالا نموذجيا لتكتيك الاصلاح البورجوازي ، في ذلك الطراز المرتبط باسم ديجول • أعلن ديجول بعد فترة وجيزة من أحداث أيار حزيران عام ١٩٦٨ في فرنسا ، برنامجا اصلاحيا يتضمن عددا من المطالب لحركة الجماهير الضاغطة ، الا أنها تعكس عمليا مصالح رأس المال الكبير• وعلى وجه التحديد كانت الجماهير تطالب بمساهمة العمال في الادارة ؛ وهنا حاول الرئيس ديجول أن يضفي على هذا الاجراء طابع تزايد وتوطيد سيطرة رأس المال الكبير • « تنظيم المساهمة حيث لم تكن موجودة

---

(١) لينين ـ مجموعة الاعمال ـ مجلد ١٥ ص ٤٤٠ •

بعد » • [1] حيث صرح في مؤتمر صحفي : ـ « وتوسيع المساهمة حيثما وجدت ، هذا مايجب علينا أن نعمل من أجله ، ولكن ، بشرط واحد ••• ذلك الشروط هو ، أن تواصل استمرار النظام في كل مكان ••• يمكن انجاز التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، عندما تحل روح وحقيقة ذلك التعاون تدريجيا ، محل حقيقة الصراع الطبقي ••• » [2] من الصعب أن نجد تعبيرا أوضح لتحويل « المساهمة كوسيلة لانتشال الرأسمالية ، واضعاف الصراع الطبقي ـ وهو جوهر موضوع الاصلاح البورجوازي •

جرت محاولة من جانب ليو ـ هامون ، احد المفكرين الديغوليين اليساريين لتجسيد السياسة الاصلاحية البورجوازية نظريا • فهو يأخذ موقفا انتقاديا من النخبة الحاكمة المحافظة ، التي ترفض فهم الجوهر الطبقي لهذه السياسة ، كتب يقول : ـ « أن توصية التاريخ لكل الانظمة ، التي ترغب في صنعه ، هي أن تكون قادرة للبرهنة ، على جدارتها واحتمالها ، للعبور خلال ممر ضيق ، يتم اجتيازه عبر الحكمة ، والعدل والاصلاحات المستمرة الخالية من مآسي الثورية والمحافظة » [3] •

صاغ هامون برنامجا للاصلاح الاجتماعي يتضمن حديثا اكثر حول النقابات ، « الاتفاقات التقدمية » ، ديمقراطية التعليم العالي ، وحركة أسهل في السلم الاجتماعي ، وتحرك اجتماعي أوسع •

ان الهدف من كل ذلك ، هو ممارسة التأثير الواعي في تطور

---

(١) ليموند ١٩٦٨/٩/١١ •
(٢) نفس المصدر •
(٣) نفس المرجع •

الرأسمالية ، من أجل « التصحيح الذي يساعد على انعاش الآمال في تغير الواقع » ... « لاستئصال الظلم بأسرع مايمكن ، لأن استمراره يجعل الثورة أمرا حتميا ... » [1] هنا لايستطيع المرء الا أن يستعيد ملاحظة لينين ذات الفكر الثاقب بشكل مدهش .. « معارضة الاصلاحية بالثورة الاشتراكية ـ ماهي الا المعادلة التي تطرحها البورجوازية المثقفة « المتقدمة العصرية » . [2]

لقد أصبحت الاصلاحية البورجوازية من الاتجاهات البارزة الرئيسية لدولة الاحتكار الرأسمالي .

تقدمت الأحزاب الشيوعية ، وهي ترفع عاليا مصالح الشغيلة ،ببرنامج لتعميق مجرى التغيرات الديمقراطية ، كتأميم الصناعات الرئيسية والاشراف الشعبي على الانتاج ، ومشاركة العمال في ادارة المشاريع وادخال الاصلاح على نظام الضرائب ، والاصلاح الزراعي واشاعة الديمقراطيين في كافة أوجه الحياة الاجتماعية . مثل هذه الاصلاحات لاتأتي بالاشتراكية فورا ، الا أنها في ظروف التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي بمستواه المرتفع ،تشكل الممهدات للانتقال الى الاشتراكية ، تستطيع الاصلاحات العادية أن تتجاوز، وتغزو بنية النظام الرأسمالي وتخلخل أسسه . هذا البرنامج يمكن وضعه موضع التطبيق عبر النضال العنيد فقط ضد محاولات رأس المال الاحتكاري لسبق المطالب الديمقراطية باجراءآت بديلة تلائم مصالح طبقتهم الخاصة .

---

(١) الليموند ٧٠/٥/٨١ .

(٢) لينين المؤلفات مجلد ١٧ ص ٢٢٩ .

هناك برنامجان يجابه أحدهما الآخر في العالم الرأسمالي : ـ البرنامج البورجوازي الاصلاحي الذي تم تصميمه للحفاظ على الرأسمالية ؛ والبرنامج الشيوعي الذي تم تصميمه لتهيئة الظروف من أجل الغاء نظام الاستغلال • ومن هنا تهدف محاولات القوى الاصلاحية في صفوف حركة الطبقة العاملة ، الى ايجاد « المخرج « بطريق ثالث » » وهذه الطريق من شأنها أن تحمل معها تأرجحا مستمرا ، يقود في النهاية الى الوقوع في أسر الاصلاحية البورجوازية •

كما أن الاصلاحية البورجوازية ليست هي نفسها ، في كل مكان ، وفي كل الأوقات • فالاصلاحية البورجوازية في البلدان الرأسمالية المتطورة لاتتماثل مع نظيرتها في البلدان التي انجزت استقلالها حديثا • فالاصلاحية في البلدان الأخيرة وتبدو ، في ظلال متداخلة بين الراديكالية المناهضة للامبريالية ، وبين الاصلاحية اليمينية المخادعة ، وهنا يتوقف الأمر على البورجوازية الوطنية التي تملك السلطة ، بينما عندما تكون الدوائر اليسارية قوية بدرجة كافية ، يتم انجاز الاصلاحات بنتيجة الضغط الشعبي ، رغم أنف تكتيك المعارضة من جانب الاصلاحية البورجوازية ، وهذا من شأنه أن يضعف الرجعية المحلية لدرجة معينة ، وعلى كل حال، فان البورجوازية الاصلاحية تتراجع هنا الى منتصف الطريق فقط ، وكثيرا ما تنجح في تحويل الاصلاحات هذه لخدمة البورجوازية كوسيلة الى لجم الثورة • لذلك ، في الوقت الذي ندعم فيه الاجراءآت الجذرية كما يتخيلها الاصلاحون البورجوازيون اليساريون ، تبقى الأحزاب الماركسية اللينينية تكافح من أجل التحول الثوري الأساسي ، الذي يهدف الى نظام له توجهات اشتراكية عميقة ، واصلاحات ـ اجتماعية ـ اقتصادية وسياسية •

النضال في داخل « منطقة الخطر » (١)

في كثير من البلدان الرأسمالية أخذ النضال من أجل الاصلاحات ، بداية الهجوم على الملكية والسلطة •

في السنوات القريبة رفعت النقابات والمنظمات السياسية للطبقة العاملة، باصرار متزايد أبدا ، مسألة مساهمة العمال في ادارة الاقتصاد ، بدئا من أرض المعمل ووصولا الى المستوى الوطني • يطالب أكبر التنظيمات النقابية وهو ، « فرانسيس » ، الاتحاد العام للعمل كخطوة أولى توسيع حقوق لجان المعمل المنتجة من العمال ، بما في ذلك توسيع دائرة عملهم في الاشراف • لقد أصبحت المطالبة ، في العديد من البلدان ، من أجل المساهمة المتساوية، في الاشراف على الانتاج ، جزءا ، ورسالة في عملية الصراع الطبقي ،وهذا شيء معقول ، من جانب العمال المتطوريين ، بعد أن أصبحوا يرون بوعي ، أن الفرص مهيأة أمامهم لتحقيق هذا المطلب ، بعد المكاسب التي حققوها من قبل • هذا بالاضافة الى أمور أخرى ، من شأنه أن يصعد التناقض ، بين دور الطبقة العاملة القيادي في العصر الحديث وبين واقعها الحقيقي في ظل الرأسمالية ، التي ترفض الاعتراف للطبقة العاملة لتأخذ نصيبها في تقرير الشؤون الاقتصادية والسياسية •

لقد أصبحت الحاجة التغيير حادة ، لدرجة ، أنه كثيرا ماتجلأ الأقلية الاحتكارية الى المسكنات ، التي تشعر العامل بأنه يساهم في الحياة الاجتماعية دون المساس **بأسس نظام العلاقات في الملكية أو السلطة** • (١)

---

(١) من الواضح أن المقصود « منطقة الخطر » أو « الحزام الخطر » هو القلاع الرأسمالية •

(٢) التشديد من المترجم •

في التطبيق العملي « يحاول كثير من أرباب العمل،بحجة مشاركة المنظمات العملية الشكلي ،في الادارة ،أن يتحمل العمل نصيبهم من المسؤولية في عملية الانتاج الرأسمالي العادية • على الرغم من هذه المحاولات تبقى الحقيقة وهي : أن الصراع الطبقي ، قد تحرك الى المنطقة ، التي أصبح فيها حكم الاحتكارات مهددا • فأن المساهمة المحددة للعمال في المعمل ، تتيح المجال لهم ، لالقاء لمحة من خلف الحجاب الذي يخفي « أسرار » الاستغلال ،مع نظرة للداخل حول خلفية القرارات الاقتصادية الهامة • وهنا تتغير حركة الطبقة العاملة عن الخط ، الذي يتحول بعده النضال الاقتصادي الى نضال سياسي •

تعلم التجربة ، أن الذي يقرر مدى مساهمة العامل الحقيقية في ادارة الاقتصاد ، هو موقع الطبقة العاملة السياسي الذي اكتسبته على النطاق الوطني • ان مطلب العمال في المساهمة في ادارة الاقتصاد ، يشكل جسرا تعبر منه الطبقة العاملة من المصالح الاقتصادية الملحة ، لتصل الى أهدافها النهائية •

هناك معارضة داخل صفوف البورجوازية الاحتكارية ، لايجوز التقليل من وزنها ، ضد أي شكل اصلاحي بورجوازي ، وضد أي اجراء سبق ذكره ، لمساهمة العمال في ادارة المشاريع حتى لو كان زائفا • أعلن الرأسمالي الفرنسي • بيير ـ كولاند صراحة ؛ ان مساهمة العمال في الادارة تمس أسس الملكية الخاصة في الصميم • ووفقا لذلك تعمد الاحتكارات لانتهاز أية فرصة لتؤكد ببراءة لاتخلو من اللؤم أن ماحققه العمال من دور في المساهمة في الادارة ، ما هو الا شيء تافه • لنأخذ ألمانيا

الغربية كمثال شاهد : ضعف وضع الاحتكارات الرأسمالية في السنوات الأولى التي تلت الحرب ، ووجدت نفسها مرغمة على القبول ببعض الاجراءآت التي تسمح للعمال في المساهمة في الادارة • الا أنه لم يمض وقت طويل حتى استعادت الاحتكارات بعده عافيتها • ففي أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ تم تشريع القوانين التي تلغي مشاركة العمال والمستخدمين في المجالس المشرفة على المشاريع ، وحظرت على العمال اتخاذ القرارات الأقتصادية • ان رأس المال لايسلم موقعه بدون نضال • الا أن خط دفاعه قد تراجع الى الوراء قريبا من النقطة الحرجة التي تقف بعدها الثورة الاشتراكية •

يشق النضال اليوم طريقه بصورة متزايدة ، ليس من أجل اصلاحات متفرقة يمكن الرأسمالية ، أن تمتص كلا على حدة ، كما تعلم التجربة ، بل من أجل اصلاحات مترابطة ، يمكن معها خلق الممهدات لآفاق أبعد من حدود الرأسمالية • وكل معركة على هذا الخط يجب أن تخدم هدف ـ رفع مستوى الوعي عند الشعب ، وتوطيد الاهداف الاشتراكية ، ولأقناع الطبقة العاملة الى ضرورة الاستمرار بالهجوم للمحافظة على مكاسبها ، وتوسيع جبهة النضال • لذلك لابد من ايجاد منظور بديل كلي وواضح للرأسمالية ، يكون مضمونه ؛ ان كل انتصار يتم تحقيقه ، يعني خطوة جديدة في الطريق ، نحو الهدف النهائي • واذا لم يكن هناك منظورا عاما ، فان الاصلاحات ، بغض النظر عن صعوبة منالها تبقى أبعد من قدرة الرأسمالية على تعطيلها لا بهذا السبيل ولا بذاك •

ان أي خطوة الى الأمام ، على طريق التغيرات الديمقراطية ، هي

مرحلة هجومية على النطاق الواسع ، ضد سلطة ـ رأس المال ، هذا هو المفهوم الماركسي • لأن هذه الاصلاحات تتزايد تماماكما تكبر كرة الثلج؛ فكل اصلاح يدعو الى اصلاح جديد •

فتأميم الفروع القائدة في الصناعة يؤدي بشكل منطقي الى مساهمة الطبقة العاملة في الادارة في المشاريع المؤممة ، وهذا المطلب يعود وينعكس على الاطار السياسي ، ويتطلب ضرورة الديمقراطية في الحياة الاجتماعية والحد من سلطة الأقلية المالية •

ان توطيد المكاسب السياسية ، التي أنجزتها الطبقة العاملة،هي المفتاح الذي يربط الاصلاحات الديمقراطية في مراحلها المتلاحقة • تظهر تجربة النضال الثوري ، أن الطبقة العاملة قادرة على الوصول الى بعض المواقع في الدولة البورجوازية في ظل ظروف موظفي جهاز الدولة • ان توسع أعمال الدولة ، وتكاثر الوكالات الحكومية نتج عنه زيادة كبيرة فياعداد موظفي الحكومة • لقد فقد غالبية المستخدمين المدنيين ،ماكانوا يتمتعون به من امتيازات في وقت ما • وأصبحوا مجرد برغي في ماكينة الدولة الاحتكارية ، كما يتزايد عندهم عدم الرضى أو القناعة بوضعهم القائم • وتغزو الأفكار والمشاعر الديمقراطية وتنتشرفي صفوف أولئك الذينأوكلت اليهم مهمة تنفيذ ادارة رأس المال الاحتكاري •

تكمن أعظم الامكانيات لبناء مواقع للقوى الديمقراطية داخل الدولة، تكمن في قوة الأجهزة الانتخابية ، خاصة المحلية منها • ان بذل الجهود في هذا الاتجاه يوسع جبهة النضال الطبقي ؛ الأمر الذي يساعد علىمواصلة

الهجوم ضد سلطة رأس المال الاحتكاري ، بتوحيد العمل الجماهيري في القاعدة من أسفل ، مع العمل من أعلى ، ممثلا بتلك العناصر الموجودة في السلطة المتأثرة بالقوى الثورية ، بمثل هذه الوسائل ، يمكن اعطاء دفع كبير للنضال الهادف لازاحة الاحتكارات من مواقع السلطة • من أجل تحقيق مفتاح العمل هذا ، يتطلب الأمر نقل تلك السلطة لحليف مناهض لقوى الاحتكارات تقوده الطبقة العاملة ، وتأسيس حكومة ثورية ديمقراطية قادرة على انجاز كل برنامج الاصلاحات الديمقراطية •

الديمقراطية والثورة الاشتراكية :

هدف الاصلاحات الديمقراطية ، وهو الكفاح ضد الاحتكارات التي تشكل العقبة الاساسية ، في طريق وضع المجتمع من جديد على خط السير الاشتراكي • علما بأن هذه الاصلاحات ليست اشتراكية ، الا أنها تشق الطريق للتقدم نحو الاشتراكية • أكد لينين وهو يعي هذا الأمر ، « على ضوء الحالة التاريخية موضوعيا ، لايمكن لهذه ـ أي الاصلاحات • المترجم ـ أن تسير الى الأمام الا بربطها بالثورة الاشتراكية » •[1] •

أشار لينين، الى أنالمرء لايستطيع أن يكون ديمقراطيا ثوريا فيالقرن العشرين ، بدون أن يتقدم على طريق الاشتراكية • كما أشار اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية ، الذي انعقد في موسكو عام ١٩٦٩ ، وهو يستلهم هذه الافكار اللينينية الى أن التغيرات الجذرية السياسيةوالاقتصادية، التي تضمنتها برامج الاحزاب الشيوعية ، على طريق الاصلاحات

---

(١) المؤلفات ـ المجلد ٢٢ ص ١٦٤ •

الديمقراطية سوف ، « تؤمن أفضل الظروف للاستمرار في النضال من أجل الاشتراكية » • [1]

لنفترض لهذه اللحظة ، أن هدف التغييرات الديمقراطية قد تم انجازه ، وقد تم سحق الاحتكارات ، الا أن هذا لايعني بأنه تم تحقيق الاشتراكية بعد ؛ ذلك لأن دحر الرأسمال الاحتكاري،لايعني ، بالضرورة، **تغيير علاقات الانتاج الرأسمالية**[2] كما لايعني ذلك أن السلطة الجديدة اشتراكية الطابع ، لأن السلطة الجديدة ، تمثل التجمع العريض المناهض للاحتكارات ، وتشارك فيه عناصر ، لاتسير نحو الاهداف الاشتراكية • ومع ذلك وعلى كل حال ، فان تقويض السيطرة الأقتصادية والسياسية لهذه الاحتكارات ، يوازي السير نحو الاشتراكية ، وفي الحقيقة يعني اخراج نظام السيطرة والاستغلال الرأسمالي من العمل في قواعد السلطة • من الواضح أن تنفيذ هذه المهمة ليس مستحسنا ، الا اذا كانت القوة التي تنجزها قوية ومتحدة بدرجة كافية • يستحيل في نطاق الرأسمالية المتطورة ، أن نتخيل قيام تحالف ديمقراطي وفعال وقوي ، بدون أن تلعب فيه الطبقة العاملة الدور القيادي ، لأن الطبقة العاملة هي التي تستطيع التقرير سلفا ، الاتجاه الرئيسي ، الذي تتطور فيه قوة تحالف القوى الديمقراطية نحو الاشتراكية •

تشكل الاصلاحات الديمقراطية ، الأرض ، التي يمكن معها تشكيل حشد واسع للقوى التقدمية ، والتحالفات الطبقية ، والفصائل التي ترتبط

---

(١) الاجتما العالمي للاحزاب الشيوعية والمالية • موسكو ص (٢٧) •
(٢) التشديد من المترجم •

ببعضها بمصلحة مشتركة من أجل القضاء التام على سيطرة الاحتكارات • هذه الفصائل المختلفة من الشعب ،التي تمثل مختلف الاتجاهات والاحزاب السياسية ، ومن مختلف العقائد والآراء ، وهي في اغلب الاحيان لاتمتلك اكثر من فكرة غامضة عن الاشتراكية العلمية ، ورغم ذلك ، فانها تتخذ موقفا ضد الرجعية ، مدفوعة برغبتها ، لتأمين وتوسيع الحريات الديمقراطية، يصبح الأمر بعيدا عن الواقع عندما نطلب من كل الحركة الديمقراطية أن تعلن عن نفسها ، مباشرة وبصورة مطلقة أنها اشتراكية • تبرهن الممارسة العملية ، أن مثل هذا الطلب ، يؤدي فقط ، الى تصديع وحدة الحركة الديمقراطية العامة مع الطبقة العاملة ، في نضالها من أجل الاشتراكية ، ان النضال من أجل الديمقراطية بحد ذاته ، سوف يوضح للغالبية من الحلفاء الديمقراطيين العلاقة ، بين سيطرة الاحتكارات ، وقواعد النظام الرأسمالي، والحاجة للكفاح من أجل الاشتراكية •

لايوجد تناقض بالضرورة ، بين الاصلاحات الديمقراطية الجذرية وبين الثورة الاشتراكية • وكما أشار لينين ، فان التغييرات السياسية ذات الطبيعة الديمقراطية من شأنها ، أن تمهد الطريق للثورة الاشتراكية ، « تجعلها أقرب ، وتوسع من قواعدها ، وتجذب أقساما جديدة من البورجوازية الصغيرة ، والجماهير شبه البروليتارية ، الى الثورة الاشتراكية » [1] هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر ، وفي عصرنا الراهن ، فان تحقيق التغييرات الديمقراطية باستمرار وبصورة فعالة لايتم الا في النضال من اجل الاشتراكية •

---

(١) لينين ـ المؤلفات ـ المجلد ٢١ ، ص ٣٣٩ •

يقود برنامج الاصلاحات الجذرية الأمة ، الى بديل ديمقراطي متقدم على دولة الرأسمالية الاحتكارية ، التي قبلت بها الاغلبية • وفي عصر الثورة الاشتراكية للبروليتاريا يندمج هذا البديل مع منظور الاشتراكية • حيث يصبح النضال ، من أجل الاصلاحات الديمقراطية ، شكلا خاصا محددا ، للوصول والانتقال الى الثورة الاشتراكية •

أشير في مواضيع المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي الأفرنسي ، الى أنه « لايمكن الفصل بين اقامة ديمقراطية متقدمة ، والانتقال الى الاشتراكية بفترة زمنية طويلة •

ففي عصرنا الراهن ، وفي بلدنا ، تم ارساء الاسس الاقتصادية والاجتماعية الشاملة لبناء الاشتراكية • ان الديمقراطية المتقدمة هي احد اشكال الانتقال الى الاشتراكية • » [1]

ان الاصلاحات الديمقراطية تضعف الرأسمالية ؛ واكثر من ذلك ، تحمل معها تغييرات في البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية ، وتخلق بذلك آفاقا جديدة للانتقال نحو الاشتراكية • الا أن الانتقال الى الاشتراكية يتطلب قطع الصلة كلية مع البناء القديم ويتطلب الثورة الاشتراكية [2] •

الطفرة الثورية والتدرج

عندما تتطور العملية الثورية تدريجيا بهذا القدر أو ذاك ، يصبح من المستحيل ، التقدير بدقة ، متى ينتهي دور التغيرات الديمقراطية ،ومتى

---

(١) الأومانتية ١٩٧٠/٢/١٢ •

(٢) التشديد من المترجم •

تبدأ التغيرات الاشتراكية • لايستطيع المرء أن يضع جدولا زمنيا للسير نحو الاشتراكية ، مبينا فيه سلفا ، كافة النقاط المرحلية ، أو أن يميز بصورة اعتباطية بين المهام الديمقراطية والاشتراكية •

أشار « فيلي بيسي » الرئيس الفخري للحزب الشيوعي الفنلندي ، « ان طرح المسألة على هذا النحو ، دليل على الاخفاق في تناول المسألة ديالكتيكا ، ودليل على الاخفاق في بذل الجهد لمعالجة الطريق التي على الجماهير شقها ، نحو الطفرة الثورية عندما توضع المهام الديمقراطية والاشتراكية في وضع متعارض • في الحقيقة علينا أن نتجنب مثل هذا التعارض • ان الطريق الذي يقود الى الثورة ، يتشابك مع الثورة نفسها بدرجة وثيقة ، وكل منهما يعتمد على الآخر » • [1]

على كل حال ، لايقدم ذلك أية أسس للتميز بين السبل المختلفة الى الثورة ، وبين الثورة نفسها ؛ يساند وجهة النظرة هذه على سبيل المثال ايلي الينيوس فالاصلاحات في البناء ، « لاتعني مجرد خلق الظروف للانتقال الى الاشتراكية في مرحلة محدودة ؛ ان هذه الاصلاحات ، تعني تقدم تدريجي مباشر نحو الاشتراكية • وهذا لايعني نفي نشوء وضع ثوري بعد ذلك ، بل يمكن القول اذا شئت ، انها ثورة دائمة تجري في ظروفنا » [2] •

ليس صحيحا ، أن نعتبر الطفرة الثورية تنبؤاً مرئيا مفاجئا ومزلزلا ، وأنها مقطوعة الصلة ، بالمنطق الموضوعي ، لطريقة الوصول ، والانتقال الى

---

(١) اكنسايد يونست ١٩٦٧/١١/٢١ •
(٢) ايلي الينيوس •

الثورة الاشتراكية ؛ وكذلك وبنفس القدر ، من الخطأ وليس صحيحا ،أن ينتهي كل شيء في الاصلاحات الديمقراطية ، فقط • في الحالة الأولى ،يتم نفي استمرارية العملية الثورية بالارتفاع بها الى المطلق ؛ أما في الحالة الثانية تصبح استمراريتها مطلقة •

ولكن عندما نتكلم بلغة الديالكتيك ، فان الطفرة الثورية تجسد الاستمرار وعدم الاستمرار للثورة في وقت واحد •

تندمج روابط التغيرات الديمقراطية والاشتراكية بصلات وثيقة • لم تنتصر ثورة اكتوبر بالشعارات الاشتراكية فقط ، بل وبالشعارات الديمقراطية : في السلام ، والأرض ، والانعتاق الوطني • وحتى اليوم ، مازال المؤرخون في بعض البلدان الاشتراكية الأوربية ، يتنازعون الرأي حول المراحل والروابط ، بين التغيرات الديمقراطية والاشتراكية ، التي تمت في هذه الأقطار بعد الحرب العالمية الثانية • فالتغيرات ، من كل من النوعين ، مرتبطة بعضها ببعض بصلات وثيقة ، لدرجة أنه كان من الصعب في بعض الاحيان التمييز بينهما : ترى هل كان التطور الى الثورة الاشتراكية ، عبر طريق التغيرات التي نجمت عن الثورة الديمقراطية ، أم عبر تغييرات في مراحل انفتاح وتطور ثورة اشتراكية واحدة ذات طابع شعبي ديمقراطي •

الموقف الماركسي ، لايعني المواظبة على الفصل بين الاصلاحات الديمقراطية والاشتراكية ، ولا يعني أيضا وضعهما موضع المساواة•وهناك خط فاصل ، يكمن في التغيرات في حدود النظام الرأسمالي ، وتلك التغيرات تشير الى الانتقال نحو نوعية جديدة ؛ ولا تجوز رسم هذا الخط بطريقة

نظرية غير عملية ، دون أن تعتوره المصاعب ، ولا يجوز اعطاء صفة دائمة لهذا أو ذاك من الاجراءآت دون أي اعتبار للحالة القائمة • يتقرر كل شيء وفقا للسمات المحددة والخاصة بالعملية الثورية ككل ، ووفقا للترابط القائم بين القوى المناضلة ، يمكن أن نجد نفس الاجراء محافظا في هذا الاطار ، وديمقراطيا في اطار آخر ، كما يمكن أن يكون اشتراكيا في اطار ثالث أيضا •

ان تأميم فروع الصناعة الكبيرة،دون أن يصاحب ذلك تغيرات سياسية عميقة ، يجعل الرأسمالية قادرة على امتصاص هذا التأميم لصالحها ، عن طريق ادخال بعض التعديل في بنيتها • في حين أن توطيد المواقع السياسية للطبقة العاملة يجعل من التأميم حينئذ ، تغيرا نوعيا جزئيا في تلك البنية ، وعند انتقال السلطة للطبقة العاملة يصبح التأميم اجراء اشتراكيا •

ان ديالكتيك استمرار أو عدم استمرار العملية الثورية ، لايتطلب اعتبار المكاسب الديمقراطية بحد ذاتها نهاية المطاف ، أو الاسترخاء فوقها والقناعة بها ، بل يجب اعتبار هذه المكاسب وسيلة لتوسيع وتعميق الصراع الطبقي ، لتبرز المسائل الحيوية حول السلطة ، والتغيرات الأساسية في علاقات الملكية •

بمثل هذه الوسائل ، يتم الوصول الى النقطة ، التي تنمو بعدها سلسلة التغيرات الديمقراطية الى ثورة اشتراكية في الحال •

ان اغفال هذا الهدف ، وتناسي ديالكتيك الطفرة الثورية ، يضعنا أمام منهج تطوري لامحتوى له ، من طراز ماقدمته مجلة الجناح اليميني لحزب

الشعب الاشتراكي في الدانمراك ؟ عندما قالت : ـ « لا تنشأ براعم المجتمع الاشتراكي في النظام الرأسمالي وحسب بل ، بتعاظم قوة الديمقراطية أبدا سواء في الاقتصاد أو الانتاج • تستطيع غالبية الأحزاب العمالية في البرلمان أن تدفع بهذه القوة بالاتجاه الاشتراكي ؟ ويستطيع الشعب أن يفصل المصالح الخاصة عن شؤون الدولة الهامة ، خطوة اثر خطوة ؟ وذلك من خلال المبادرات من البلديات وفي التشريع ، » لن تتحقق الاشتراكية بين يوم وليلة ، بل سوف تأتي تدريجيا ولكن بعناد » • [1]

كتب اب نورلوند ،عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الدانمراكي حول نظرية التطور التدريجي ، وقال : « انه ينمو تدريجيا » متجاهلا بذلك أن العامل الحاسم في التطور الاجتماعي هو « النضال من أجل السيطرة على الجهاز الحاسم للسلطة التي تحكم المجتمع والدولة من أجل ضرورة تغيير الطابع الطبقي لكل الدولة[2]»• يقترح الاصلاحيون ، الزحف على البطن « خطوة ، خطوة » بدلا من النضال من أجل العناصر الحاسمة، لتحويل النظام الاجتماعي نوعيا ، ويفضلون الاحتفاظ بالسمات الاساسية للعالم القديم • وهكذا يفهم الانتقال الى الاشتراكية ، يفهم على أنه عملية، يتم في مجراها تراكم اجزاء الاشتراكية تدريجيا وتتواجد مع البناء الرأسمالي•

تعلمنا أن الاشتراكية تبدأ اشراقتها ، في الوقت الذي تتفوق فيه عناصر الاشتراكية على عناصر الرأسمالية •

---

(١) هذا ماقاله اب نورلند في : ديت كوميونيستك • سينسبوكت ـ كوبن هاغن ـ

(٢) نفس المرجع السابق •

التطور التدريجي يعتمد على التمييز العقلاني :

مهما كانت النوايا والاغراض ، الا أن الينيوس يعطف على الانتقال الثوري الى الاشتراكية • وهو يعتقد أن ذلك يتطور في احشاء المجتمع الرأسمالي ، « اقتصاد مركب ـ معقد » • حيث نجدفيه الرأسمال الخاص، والقطاعين العام والتعاوني يشاركون في الانتاج في وقت واحد •« اذا أخذنا النظام الأقتصادي كنقطة بداية ، فالذي يقرر طابع التركيب الاقتصادي ، هو القطاع السائد ، وكذلك ايضا اتجاه التغيير في الحصة النسبية للقطاع السائد في الاقتصاد بمجموعه » • [1]

ان التقدم من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يظهر أن القضية تكمن في تغيرات تدريجية كمية لنسبة الحصص ، بين الاشكال الاقتصادية القائمة • « الانتقال الى الاشتراكية ، يتم تدريجيا ، من خلال تغيرات في البنية •• ، طالما ، بقي القطاع العام أصغر حجما من القطاع الخاص الرأسمالي ؛ وأن النسبة المؤية لكل منهما في مجمل الانتاج الوطني ، لنقل مثلا ٤٠٪ ، ٦٠٪ على التوالي ، فيمكن القول في مثل هذا الحال ، أن الاقتصاد ما زال رأسماليا بالدرجة الأولى •

« وبعد أن تنمو حصة القطاع العام في مجمل الانتاج الوطني ، وتصبح اكبر من حصة القطاع الخاص ، عندها يمكن اعتبار الاقتصاد اشتراكي الطابع [2] » •

انطلاقا من هذا المفهوم ، نقترح خطة بسيطة للغاية للانتقال نحو الاشتراكية • على الدولة ، أن تعمل لجلب استثمارات رأسمالية جديدة في

---

(١) الي الينيوس :
(٢) نفس المرجع السابق •

الفروع القائدة للاقتصاد ، وهذه من شأنها ، أن تغير من الحصة الاقتصادية لمصلحة القطاع العام تدريجيا ، وبدون آلام • حتى التأميم ، يمكن أن يسبب حدة في الصراع الطبقي في حين أن الاستثمارات الجديدة تدل على السير « في أرض محايدة » •

ان الانتقال الى الاشتراكية ، كما يراه الينيوس ، مجردا من التمايز؛ والسير نحو قطاع الدولة في الاقتصاد ، يساوي التأكيد على الاشتراكية **بشكله التدريجي** (١) وعلى هذا النحو **لاتطرح مسألة السلطة ، لأنها ، على مايبدو قد تقررت سلفا لصالح القوى الاشتراكية ، ذلك هو الافتراض الوحيد الذي يمكن معه اعتبار قطاع الدولة قطاعا عاما او اشتراكيا • وخلاف ذلك يصبح نمو قطاع الدولة دليلا على نمو دولة الاحتكار الرأسمالي** (١) •

وهذا يدل على أن النضال الطبقي العنيف والنشيط ، من أجل التغيرات الديمقراطية قد غاب عن النظر • تلك هي العوامل المحددة بدقة ، والتي تم اغفالها ، علما بأنها تدفع حتما نحو خطوات ومراحل جديدة في عملية التطور • تبدو المسألة عند الينيوس ، على النحو التالي : كل شيء يسير بسهولة ، وبخط مستقيم ، لأنه قدر أن كل تلك المسائل قد تم حلها بصورة مؤكدة ، الا أن الواقع الحقيقي ، يقول غير ذلك : لايتم حل، وتقرير أي شيء الا بنتيجة الثورة ، في خضم المعارك الطبقية الحادة •

ان الطريق للتحول التدريجي نحو الاشتراكية ، لايمكن أن يكون هادئا وبدون معوقات لاستمراريته • لأن هذا أيضا ، هو طفرة ثورية ، يتم انجازها خلال النضال والتحولات الثورية في كل الظروف ، تبقى الطريق

---

(١) التشديد من المترجم •

التدريجي بناءمعقدا ،وبدقة اكثر ،انها عملية من عدة مراحل تتقدم بفعل القوى الدافعة ،وكل مرحلة وكل اندفاع جديد يحمل معه حركة تغيرات نوعية معينة• تنظم قوى الرجعية مقاومة على كل خط من خطوط دفاعها ، اعادة التجمع ومد خطوطها بأساليب جديدة، لسد الطريق امام الاصلاحات الديمقراطية• ان الاستيلاء على كل قطعة من الارض يفتح معه آفاقا جديدة،ويضيف قوة للطبقة العاملة ، والحركة الديمقراطية،وتصبح بذلك مستعدة لمهام جديدة، وتوقظ قوى جديدة وتجذبهم الى النضال • تتراكم طاقة نضال الجماهير ، ثم تنطلق على أجزاء بكميات وكأنها تقـــدم زخما تلـو الآخر للتغـيرات الديمقراطية • ان المراحل والطفرات لاتتساويان في دلالتيهما • ان هـذه العملية ليست مجرد المجموع ، الحسابي الكلي لاجزاء متساوية • انهـــا تتميز بمراحل التغيرات الجذرية ذات الاهمية البالغة ، وعند أخذها جميعا بعضها الى بعض ، تؤثر في التحول الأساسي لكل نظام العلاقات الاجتماعية السياسيـة •

لانخرج عن المـوضوع عندما نستعيـــد في هذا الصدد ، الأوهـــام الكاوتسيكية حول الصراع ، والثورة البورجوازية •

« انها تبدو للناظر ، أقل اسرافا في عواطفها ، ولا تزخر بالأحـداث كالثورة البورجوازية » •

وهكذا لايبقى من الثورة سوى اسمها فقط • أما الباقي فهو مرفوض، اذ يجب أن لاتوجد مآسي في احداث الثـورة ، ولا حدة في الصدام بـين البورجوازية الرجعية ، والطبقة العاملة ، كل شيء يتم باعتدال ، بتهذيب وبحكمة وبذلك ، ينتفي واقع الصراع الطبقي للشغيلة •

الحقيقة ، هي أن الطريق السلمي نحو الاشتراكية ، ليس مستقيما •

كما أن التقدم السلمي نحو الاشتراكية يرافقه أزمات ، وانتفاضات عفوية للشعب ، ومجابهة حادة بين قوى الديمقراطية والرجعية ، وبروز الجيش على المسرح السياسي ، وتغيرات مفاجئة في المناخ السياسي • اذن هناك أزمات حادة ، وتقدم ، وتراجعات ، والتفاف نسبي حول الطريق السلمي، كما يوجد تقدم تدريجي وقد يتوقف التحول نحو الاشتراكية • هناك بالتأكيد قضايا معقدة لايمكن احصاؤها وحلها ، لاتقل صعوبة عن حل قضايا النضال المسلح • قد تناهوى الطريق السلمي،في الشراك التي تحفرها لها البورجوازية ، التي تسعى لشد وثاق المنظمات الثورية للشغيلة الى نظام دولة الاحتكار الرأسمالي ، كما سبق وفعلت في الماضي بالديمقراطية الاجتماعية • لهذا السبب لابد من فضح أوهام الاصلاحيين حول التقدم نحو الاشتراكية بدون صراع • تلك الأوهام المتمشية مع قواعد « اللعبة » للجماعات البرلمانية • ان الصراع الطبقي يتعاظم ولا يقل حدة ، كما أن مشاركة القوى الجماهيرية التي تعمل خارج المؤسسات الثمثيلية تتعاظم ولا تقل حدة ، عن مجرى النضال المسلح من السلطة •

حتمية التحول :

لابد من وجود نقطة تحول في نضال الطبقة العاملة من أجل السلطة ، بالطريق السلمي أو التحول التدريجي نسبيا • تلك القضية ضاعت في متاهات التدريجية الرتيبة ، في كتابات الينيوس •• فقد كتب أنه من الضروري ، « أن نجعل دولتنا ديمقراطية جزئيا،ثم تصبح أكثر ديمقراطية ••• وعندما تصبح مطالب الديمقراطية واسعة الانتشار ، ستكون الدولة

قادرة للبدء في الانتقال التدريجي للاشتراكية المتطورة [1] » • ويصرح في موضع آخر « في ظل الديمقراطية البورجوازية هناك امكانية معينة تطرح نفسها ،لانتقال سلطة الدولة الى القوى اليسارية ، وعلى نفس النحو ، يمكن تجريد الطبقة الرأسمالية المسيطرة اقتصاديا من السلطة بشكل جزئي » •[2] يشير المؤلف بعد ذلك ؛ الى أن السلطة السياسية في واقع الحال ، قد تم وضعها بين أيدي القوى الثورية ، بينما يبقى أصحاب رأس المال المتراكم محتفظين بالسلطة الاقتصادية ، أما أولئك الذين يعيشون بمعزل عن عملهم الخاص ، تبقى لهم زمام السلطة السياسية في اللحظة الراهنة ، وفي كل الحالات تكون سلطتهم السياسية ، اكبر مما توفر لهم خلال فترة طويلة من الزمن » • [3]

مثل هذا الطرح يتغاضى عن مسألة انتقال السلطة السياسية للطبقة العاملة • فاذا تحققت السلطة للطبقة العاملة ، لماذا اذن ، تستمر العلاقات الرأسمالية للملكية والاستغلال الرأسمالي ؟ • فالدولة التي تحقق الاصلاحات ، وتبقى عاجزة عن تحقيق الاشتراكية ، تعني أنها لم تتمكن من حل وحسم المشكلة الأساسية للثورة وهي قضية الاشتراكية •

كما أن مساهمة القوى الاشتراكية والديمقراطية في بعض سلطات جهاز الدولة، حتى المركزية منها ، لاتدل على أن السلطة قد انتقلت الى أيدي الطبقة العاملة • مثل هذه المساهمة تشكل رأس جسر للنضال ضد

---

(١) ايلي اليفيوس ، سوسياليستين سومن «١٢٠» •
(٢) نفس المرجع «١٢٣» •
(٣) نفس المرجع •

سيطرة رأس المال • ومن الممكن توسيع هذه المشاركة ، وبذلك تتقيد امكانيات الاحتكارات •

وكلما مضت الطبقة العاملة وحلفاءها قدما الى الأمام ، على طريق الاشتراكية بالطريق السلمي ، كلما زادت البورجوازية الاحتكارية في مقاومتها عنادا • وعندما تقترب الطبقة العاملة اكثر من مراكز السلطة ، تزداد مقاومة البورجوازية،وتزداد تشبثا وعنادا بمراكزها الرئيسية •ومهما كانت طريق التحول للاشتراكية تدريجية ومرحلية ، سوف تأتي لحظة حتمية تستولي فيها الطبقة العاملة على كل السلطة ، وهذا سوف يغير المضمون الطبقي للدولة وكل سياستها • للوصول الى هذه اللحظة لابد من انتفاض ونهوض الجماهير على نطاق الأمة • لذلك من الضروري أن تكون أعمال القوى الثورية في داخل نظام سلطة الدولة ، مدعومة من غالبية الشعب ولا يتوفر ذلك الا من خلال أزمة عامة تنتهي الى وضع ثوري •

اوضح لينين في مناظرته العنيفة مع كاوتسكي ، أن الثورة الاشتراكية تفترض بشكل مسبق وبالضرورة ، تدمير آلة الدولة القمعية للجماهير • ذلك هو المؤشر الحاسم لاي ثورة اشتراكية مهما كان شكلها • ان توسع وظائف الدولة في المجتمع الرأسمالي ، وظهور نظام متشعب لانظمة الدولة في الاقتصاد ، بالاضافة الى ما يجري من عمليات اجتماعية وثقافية في حياة المجتمع ، كل ذلك يفرض الحاجة لالغاء جهاز الدولة البورجوازي • وعلى الرغم من أن الدولة تلتزم بعدد من الاعمال ، نجمت عن متطلبات تطور قوي الانتاج العصرية ، فانها تنجز هذه الأعمال ، وفقا للمصالح الطبقية لأولئك الذين يمسكون بالسلطة ، وتستمر ، لتكون جهازا للاضطهاد

السياسي والاستعباد الروحي للشعب ، وجهازا لاطالة أمد الحكم الطبقي للبورجوازية • ان التقدم الجديد ، نحو الدولة البورجوازية ، لايتضمن مسألة تدمير جهاز الدولة البورجوازية بل رفض ذلك الجهاز، ويتطلع هذا التقدم الى معرفة ، تلك الاشكال التي تساعد على الاحتفاظ بميكانيزم الانظمة الاجتماعية للاقتصاد الوطني ، الذي تم تطويره من داخل اطار الدولة البورجوازية ، لكي يصبح في خدمة مصالح الطبقة العاملة ومجموع الشعب •

ارادة الشعب هي القانون الاسمى :

سبق وحقق الشغيلة ، في الكثير من البلدان الرأسمالية ، مكاسب هامة في اطار الديمقراطية البورجوازية من حيث نوعها وشكلها القانوني • ولولا قوة الشعب ، لسلك رأس المال طريق ديكتاتورية طاغية • فقد انتزعت الطبقة العاملة بقوة عددا كاملا من الحقوق الديمقراطية من البورجوازية ، فالطبقة العاملة تشكل اليوم ، المدافع والمقاتل الرئيسي من أجل الديمقراطية في عصرنا الراهن • يولد ذلك ، كما يزيد من حدة التناقض المبدئي للديمقراطية البورجوازية ، مما يؤدي الى أوضاع مربكة، هذا هو الحال ، عندما تحاول رجعية الطبقة العليا ، لبورجوازية بعض الأقطار ، « الاطاحة » بالنظام الديمقراطي البورجوازي ، في الوقت الذي تتصدى فيه الطبقة العاملة للدفاع عن هذا النظام أمام هذه التطاولات • هذه العمليات المتناقضة ، تبرهن على نضوج الوضع الثوري ، الا أنها في الوقت ذاته تفرز أوهام التحريفيين ، حول امكانية الانتقال الى الاشتراكية ، بدون تخطي حواجز القانون والديمقراطية البورجوازية •

ان المواقع التي كسبتها الطبقة العاملة ، في النضال ضد الدولة البورجوازية ، خلخلت البنية الرأسمالية ، الا أن المحتوى الطبقي ، والنظام القانوني لتلك البنية ، لم يتغيرا بوجه عام ؛ بالقدر الذي يهمنا فيه المحتوى الطبقي • يبقى هناك الخط الفاصل بين الديمقراطية البورجوازية والديمقراطية الاشتراكية ولا يمكن اختفاءه أو تشويهه • يشكل هذا الخط في واقع الأمر مسألة الطفرة الثورية ، بمعنى : انتقال السلطة من طبقة الى أخرى ، وهذه هي السمة المميزة للثورة ، بالمعنى العلمي والتطبيق السياسي في وقت واحد •

من الطبيعي ، أن تحافظ الطبقة العاملة على كل أشكال الديمقراطية ومؤسساتها ، التي تم اكتسابها في ظل الرأسمالية اذا أتيحت لها الفرص أثناء فترة الانتقال الى الاشتراكية لأن ذلك يكون في خدمة مصالح الطبقة العاملة ، بعد تحريرها من الأغلال،واعطاء تلك الأشكال مضمونا اشتراكيا، ثم وضعها كاملة في خدمة الشعب •

ومع ذلك ، فاستمرار أشكال الديمقراطية ، لايلغى بأي حال ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا ، وهذا ما تم ملاحظته في بلدان أوربا الاشتراكية ، ويعني ذلك الانطلاق الى ماهو أبعد من حدود الديمقراطية والقانون البورجوازيين • من المناسب هنا ، أن نستعيد ملاحظة انجلز المتعلقةبدعوى البورجوازية ، بأن الثوريين البروليتاريين يتخلون عن الاساليب الثورية ، ويبقون في اطار القانون • في الوقت الذي يؤكد فيه انجلز ، على أهمية الاستفادة من القوانون البورجواي لمصلحة الطبقة العاملة ، ويصرح بشكل مطلق : « نحن لسنا في وضع يسمح لنا باداء هذه الخدمة للسادة

البورجوازيين ... »[1] يستحيل انجاز الثورة الاشتراكية بدون الغاء شرعية النظام الذي يجسد ارادة البورجوازية ويدمغ علاقات الملكية بقوة القانون . ـ لتكن مصلحة الشعب هي القانون الاسمى ـ ذلك هو قانون أي ثورة شعبية . انها تأكيد لارادة الطبقة العاملة ، ومجموع الشغيلة ؛ انها تضع النهاية ، للسيطرة السياسية للمستغلين ، ولفاشستيتها . « ... انه ثوري تعيس ، ذلك الذي يتوقف أحيانا في غمرة النضال الحاد بحكم قوة وثبات القانون.في فترات التحول،تصبح قوة سريان القانون مؤقتةفقط، **وعندما يعوق القانون تطور الثورة ، يجب الغاءه او تعديله**[1] » .

ان الثورة الاشتراكية ، هي تعبير عن ارادة الشعب الذي تقوده الطبقة الطليعية ، وتصبح مصدرا للقوة لا يقيدها قانون البورجوازية ، وهي مدعوة لتحويل أسس المجتمع وبناءه الفوقي .

ان الخلط ، بين استمرارية أشكال الديمقراطية ، والتغييرات النوعية الاساسية لمحتواها الطبقي في الثورة الاشتراكية ، يقود الى استنتاجات خاطئة ، تشوه المعنى اللينيني ، لاقتراح لينين ، بأن ديكتاتورية البروليتاريا هي « قاعدة لايقيدها أي قانون» .[3] يعلق العالم اليوغسلافي م.دزداريفيك ـ بيليس حول هذا الاقتراح ، متفقا مع كاتوسكي ، على أن الأخير « كان على حق في حواره مع لينين ،واصراره على الحاجة لاحترام القانون » .[4] ان العبارة المقولة اعلاه حول القاعدة التي لايقيدها القانون ، تم تفسيرها

---

(١) اعمال كارل ماركس وفردريك انجلز روسيا الطبعة الروسية مجلد ٢٢ صفحات (المقصود : المحافظة على القانون البورجوازي ... المترجم) .

(٢) لينين المؤلفات مجلد ٢٧ . ص ٥١٩ ـ التشديد من المترجم .

(٣) نفس المرجع مجلد ٢٨ ص ٢٣٦ .

(٤) راجع بريجليد ساراجيفو رقم ١١ ـ ١٢ ١٩٦٧ ص ٤٦٧ ـ ٤٧٧ .

على أن لينين كان ضد مراعاة القوانين • علما ، ان الذي كان يدور في ذهن لينين ، هو تغيير المحتوى الطبقي للدولة والقانون ، وعدم جعل مقاييس التشريع البورجوازية ، صنماً للعبادة • تلك المقاييس التي بنيت خصيصا لمساندة مصالح الطبقة الحاكمة • وفي الوقت نفسه تصوغ السلطة الجديدة، وتبني قوانين جديدة ، تعبر عن ارادة الطبقة العاملة وكل الشغيلة ، هذه هي القوانين الثورية مع العمل في نفس الوقت للاحتراس من اساءة استعمال السلطة • ترسخ القوانين الاشتراكية والديمقراطية الاشتراكية ، ترسخ الديمقراطية •

تستطيع الديمقراطية الاشتراكية ، هضم المكتسبات الديمقراطية،التي حققها الشغيلة ، في ظل الرأسمالية بشكل معدل • ان مقدار استمراريتها، وطابعها يعتمدان على الظروف التاريخية المطابقة ، والتي تتم فيها الثورة الاشتراكية •

في هذا الصدد ، نجد في تجربة الثورة التشيلية دلالة كبيرة ، فهي أول ثورة في تاريخ أميركا اللاتينية ، نجحت في اقامة حكومة شعبية بوسائل دستورية • ومع ذلك وجدت نفسها ، وهي تتطور في **حدود الدستور** تواجه مهمة مشتركة مع كل الثورات الشعبية : اعادة البناء الشامل للسلطة والقانون بصورة جذرية•قل لويس كورفلان الأمين العام للحزب الشيوعي التشيلي ، أمام المؤتمر الرابع والعشرين ، « لقد أقمنا حكومة شعبية ، ولكن لم نأخذ السلطة كاملة ولانجاز ذلك الهدف ، ولكي تصبح العملية الثورية غير قابلة للارتداد من الضروري أن نسير الى أبعد من ذلك ؟ نحن نفهم

---

(١) التشديد من المترجم •

أن بلدنا تحتاج الى تغيـيرات سياسية ، » هـذا ما اشار اليه كورفـلان في حديث له مع مراسل البراندا ، واضاف « نحن نقترح استبدال البرلمـان بمجلسيه التشريعيين ، بمجلس واحد اكثر ديمقراطية • كما نقترح ايضا اجراء تغييرات اساسية في نظام المحاكم ••• هناك حاجة الى دستور جديد وقوآنين جديدة ، او تعديلها الى درجة كبـيرة • نحن الى جانب دولـة تستند الى قاعدة الشرعية والقوانين ، لتكون اكثر ديمقراطية من تلك التي يجري العمل بها في بلادنا في الوقت الحاضر • مازلنا وراء تحولات ثورية محتفظين بالمقاييس الدستـورية والقانونية للتشيلـي ••• الأمر جـدير بالتفكير من أجل ادخال تعـديلات على الانظمة التشريعية والدستـورية البالية ، في طريق مسيرتنا •

استيلاء الطبقة العاملة على السلطة ، يشكل مرحلة لاغنى عنها ، من اجل الانتقال الى الاشتراكيـة ؛ وهذا مؤشـر الى الانفصال عن التطـور التدريجي وهذه لابد منها في أي ثورة • المسألة الهامة ، هي رؤية هـذه المرحلة الحاسمة مسبقا ، من اجل اعداد الجماهير لحركة واسعة قادرةعلى تطويق ولجم اي عمل تقوم به البورجوازية للثورة المضادة •

الاصلاحية والثورية :

ان قضية العلاقة بين التقدم السريع (الطفرة) والتدريجية ، بـين الثورة والاصلاح ، والاستمرارية في العملية الثورية وتوقفها ، هـي احدى الخطوط الرئيسية التي تفصل بين المفهوم الديالكتيكي ، والعقائد الاصلاحية والانتهازية الفوضوية اليسارية غير المتوازنة •

كتب لينين :ـ « ان الأخيرة منها ـ الانتهازية الفوضوية اليسارية ـ تعمد الى المبالغة باستمرار ؛ وترفع هـذا الجانب ، أو ذاك ، من سـمات التطور الرأسمالي أو هذا الجانب أو ذاك من نظام التكتيك ، هذا «الدرس» أو ذاك ، لهذا التطور ؛ وذلـك كله بنظرية وحيدة النظـرة ... الا أن واقع الحياة ، وحقيقة التاريخ « تتضمن » مختلف الاتجاهات تماما كما أن التطور في الطبيعة يتضمن كلا من التطور البطيء والقفزات السـريعة ، او الانقطاع في الاستمرارية . » [1]

يستشهد لينين في مذكراته الفلسفية بمقولة هيجل حول علم المنطق ، ملقيا بذلك ضوء على مصادر المعرفة للنظـرة الوحيدة الجانب . « هنـاك صعوبة في ادراك ذلك الفهم ، الذي يسعى الى المعرفة ، أي الفهم الـذي يتألف في أحد جوانبه من أن التحول الكمي لشيء ما يتحول الى شيء آخر بعموميته ، والى نقيضه ، بينما نجد هذا الفهم في جانبه الآخر ، يتخيـل هويـة الشيء وهي تتغير لتصبح ، حيادية ، بعيدة عن عملية التغير ، ومع ذلك ، يمكن أن تتطابق مع التغيرات النوعية . » [2] هذا هو طراز منطـق التفكير الاصلاحي . ان منطق التفكير الفوضوي يفصل بصورة ميكانيكية بين عملية التغير والشيء بذاته ، ويعتبر التفكير انفصال مطلق في مجـرى التاريخ . وهذا من شأنه أن يضفي على الانتقال من القديم الى الجـديد مسحة صوفية غيبية ، ولا تعطي لنفسها تفسيرا عقلانيا .

ان الجذور المنهجية للانتهازية اليمينية واليسارية ، تؤثـر في الآراء

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ١٦ ص ٣٤٩ .

(٢) لينين المؤلفات المجلد ١٦ ٣٤٩ ـ كل التشديد من المترجم ـ .

السياسية لأنصارها « يعتبر التحريفيون أن كافة المناقشات حول « الطفرات » وحركة الطبقة العاملة متناقضة مع كل المجتمع القديم ، من حيث الأساس، وتصبح المسألة ، مجرد تجارة في التعابير والالفاظ • كما يعتبرون أن تحقيق الاصلاحات جزء من تحقيق الاشتراكية • هذا ويرفض النقابيون الفوضويون استغلال « الأعمال الصغيرة » وخاصة امكانية ، الاستفادة من المنصة البرلمانية • وعند التطبيق العملي ، يصل الأمر بهذه التكتيكات الى حد الانتظار « للأيام العظيمة » ويصحب ذلك عجز عن التحكم ، في القوى التي تستطيع خلق الأحداث العظيمة » •

تعكس الاصلاحية، الموقف المماحك والمربك لرغبة الفرد البورجوازي الصغير • الفرد الساخط ، على ترنح الاحتكارات ، **الا أن الاصلاحية تتمسك بالحضارة الرأسمالية برهبة مقدسة** [1] • الاصلاحي أسير «مجتمع الاستهلاك » روحيا • ويخشى أن تدمر الثورة نمط حياته البورجوازية الصغيرة • كما يعكس الثوريون اليساريون ، نفاذ الصبر ، « والصرع الهستيري » للفئات الدنيا التي تتصف حياتهم ، بعدم الاستقرار الى درجة بعيدة ، لأنهم مهددون باستمرار ، باحتمال تحولهم الى ، «بضاعة مشطوبة»، واحتمال انحدارهم الى « قاع » المجتمع • زاد عدد هاتين الفئتين ، في بلدان التحرر الوطني ، وفي الأقطار الرأسمالية المتطورة على حد سواء •

ان عمق وسرعة التغيرات الاجتماعية في العالم ، بالاضافة الى الثورة العلمية والتكنولوجية ، قد قلبت حياة عدد كبير من الشعب رأسا على عقب • كما فقدت نسبة كبيرة منهم مواقعها القديمة ، دون احراز مواقع

---

(١) التشديد من المترجم •

جديدة • كما أن مستقبلهم موضع شك ، وفي معظم الاحيان لا آفاق له • تلك الطبقة المنهارة من الشعب تتميز براديكاليتها ، الا أنها تفتقر الى ضبط النفس ، والقدرة على ادراك الحالة القائمة ، بهدوء أعصاب وذكاء ، وهي تستسلم لليأس بسهولة • هؤلاء الناس وهم مدفوعون الى التمرد لايميزون البرامج المرحلية ، والأهداف **المتوسطية والتدريجية**[٢] • وتبدو الثورة عندهم ، على أنها تمرد كالزلزال ، يمكن لها بانقضاض واحد ، أن تحل كل المشاكل والتناقضات •

ان التوجه نحو التطور السلمي والتدريجي من أجل الاشتراكية ، وهذا مايتلاءم مع ظروف العديد من البلدان الرأسمالية المتطورة ، يزيد من أخطار الأيديولوجية الاصلاحية • تواجه الطليعة الثورية في هذه البلدان باستمرار ضغطا باتجاه الاصلاحية ، ينبع من داخل وخارج حركة الطبقة العاملة على حد سواء • وهنا تكمن جذور الاتجاهات الانتهازية اليمينية التي تبرز بين وقت وآخر في الحركة الشيوعية في هذه المناطق • وعلى ذلك يجدر بنا أن نتأكد بأن الاخطار ، تحدق بالثوريين على أي طريق سلكوه [٢] •

ومع ذلك فالأساليب والوسائل التي تستخدم ضد الطبقة العاملة ، في مجرى النضال ، من أجل الانتقال السلمي الى الاشتراكية ، لها طابع محدد؛ ففي الصدام العلني تحارب البورجوازية الشعب بالسلاح ، وتضربه بالعصا الغليظة •

---

(١) التشديد من المترجم ـ وأضيف : والاهداف السليمة باتجاه الاشتراكية •

(٢) ومن هنا تبرز الأهمية العظيمة ، لقضية الديالكتيك وهو يدعو الى اليقظة الثورية ؛ والى حقيقة أن النضال من أجل الاشتراكية يستحيل أن يتم ، بدون تضحيات مادية وروحية وجسدية • ـ المترجم •

أما عندما يتم السير بالطريق السلمي للانتقال الى الاشتراكية ، ويصبح الطريق قريبا ، فان البورجوازية في بعض الأحيان تلبس القفاز المخملي وتتظاهر أيضا برغبتها في أن ترى ممثلي الطبقة العاملة في غرفة المفاوضات التي لاجدوى منها ، لأنها تضيع في المتاهات ، بكل مافيها من وسائل الضغط التي جرى اعدادها والتحكم بها سلفا. وعندما تعمد الى ذلك تكون النخبة الحاكمة ، ساعية وراء أهدافها الطبقية ، باذلة الجهد لتقييد أيدي الثوريين بسياستها الاصلاحية والتخلي عن الثورة الاشتراكية .

يتطلب الاتجاه نحو الطريق السلمي أن يكون هناك تمييزا محددا بوضوح بين برنامج التغيرات الديمقراطية والبرنامج الاصلاحي . لأن الأخير منها يرى في الاصلاحات ذاتها نهاية المطاف ، « ووسائل الترقيع » . للعلاقات الرأسمالية . ولا تستطيع المضي ـ أبعد من الاصلاحات التافهة التي لامستقبل لها . وهنا يقوم الاصلاحيون بدور الممرضة للرأسمالية .

ان البرنامج الاصلاحي الديمقراطي الشيوعي يهدف الى تقويض أسس النظام الرأسمالي والهجوم على رأس المال . وعلى هذا النحو تصبح الاصلاحات وسائل للنضال الثوري . ان الاهتمام بالاصلاحات الجزئية فقط ، يقود الاصلاحيين لفقدان الاتجاه نحو الهدف النهائي ،نحو الاشتراكية . الا أن برنامج التغيرات الديمقراطية الأصيلة يبقى مدركا وواعيا لقضية الوصول الى الثورة الاشتراكية ، واكتساب القوى الى الاشتراكية .

على كل حال ، ان محتوى أي برنامج ديمقراطي بحد ذاته يضمن الانتقال الى الاشتراكية . كتب لينين وهو ينتقد برنامج الحدالأدنىللحزب

الذي صدر بمحتواه الانتهازي ، « ان الانتقال الى نظام اجتماعي متمايز جذريا « لايمكن » تحقيقه سواء بمطالب معينة لبرنامج الحد الأدنى •• أو بالمجموع الكلي لمطالب برنامج الحد الأدنى ، ويعني التفكير على هذا النحو ، الانتقال الى مواقع الاصلاحية من حيث المبدأ ، والتخلي عن الثبات في الثورة الاشتراكية » • [1]

بغض النظر عن عمق ومدى الاصلاحات الديمقراطية ، فهي لن تقود الى الاشتراكية • ولن يتم ذلك حتى تتحول وسائل الانتاج الى ملكية عامة، التي بدورها فقط سوف تضمن انتقال كل السلطة للطبقة العاملة • هاتان هما القضيتان اللتان تشكلان جوهر الثورة الاشتراكية (الملكية العامة لوسائل الانتاج ، كل السلطة للطبقة العاملة ـ المترجم) •

الاصلاحات الديمقراطية ، التي تتم في سياق النضال غير المهادن ، من أجل الاشتراكية تشكل علامات فارقة على الطريق الثوري • الا أنها لاتقود الى الاشتراكية في أي مكان ؛ الا اذا تم توجيهها ضد المراكز الحيوية للرأسمالية وبعد أن تمتلك رؤيا واضحة لاعادة بناء المجتمع على أسس اشتراكية • تقول اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فرنسا في بيانها « في الوقت الذي يرى فيه الانتهازيون أن النضال من أجل الاصلاح في ظل الرأسمالية هو نهاية المطاف، يرى فيه الشيوعيون أنه جزء من النضال الطبقي ضد أصحاب الأعمال الكبيرة ، بهدف اضعافهم وارغامهم على التراجع ، ولا يفقد الشيوعيون الاتجاه نحو الهدف النهائي ـ نحو الاشتراكية » • [1]

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٤١ ص • ٣٨٤ ـ ٣٨٥ •

(١) الأومانيتيه ٦٨/١٢/٧ •

يزداد خطر الانتهازية اليسارية في الفترات التي تلي الغليان الثوري، الذي يكتسح معه أعدادا هائلة الى قلب العاصفة السياسية • ويأتي بعد النهوض الثوري أحد أمرين : ـ اما أن تنحسر الحركة الثورية ، ويتبع ذلك فترة من العمل المثابر للتحضير لمسيرة جديدة • أو الانتقال الى مهام بناءة جديدة للثورة ، والعمل المثابر يوما بعد يوم ، لبناء المجتمع الجديد • الا أن البورجوازي الصغير لايروق له هذا الطراز من العمل أو الصعوبات الكافية ، ويروق له أن يحصل على كل مكاسب الاشتراكية فورا • مثل هذا البورجوازي يعاني من مسألة التوفيق الملائم بين « اما كل شيء أو لا شيء » وهذا مايتميز به الثورجيون • وينتهي هذا الخط المتطرف الى العبارات الثورية الطنانة وهي تبتعد عن الواقع • وفي التطبيق العملي يؤدي الى عزلة ضيقة الأفق متعصبة ، واحتقار العمل الثوري الهادىء • وبالتالي يصبح شأنهم شأن الاصلاحين الذين فقدوا المنظور الثوري ، وذلك لأنه تم فصل الهدف النهائي عن النشاط العملي الحقيقي •

التوأمان المتناقضان

ما يبدو من تعارض ـ تناقض ـ بين مسيرة الاصلاحيين واقطاب اليسارية المتطرفة ، من اجل تشكيل القوى السياسية للنضال ومن اجل الاشتراكية ، الا أنه يؤدي الى استنتاجات متماثلة ومتطابقة في مضمونها السياسي •

ذلك لأن الاصلاحيين يشوهون التمييز بين القوى الراغبة في الاصلاحات الجزئية ، وبين القوى الدافعة من أجل الثورة الاشتراكية • كتب لينين وهو يرفض مثل هذا الموقف ، « بالطبع لن تندمج البروليتاريا أبدا مع

للديمقراطية في ألمانيا عام ١٨٤٨ • ونحن البلاشفة سوف لانندمج مع حركة الحركة الديمقراطيـة العامة • لم يندمـج ماركس وانجلز مع الحركـة الديقمراطية البورجوازية في عام ١٩٠٥ • » (١)

الذي يندمج مـع البوروجازية الديمقراطية سوف يواجه نتائـج محزنة وقاسية • لأن الحركة الديمقراطية غير متجانسة اجتماعيا أو سياسيا فهي تضم الاشتراكيين كما تضم غير الاشتراكيـين وحتى أصحاب الاتجـاه المعادي للاشتراكية • ان تحالف القوى الديمقراطية مع الاشتراكية يتـم بناءه عبر النضال للتغلب على التناقضات الداخلية • وهذا الأمر يفرض على الطبقة العاملة سياسة واضحة محددة بدقة ، وحازمة ومستقلة • انالاندماج الكامل بين الحركة الشيوعية مع الحركة الديمقراطية من شأنه أن لايضعف عملية نضال الطبقة العاملة من اجل الاشتراكية بل ويضعف ايضا عمليـة النضال من اجل الديمقراطية ، وذلك لأنها تؤدي الى تصفية الخط الثوري المثابر للبروليتاريا في خضم الاتجاهات السياسية الأخرى • وهذا بدوره من شأنه أن يحول الحركة الديمقراطية الى حركة غير متبلورة ويضعف مـن النزعات الاشتراكية في داخلها •

ان برنامج اليساريين المتطرف الضيق الأفق ، «كل شيء او لاشيء» ينسف من حيث الواقع الحقيقي مسألة بناء التجمع الديمقراطي الـواسع بقيادة الطبقة العاملة • كما أن مطالب الحد الأعلى التي تفرضها الاجنحـة اليسارية تتجاهل المصالح المحددة للطبقة العاملة ، كمـا تتجاهل الامكانيات الحقيقية الكامنة لحلفاءها • يحتقر هؤلاء كافة أشكال المصالحة والاتفاقيات

---

(١) لينين المؤلفات مجلد ٣٣ ص • (٢٤٩) •

المؤقتة ، ويقبعون بعظمتهم « في عزلة فخمة » على قمة ايديولوجيتهم الخيالية البحتة • كما يقبع المرء في قمة جبل اوليمبوس • أما من حيث الحقيقة فهم لايعملون اكثر من الكشف عن عجزهم وفشلهم في الكفاح من اجل سيطرة الطبقة العاملة وادراك الدور الثوري للطليعة الثورية • ويخشون في نفس الوقت تلويث انفسهم باتصالهم وعلاقاتهم مع الاطراف غير المبادرة ـ الانتظارية ـ للتخلص من الواقع السياسي • أما عند العقائديين اليساريين فانهم يترجمون الماركسية لتصبح « قيمة بحد ذاتها » منقطعة الصلة عن الممارسة الاجتماعية • ولا تستطيع اغلبية الشعب امتلاك ناصيتها •

لايجوز أن تتحول القواعد الاساسية في المفهوم الماركسي ، الى سياج يحشر فيه المؤمنون الحقيقيون انفسهم بعيدا عن الجماهير ، ولا يجوز أن تشكل طريقا مسدودا يحول بين الطبقة العاملة وحلفاءها من قطاعات الشعب الأخرى•ذلك لأن التاريخ لايبدأ فيخلق طينة انسانيةمثالية من اجل تحقيق الاشتراكية لتقوم بعد ذلك بانجاز الثورة ونيابة عن الاشتراكيين «الطهراء»• ان النضال في سبيل مباديء الماركسية يتم شنه في الحياة العملية المليئة بالتناقضات • ان الممارسة الثورية للطبقة العاملة بقيادة الحزب الماركسي اللينيني تأتي من خلال اقامة العلاقة والاتفاقات ، والتسويات مع القوى الاجتماعية التي لاتشارك الطبقة العاملة في مبادئها ، او تشاركها بها جزئيا، تلك هي الممارسة الثورية ،التي تؤدي الى استيعاب المباديء الثورية وايصالها الى صفوف حلفاءها • كتب لينين وهو ينتقد بعنف تلك الفئات المتعصبة • التي تنزوي خجلا من الممارسة السياسية بدعوى المحافظة على « نقاوة » المباديء •• « ان مهمة الحزب الثوري الحقيقي هي أن يكون قادرا ،

ليبقى أمينا لمبادئه ، وطبقته ولاغراضه الثورية ، « خلال كافة التسويات » التي لايمكن تجنبها وأمينا لمهمته في تمهيد طريق الثورة وتربية جماهير الشعب لانتصار والثورة » [1] • تكمن الجذور المنهجية لكل من الأنتهازية اليمينية واستراتيجية وتكتك اليسارية المتطرفة في تشويه العلاقة المترابطة بين القواعد السياسية والسياسة الواقعية • يضحى الأنتهازيون بالقواعد المبدئية في سبيل القضايا الطارئة في تلك اللحظة ، وبذلك يتخلون عن خط الطبقة بوسائل حسابية لمصلحة النزعات الديمقراطية العامة المتنوعة •

اما الاجنحة اليسارية فهم ينتزعون القواعد المبدئية بعيدة عنَ السياسة العملية ويعارضون خط الطبقة بالحركات الديمقراطية العامة •

تتداخل وتتفاعل قواعد الماركسية اللينينية مع السياسة العملية ،دون أن يندمجا كلا واحدا ، او يتحولا الى قطبين متعارضين • وهذا من شأنه أن يجعل الأمر ممكنا ، لرسم مراحل متعاقبة ومتصلة بالتدريج ، من اجل الوصول والتحول للاشتراكية • تأخذ الاستراتيجية والتكتيك الماركسي اللينيني في حسابها كلا من الوحدة الداخلية ، والتمييز الاساسي بين المهام الديمقراطية العامة ، والمهام الاشتراكة للنضال الطبقي للبروليتاريا • هذا المدخل الديالكتيي للمسألة يجعل الأمر ممكنا لجذب قوى اجتماعية جماهيرية لحلبة النضال ضد الرأسمالية،والرؤية الثاقبة لمعالم الطريق على درب الاشتراكية في نفس الوقت •

الاصلاحية ، والثورية اليسارية توأمان • على قطبين متعارضين •

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٥ ص ٣٠٥ •

والعداء بينهما متبادل ، الا أن بينهما قواعد منهجية مشتركة • فهذه وتلك تنبثقان من تربة اجتماعية غريبة عن حركة الطبقة العاملة •

في حين أن الثورية المتطرفة هي العقاب ، لآثام الاصلاحية ، نجد أن اليسارية ـ الدوجما ـ الجامدة تعمل على انعاش التحريفة اليمينية ، متخلية لها ، عن حق ، تحليل وترجمة المشاكل•وهكذا يجب مقاومة هذا التطرف وذاك • هذا النضال على هاتين الجبهتين هو قانون تطور الاحزاب الماركسية اللينينية والحركة الشيوعية العالمية •

الفصل الرابع

ديالكتيك العـام والخاص

ان ديالكتيك العـام والخاص ، له أهميـــة بالغة في نظرية الثـــورة الاشتراكية • لأنه يؤمن مفتاحا ، لادراك العلاقة المتبادلة ؛ بين القواعـــد الاساسية للنظرية الثورية ، والسياسة ، والاسلوب المحدد ؛ لوضعهما موضع التطبيق ، في ظروف محددة لكل بلد ، وفترات معينة من تاريخ حركـــة الطبقة العاملة • ان قضية العام والخاص هي موضع نضال فكري حاد • وهي تلقي ضوء على مصادر المعرفة للتشويهات التحريفية والجامدة ،للماركسية اللينينية • يتذرع كافة التحريفيين بدون استثناء ، بالمميزات التاريخية ، او القومية ، في محاولاتهم لدحض الماركسية اللينينية ، كما يلجأ كافةالعقائديين الجامدين ،لاستعمال القوانين والمباديء العامةكستار لتغطية تعصبهم النظري وسياستهم العملية ، مفتقرين الى المبادرة ، عاجزين عن الاستيعاب الخلاق لتجربة التاريخ الحديثة •

وحدة العام والخاص •

تنهض الثورة الاشتراكية للبروليتاريا ، بالطبع ، من الظروف الناجمة عن تطور العالم • وهي عملية واحدة على نطاق العالم • يحكمها قوانـين

مشتركة ، منبثقة عن ظروف عامة ، ومتطلبات المجتمع الأنساني ، في مرحلة نضوج ، التشكيلة الرأسمالية الاجتماعية ـ الأقتصادية • الا أن هـذا المجتمع الانساني نفسه ، مقسم تاريخيا الى قوميات ودول ذات حـدود • تأتي الثورة الاجتماعية للبروليتاريا على النطاق العالمي متجاوزة الفـوارق في القسمات القومية ، ومستويات التطور الاقتصادي والسياسي ، ومقـدار النضوج في ممهدادت الاشتراكية ، ومدى ادراك جماهير الشعب للمهـام الثورية للعصر • وعلى الرغم من واقع ، أن الرأسمالية قد احتوت كـل البنية العالمية المزخرفة بمراحل متعددة ، في اطار نظام واحد ، الا أنها أبعـد من أن تصقله ، فقد ضاعفت وعمقت تناقضاتها بسبب تطورها المميز بالتشنج، غير المتوازي والمولد للنزاعات •

ويترتب على كل ذلك ، أن القوانين العامة للثورة ، تكشف عـن نفسها باشكال مختلفة في بلدان مختلفة • ومن هنا يبرز للعيان في مجرى العملية الثورية الديالكتيك المعقد ، للعام والخاص ، متميزا بالتعديل والتحوير، وبالمرونة في الاشكال ، والحركة الدائمة في الخطوط الفاصلة ؛ مع ثبـات الروابط الأساسية ضمن ظاهرة فريدة • صاغ لينين المسألة الحساسة في هذه القضية بايجاز ووضوح:« سوف تصل جميع الشعوب الى الاشتراكية ـ هذا امـر حتمي • الا أن كل هـذه الشعوب سوف لاتحقـق ذلك بنفس الطريقة ، كل منها سوف تساهم بشيء خاص من عندها ، فعنـد البعض ، بهذا الشكل من الديمقراطية ، او بذلك النوع من ديكتاتورية البروليتاريا للبعض الآخر ، او بمعـدل متفاوت من التحولات الاشتراكيـة في مختلف اوجه الحياة الاجتماعية ، لايوجد شيء اكثر بدائية من الناحية النظرية ،

كما لايوجد شيء اكثر مدعاة للسخرية ، من الجانب العملي ، كمحاولة طلاء ذلك الجانب من المستقبل ، باللون الرتيب المكرر » [1] .

اظهرت التجربة ، أن تقدم البشرية نحو الاشتراكية محكوم بقوانين عامة . ومع هذا ، فان ذلك لايكفي ، ولايقدم الأرضية المقنعة ، حتى نجعل من العام صنماً للعبادة ، او لغزا محيرا . « ان دلالة « العام » متناقضة ؛ فهي ، بدون حياة ، وغير نقية ، وغير كاملة .. الخ ... الخ ، الا أنها وحدها ، تشكل « مرحلة » باتجاه معرفة ماهو ملموس ومحدد ؛ ذلك ، لأننا لانستطيع معرفة الشي المادي المحددة ، بصورة تامة » .[2] ان القوانين الاساسية للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، تشكل محتوى نظرية الثورة الاشتراكية ، مما يمكن الحزب الماركسي ، أن لايقيد اتجاهه ، في خضم العوامل والاحداث التي لا حصر لها،وأن يستمر محافظا على الاتجاه العام لمجرى الثوري . على كل حال ، اذا تم الفصل بين العام والخاص ، يصبح العام بدون حياة ، غير كامل ومجرد تخطيط ، ويكتسب « العام » الحيوية والنضوج عندما يكف عن كونه « عاما مطلقا » ، عندما « يحتوي في ذاته على مانغنيه به بما هو خاص ، بكل ثروته ، الخاصة والفريدة . »[3]

« العام » ليس رمزا للشرائع ، او القوانين الثابتة والمحصنة ، ضد فعل الممارسة الاجتماعية . لذلك ، يتطلب الديالكتيك ، أن يتم تطبيق القواعد الأساسية للنظرية الثورية ، بطريقة « اجراء التعديل الصحيح لهذه

---

(١) لينين مجموعة الأعمال مجلد ٢٣ صفحات ٦٩ ـ ٧٠ .
(٢) لينين مجموعة الأعمال مجلد ٣٨ ص ٢٧٩ .
(٣) لينين مجموعة الأعمال مجلد ص ٩٩ .

المباديء في عدد من جوانبها الخاصة ، تطبيقها وتلائمها الصحيحين للميزات الوطنية ، والدولة الوطنية . » [٤]

يتضح من ذلك ، أن لينين ، يتحدث عن تعديل الأسس في جوانبها الخاصة وهذا ويعني ، أن ماهو جوهري واساسي جدا قد سبق واحتواه « العام » ؛ وبالتالي ، تم التعبير عنه بالمبادىء الثورية ، ولا يتعامل « الخاص » ، مع ماهو اكثر اهمية بل مع التفاصيل واشكال التطور . من الملائم هنا أن نكرر ملاحظة لينين المتصلة بمسألة بناء الاشتراكية ؛ « ان وحدة الجوهر وما هو اساسي لاتختل بل تتعزز بتنوع التفاصيل ؛ وفي القسمات المحلية المحددة ، وفي أساليب الدخول اليها .... » [٥] ان مايجري ، لا يعني اختفاء « العام » في خضم احداث أو ظاهرة معينة خاصة ، بل هو تطور المباديء الثورية ، واغناءها بالتجربة التاريخية للنضال الطبقي ، المترعرعة في المجرى الصاخب العنيف للممارسة الاجتماعية ، والذي من شأنه أن يغير باستمرار في الوضع ، ومن شخصيات المسرحية في الدراما الثورية .

يتجسد ، ديالكتيك العام والخاص ، في ظهور اللينينية باعتبارها ماركسية العصر . نجد في التراث اللينيني ، نفس مباديء النظرية الثورية كماهي عندماركس :المصيرالحتمي للرأسمالية ،والدور التاريخي للبروليتاريا حفارة قبر الرأسمالية وبانية المجتمع الجديد ، وتحالف الطبقة العاملة باعتبار ذلك شرط لاغناء عنه من اجل انتصار الثورة الاشتراكية ، والأممية

---

(٤) لينين مجموعة الأعمال مجلد ٣١ ص ٩٢ ـ التشديد موجود في النص الاصلي .

(٥) لجنين مجموعة الأعمال مجلد ٢٦ ص ٤١٣ التشديد موجود في النص الاصلي .

بوصفها قانون تطور حركة الطبقة العاملة الثورية ، واساس مبدئي لنشاط حزب الطبقة العاملة [1] .

الا أن لينين لم يكرر القول لمباديء النظرية الماركسية ببساطة ، بل طبق تلك المباديء للنظرية الماركسية ، في ظروف نضوج وتفتح الثورة الاجتماعية للبروليتاريا .

اخضع لينين المميزات الخاصة للامبريالية العصر ، للتحليل الشامل ، من مواقع ماركسية مستخلصا النتائج كلا على حدة ؛ ثم ارتفع بها الى ماهو عام وهو يتحرك في سبيله ، ليصبح ظاهرة محكومة بقانون ، في الحياة الواقعية الحقيقية نفسها ، ظاهرة تؤثر بصورة ملموسة حسية ، في محتوى وطابع الثورة الاشتراكية . ارتفع لينين بمبادىء النظرية الماركسية التي بقي أمينا عليها ، الى مرحلة نوعية اعلى . ذلك هو السبيل الوحيد للحفاظ على دقة وامانة المباديء الماركسية ، ذات الطابع التاريخي والتي يجب تطبيقها بقوة خلاقة ، وربطها بالحقيقة والممارسة الاجتماعية .

مدخلان الى المبادىء

ان السمة المميزة للمنهج اللينيني ، تكمن في رؤيته ما هو عام في اطار العملية التاريخية الحية ، وليس بطريقة مطلقة بل بوحدة ماهو عام مع الخاص ، وهذا يبدو واضحا ، في حواره العنيف مع العقائديين الجامدين ، الذين يرون المباديء العامة للماركسية مجرد فرضيات نظرية محضة ، وأن

---

(١) لينين المؤلفات المجموعة المجلد ١٢ ص ٤٥٨ .

المدخل الديالكتيكي للعلاقة بين الخاص والعام ماهو الا انتهاك لتلك المباديء ومراجعة للماركسية •

مما له دلالته في هذا الصدد ايضا ، الحوار العنيف مع المناشفة حول الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين ، التي تشكل حولها طرحان متعارضان للمباديء الماركسية النظرية للثورة •

يتألف الطرح اللينيني ، من تطبيق المباديء العامة ، في الظروف الخاصة للثورة البورجوازية الديمقراطية ، التي كانت تترعرع وتنمو في روسيا عام ١٩٠٥ •اماالطرح المنشفي يبدو وكأنه قد تم حل كافةالقضايا، هذا عند المنظرين المناشفة ، ببساطة فقد كان في تصورهم انه يوجد هناك نموذج جاهز للثورة البورجوازية ، لايحتاج الا الى كساء بالمحتوى الروسي • على كل حال ، وجه لينين نظرة الى الواقع ، درس موقع وامكانية كل الطبقات ، والروابط الحقيقية للقوى الاجتماعية ، ووصل الى الاستنتاج القائل : بأن النماذج الكلاسيكية للثورة البورجوازية ، غير قابلة للتطبيق في ظروف العصر الجديد ، حيث تتقدم فيه الطبقة العاملة الى الأمام ، الى المقدمة ، في النضال الثوري ،وتفقد فيه الطبقة البورجوازية طابعها الثوري ، وحيث تحث وتسرع حدة المسألة الزراعية ، حركة جماهير الفلاحين نحو تغيير ديمقراطي جذري •

في مثل هذه الظروف ، احتلت مسألة السلطة أبعادا محددة • اشار لينين لهذه المسألة : « ان مثل هذا الترتيب للقوى الاجتماعية ، يؤدي حتما، الى الاستنتاج ، على أن البورجوازية ، لايمكن أن تكون القوة الحافزة،

ولا يمكن أن تكون قائدة للثورة على حد سواء • ان البروليتاريا فقطهي القادرة على تحقيق الثورة ، اي انجاز الانتصار الكامل • الا أن هذا النصر، يمكن انجازه فقط ، شريطة أن تنجح البروليتاريا في جعل قطاعا كبيرا من الفلاحين ، يتبع قيادتها • ان انتصار الثورة الراهنة في روسيا ممكن نقط ، وفقا للديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين »•[1]

ماالذي تقدم به المناشفة في معارضة تلك النظرة ؟ فسر يليخانوف ذلك ، على النحو الذي أحيته نارودنايا فوليا بما قدمه للمؤتمر الرابع لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، حيث قال : « لايمكن للعمل الخلاق للشعب ، أن يغير من الطابع الاساسي للثورة البورجوازية التي نعيشها • ماهو هدف الثورة الديمقراطية التي نجاهد من اجلها ؟!انها الجمهورية البورجوازية • كما انني ارى وافكر اننا عندما نتبنى بحزم وتصميم تلك النظرة ، واننا عندما نفهم حتمية التناقضات الطبيعية الكامنة في الجمهورية البورجوازية ، فسوف لانكون متسرعين في تصور امكانية الاستيلاء على السلطة » •

هنا ، نجد مثالا كاملا للحذلقة المنشفية ، التي تجري على النحو التالي : بما أنه يوجد هناك ثورة بورجوازية ، فان السلطة تنتقل الى البورجوازية ؛ وكل طرح آخر يعني مراجعة الماركسية •

كان المنشفي ليفيتسكي ؛ يجادل في المؤتمر الرابع • « اذا كانت الثورة بورجوازية الطابع ، فان ذلك يعني في المفهوم الماركسي ، بأن هناك تغييرا في العلاقات الاجتماعية سوف يحصل ، وهذا يتم التعبير عنه ، بانتقال السلطة السياسية الى ايدي الطبقة البورجوازية ، وبذلك يصبح الحديث

---

(١) لينين المؤلفات الكاملة المجلد ١٢ ص ٤٥٨ •

عن معارضة مصالح الشعب الثوري ، بمصالح البورجوازية ، وديكتاتورية الشعب الثوري ، بصالح البورجوازية ، وديكتاتورية الشعب الثورية في مجابهة البورجوازية ، هذه المعارضة تصبح غير صحيحة اطلاقا » .

لايوجد عند المناشفة أدنى رغبة في استيعاب ظروف القرن العشرين ، ولفحص العلاقة بين العام والخاص ؛ واخذها بعين الاعتبار في الثورة الروسية . المسألة عندهم : أن ماهو عام يحجب الجديد ـ والخاص تاريخيا ، الذي كان قائما في الواقع المعاصر . اشار لوناشارسكي رفيق لينين الى الطابع الميتافيزيقي المثالي بطريقة المناشفة في التفكير بقوله :«لقد فشل الرفيق بليخانوف في فحص جوهر الشيء الجديد ، الذي كان يجري البحث عنه ، ذلك الشيء الذي تقدم به اكثر اقسام الحزب حيوية ونشاطا. لقد استمع بليخانوف الى بعض الملاحظات الضبابية عن الماضي ، ثم انكمش على نفسه متراجعا ، بسبب الخوف من نصر موهوم للنارودنية ؛ وبذلك ابتعد خجلا عن التصميم الجديد ، والشعارات الجسورة ، واظهر هلعا مرضيا ، وخوفا من الجديد ، الأمر الذي كثيرا مانجده عند المفكرين الموسميين .

كان « العام » ، عند المناشفة ، يشكل حجابا ، حال بينهم ، وبين رؤية وفهم « الخاص ». عندئذ ، رأى لينين في حال المناشفة هذا مايشكل « كاحل أخيليس » لمنهجهم : وذلك بعدم قدرة منهجهم هذا في الوصول للمدخل الديالكتيكي « للعام » « وللخاص » ، من مواقع عملية . اشار لينين الى تعذر الدفاع المنهجي ، عن محاولات بليخانوف ، في تبرير وتبرئة مساندته للديمقراطيين الدستوريين ، اعتمادا على أصول المباديء العامة للاستراتيجية والتكتيك : « ان الذين أجابوا على السؤال المادي الملموس،

فيما اذا كان من الواجب ، دعم قطاعا خاصا من المعارضة ، والبورجوازية الثورية في لحظة معينة ، ولم يرفضوا الفرضية العامة حول واجب دعم المعارضة ؛ ومع ذلك وقعوا في الخطأ فالغلطة التي ارتكبها الرفيق بليخانوف تكمن اولا : انه استعاض عن السؤال التاريخي المادي الحسي ، باعتبارات مطلقة ؛ وثانيا : ان آراءه حول البورجوازية الديمقراطية في روسيا لاتتصل بالتاريخ اطلاقا • لأنه ينسى أن مواقع مختلف فئات هذه البورجوازية الديمقراطية تتغير كلما تقدمت الثورة في مسيرتها » • [1]

احتدم الجدال ثانية ، في المؤتمر الخامس لحزب العمال الروسي الاشتراكي الديمقراطي عام (١٩٠٧) ؛ وذلك خلال النقاش حول الموقف الذي يجب اتخاذه ، حيال الاحزاب البورجوازية • كان خطاب بليخانوف أقرب في طبيعته الى محاضرة لاستاذ في الجامعة ، ناهيك عن مقتطفات من ماركس ، والاستناد الى هيجل ، والمقارنة مع روفائيل مادونا ؛ لاحظ لينين بسخرية « ماذا يوجد افضل من ذلك ! جدال رفيع المستوى ، فيه شهامة ، ومؤثر •••• ولكن ، ومع ذلك ، أود أن اسأل بليخانوف « مادونا » او سواه ـ يبقى الشيء المهم ، ماهو رأيك حول مادة السؤال ؟ (تصفيق من المركز والبلاشفة) ، ومع كل ذلك ، أنه لأمر سيء للغاية أن تلجأ الى مادونا ، لتتجنب تحليل النقطة الحاسمة [2] (والتي هو موضع اتخاذ القرار) [3] وواصل لينين الحديث ، ليبين أن التطبيق المطلق للمبدأ السياسي العام ، في تقديم الدعم للمعارضة ، جعل المناشفة أداة بين أيدي البورجوازية •

---

(١) لينين مجموعة الأعمال المجلد ١٠ ص ٤٠٧ •
(٢) لينين مجموعة الأعمل المجلد ١٢ ص ٤٧١ •
(٣) الاضلفة بين الهلالتين من المترجم •

ان المناقشة التي جرت في المؤتمر الخامس لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، قد أوضحت صلة النسب بين منهجية المناشفة والتروتسكية ، وسلطت عليها الاضواء • أعلن تروتسكي في المؤتمر : أن انتصار الثورة في روسيا ، كان ممكنا اما أن يكون انتصارا للبروليتاريا ، أو أنه مستحيل كلية • يبدو للوهلة الأولى أن هذا الموقف يتعارض مباشرة وبصورة مطلقة مع الموقف المنشفي • الا أن كلا منهما له مصدر منهجي مشترك : معارضة « العام » « بالخاص »؛يقبض المناشفة ويتمسكون بالنموذج العام ، مبتعدين عن التجارب الجديدة ، في حين أن التروتسكية ، تخضع الملامح المميزة للوضع ، لاستراتيجية مغامرة ، وتعالج ذلك بعيدا وبمعزل عن ما هو عام ،كما تنفي العام في سبيل تبرير الافتقارالى المباديء، والارداة الطوعية • وهذا التماثل في المنهجية يقود الى تماثل في الأرضية السياسية : وهو نفي الطابع الثوري للفلاحين ومراجعة الفكرة حول هيمنة البروليتاريا في الثورة الديمقراطية •

معيار العام

ان ترجمة العقائديين للمباديء العامة ، تشبه المومياء التي لا حياة فيها ، ويتم جرجرتها ، من فترة تاريخية الى أخرى ؛ ويصبح العام يحتوي نفسه « شيء بحد ذاته » ، ولا يمكن ربطه مع الممارسة العملية الواقعية ، من هذه المنهجية جاء عجز المناشفة لاستيعاب واقع روسيا والعالم ، في بداية القرن العشرين • الا أن العام ليس ذلك الشيء الغيبي ، الخارج في علاقته عن الخاص ، بين حين وآخر • انه قائم هناك دائماءفي العمل الثوري الحي الخلاق • لايكفي أن نعرف جوهر « العام » في النظرية ؛ اذ لابد من

اكتشافه وادراكه في شكلة الخاص الملموس ، في منعطفات التاريخ • وهنا يكف « العام » عن الظهور كمومياء متحجرة ويبقى ، الجوهر الداخلي للعملية ، ويبرز على حقيقته من العملية ، كشيء جديد •

من الضروري ، التأكيد أيضا على وجود الخطر الدائم ، من أن نصبح أسرى « للخاص » ، وأن نسمح لخصوصيته ، أن تحجب عنا القوانين العامة للثورة ؛ وهذا الخطر احد الجذور المنهجية عند مراجعة مبادىء النظرية الماركسية • فقد توقف التحريفيون وتمسكوا بمرحلة تاريخية خاصة ، (الثورة العلمية والتكنولوجية ، « وتحول الرأسمالية » •) ، وتوقفوا عند ظروف قومية واقليمية خاصة • هناك نصوص مختلفة حول « الشيوعية القومية » نجمت أيضا من رفع الخاص الى المطلق •

على كل حال ، يجب التفكير هنا ايضا ، على أن المبالغة في التأكيد على « الخاص » ، واعتباره معارضا « للعام » ، يتحول الى مراجعة للمبادىء كقاعدة عامة ؛ وذلك فقط ، عندما تتوفر ، وتوجد الأسس الطبقية للتحريفية ، التي تخدم ، كقوة دافعة لذلك التعارض • يمكن التغلب ، عادة ، بهذا القدر او ذاك على الأوهام المعاصرة ، وبسرعة ، بالممارسة العملية ، التي من شأنها أن تحدد باستمرار الترابط بين العام والخاص • ولا يقل أهمية ايضا في كل الاحوال ، الوضوح المنهجي في تقييم المعايير الرئيسية لتقرير ماهو الشيء « العام » في العملية الثورية •

هنا ، يأتي في المقام الأول ، واقع أن « العام » له كل الميزات الاساسية للقانون الموضوعي : انه يعبر عن العلاقات الضرورية ، والاساسية التي تتميز ، بالثبات والتكرار • مثال على ذلك ، ان التأكيد على تحالف

الطبقة العاملة ، مع الشغيلة غير البروليتارية هو من قوانين الثورة الاشتراكية ، وهذا مبدأ عام في استراتيجية وتكتيك الحزب الماركسي اللينيني ، وهذا القانون ينهض على أساس التشابه ، في وضع هاتين المجموعتين ، الأمر الذي يترتب عليه قيام علاقة مشتركة حول مصالحهم الحيوية • كما أنه يستند الى واقع ، أن الممارسة العملية ، تملي الوحدة السياسية من أجل المصالح المشتركة ، بالاضافة الى واقع ، أن طبيعة واتجاهات تطور البنية الاجتماعية ـ الطبقية في المجتمع الرأسمالي ، تجعل مثل هذا التحالف ، عنصرا أساسيا من أجل انتصار الثورة • أن أحد الاساليب الفعالة في تقرير القوانين العامة هو التحليل المقارن للثورات الاشتراكية ، حيث يمكن بهذه الوسيلة ، استخلاص السمات المشتركة والعميقة الغور ، والثابتة والمتكررة ، بعيدا ، عن أشكال تلك الثورات الخاصة والفريدة •

ان التحليل المقارن ، قابل للتطبيق ، بشكل خاص ، على تلك الثورات التي سبق وتم انجازها • أما فيما يتعلق بالبلدان التي لم تجر فيها ثورات اشتراكية ، فان الطبيعة العامة للقوانين الثورية ومبادئها ، سوف تبقى كقاعدة ، موضع شك • يمكن القول دائما ، من وجهة النظر التجريدية ، أن الثورات ، التي تم انجازها ، تحوز على درجة محددة من الصلات الوثيقة ، أما تلك الثورات التي ينظر اليها على نطاق أوسع ،فمن الواجب اعتبارها على أن لها قوانين خاصة ، وذات صفة مميزة ، لمجموعة من البلدان ، او لفترة تاريخية محددة ، وليس اكثر من ذلك • انالتحليل المقارن ، يمكن أن يكون مجديا ، لأنه يسمح بترتيب قوانين نضوج ، وتطور الثورات في الماضي ، مع التنبؤ في نفس الوقت ، باحتمالات مجرى

الثورات اللاحقة في المستقبل ؛ وذلك استنادا الى دراسة ممهداتها،وظروفها والاتجاهات في الصراع الطبقي ، في البلدان غير الاشتراكية • اما عند تطبيق ذلك على البلدان الرأسمالية المتطورة ، فان مثل هذه الدراسة تؤكد على أن التحالف بين الطبقة العاملة والشغيلة غير البروليتارية ، في الثورة الاشتراكية ، هذا التحالف له قوة القانون العام لهذه المجموعة من البلدان على حد سواء – مع بعض التعديلات ، بالطبع ، والتي ستتم معالجتها في وقت لاحق •

يتصل « العام » بالكل » وليس ببعض اجزاءه ، وبالتالي ، فان الترابط بين « العام » « والخاص » لايمكن تثبيته ، دون تجاوز القيود الأقليمية والقومية ، وبدون حساب الحركة الديناميكية للكل • مثال على ذلك : يمكن لنا أن نتنبأ باطمئنان ، بان محاولة فرض تطبيق القوانين العامة ، لعملية الانتقال الى الاشتراكية ، على مناطق التحرر الوطني ، سوف تؤدي الى نتائج سلبية ، فيما لو اقتصر نطاق البحث والدراسة على هذه البلدان وحسب • وهنا تكمن جذور الاستنتاج الخاطيء « لفرانز فانون » ، الذي سبق وعالجناه في الفصل الأول • حيث ، توصل هذا المنظر اليساري الراديكالي ، الى نفي الدور التاريخي العالمي ، للطبقة العاملة ، لأنه فصل النضال التحرري الوطني لبلدان العالم الثالث عن عملية الثورة العالمية •

لايمكن التوصل الى ديالكتيك « العام » « والخاص » في أية ثورة اشتراكية ، مالم تؤخذ تلك الثورة ، بوصفها ، عنصر من عناصر الثورة الاشتراكية العالمية للطبقة العاملة • يتبع ذلك ، أنه لايمكن تقرير مسألة

القوانين العامة ، والسمات الخاصة لحركة ثورية في بلد معين ، وبصورة صحيحة ، الا اذا نظر لتلك الثورة على أنها عنصر من عناصر العملية الثورية العالمية •

ان صعوبة استخلاص العام من الخاص، يمكن تفسيرها جزئيا ، بسبب التنوع الكبير في الحياة الاجتماعية ، خاصة في الفترات الثورية • هذا ،على الرغم ، من أنه قد تعزز الحقائق ، ما يتم الوصول اليه من استنتاج حول القوانين العامة : عند تفسير علامات معينة محددة ، وفقا لهذا المفهوم او ذاك، ويتم الاستنتاج بعدها لاعتبار ماتم الوصول اليه ، على أنه قوانين عامة • هذا يعني أن الشيء الهام في البحث الجاد ، ل « العام » « والخاص » ، لايكمن في الحقائق نفسها وحسب ، بل وايضا ، في علاقاتها المترابطة بعضها بالبعض الآخر ، وكذلك في منطقها الموضوعي الداخلي •

يمكن القول : حتى ذلك المنهج القائم على الأدراك الحسي ، لايشكل ضمانات ضد الاستنتاجات الخاطئة ، وذلك ، لأنه الى جانب القوانين العامة التي تلعب دورها ، الا أنه يوجد هناك أيضا ، نزعات موازية ومعارضة وتلعب دورها في العملية الثورية • اذن ، تلك الاستنتاجات سواء كانت ناتجة عن الخطأ ، او تم تمريرها عمدا ، لايمكن اعتبارها قوانين عامة • لنأخذ مثالا على ذلك ؛ مسألة الاتجاه لاستعمال عوامل التخطيط في ظل دولة الاحتكار الرأسمالي ؛ وهذا مايطرحه الاصلاحيون على أنه قانون عام لمسيرة المجتمع نحو الاشتراكية •

يمكن أن يكون هناك ، استثناءات عن القوانين العامة في ظل احوال خاصة ، كتب لينين حول ذلك : فيما لو طرحت هذه المسألة « يصبح

السؤال ، هل يوجد هناك قوانين تاريخية ، مرتبطة بقضية الثورة،ولاتعرف اي استثناء ؟! » عندئذ سيكون الجواب : لاتوجد مثل هذه القوانين • مثل هذه القوانين تطبق فقط على ماهو نموذجي ، أي ماسماه ماركس ، «مثاليا» ،وهذا يعني :الرأسمالية في حالتها الوسطية النموذجية ، العادية[1]،» اذن تقع انحرافات في مجرى التطور التاريخي ، مخالفة للنموذج والسؤال ينشأ ، ماهي دلالة ذلك ومغزاه ؟! ؛ لاتمكن الاجابة ولا يمكن فهم ذلك الا في اطار علاقة ذلك الانحراف وارتباطه بالكل •

الطرح المتماسك للموضوع

ان دراسة ديالكتيك « العام » « والخاص » ، لايدعو الى مجرد استيعاب منطق تركيبة محددة ، أو مجموعة من الحقائق ، ولكن لاستيعاب المنطق الموضوعي للمنهج ، حيث تجد فيه الحقائق المتناقضة مكانها ، وتفسيرا عقلانيا لها •

تجعل النظرة الشاملة لتناول الموضوع ، الأمر ممكنا ، لتجاوز الصعوبات المتصلة بوجود مستويات ، لاحصر لها من « العام » « والخاص »• فما هو عام لعملية محددة ـ الثورة الوطنية مثلا ـ يمكن أن تثبت الحياة ، أنه « خاص » لمجموعة من الثورات ، تنطلق في ظروف تاريخية متشابهة، واكثر من ذلك ،قديثبت ذلك ولكن بدرجة أعلى ، لكل العملية الثورية العالمية • ان منطق المنهج ، يعمل للاحاطة ، بالسلسلة الشاملة ، لمختلف

---

(١) لينين مموعة الأعمال مجلد ٢٨ ص ٢٣٨ •

مستويات « العام » « والخاص » ، وبذلك يحول دون رفع العام المحدود الى مستوى أعلى •

ان الطرح المتماسك ، للثورة الاشتراكية ، ماهو الا ، التقدم نحو منهج يكون في حالة دينماكية ، وهكذا يشكل عملية متحركة • ان العلاقة المتداخلة بين العام ، والخاص ، ليست في حالة سكون ، سواء فيما يتعلق بالحركة الثورية العالمية ككل ، او في الثورة الوطنية ؛ وفي مجرى التطور قد يتحول الخاص الى عام والعكس صحيح •

اكد لينين في مؤلفه « الدولة والثورة » الذي كتبه عشية ثورة اكتوبر الاشتراكية ، أن انتقال مختلف الأقطار من الرأسمالية الى الاشتراكية ، سيحمل معه فيضا من الأشكال السياسية ؛ انما الجوهر ، سيكون واحدا في كل مكان : « ديكتاتورية البروليتاريا » • طرحت ثورة اكتوبر « السوفيتات » ، باعتبارها الشكل الخاص لدكتاتورية البروليتاريا • الا أن المغزى التاريخي باعتبارها فاتحة العصر الثوري ، أضفى فورا ، على السوفيتات ، دورا تجاوز بعيدا حدود الخاص في فترة النهوض الثوري ، الذي ولدته ثورة اكتوبر • فقد اكتسب السوفيتات مضمونا عاما ، بتصورها على أنها ، الشكل الوحيد الممكن ، في ذلك الوقت لديكتاتورية البروليتاريا المظفرة • اعتبر لينين سلطة السوفيتات ، الى جانب ديكتاتورية البروليتاريا ، قاعدة عامة للحركة الشيوعية ، في الوقت الذي بدأ فيه ظهور السوفيتات في كل مكان ، وفي بعض الأقطار ايضا • هذا الواقع كان يبرر ذلك الاستنتاج ويقود اليه • ولجملة من الأسباب ، لم تتحقق امكانية انتصار سلطة السوفيت في الأقطار الأخرى أنئذ ، وبرزت أشكال أخرى لديكتاتورية البروليتاريا ، خلال المراحل التالية ، من عملية الثورة العالمية ، بسبب تغير الظروف •

وللمرة الثانية ، طرحت سلطة السوفيت نفسها ، كشكل خاص الديكتاتورية الطبقة العاملة في روسيا • وبدقة أكثـــر على أنها الطور الاول للثـــورة الاشتراكية العالمية •

ان التداخل بين « العام » « والخاص » ، يبقى ضمن حدود ،ولايوجد مايبرر أي مبالغة حول أهمية ذلك • فهما في اكثر الاحيان ملتقيان بالاطار الخارجي للعالم ، اطار عمل القوانين المحددة ، بينما تبقى القوانين العامة ، اكثر عمقا وثباتا ، وأقل تأثرا بديناميكية البيئة • وفي هذا المجال يظهـــر تأثيرها على مايطرأ من تعديل بهذا القدر أو ذاك •

ان التطبيق هو المعيار ، الذي يتلائم تماما ، مع العلاقة المتداخلة بـين العام والخاص في العملية الثورية • وعند التحليل النهائي تبقى الممارســة العملية هي التي تحسم كل نقاش حو ماهو « عام » وما هو « خاص » • واذا كان الأمر متعلقا بالجانب الاكاديمي فقط لنتيجة المناقشة ، فمن الممكن حينئذ ، الاكتفاء بذلك تاركين كل شيء لتقرره الحياة •

أن العصر الثوري ، يتطلب من الطبقة العاملة ، والاحزاب الماركسية اللينينية في الوقت الحاضر النشاط العملي ؛ كما يتطلب فهما سليما ، لعلاقة العام بالخاص في النضال الطبقي ، لأن ذلك يشكل دلالة سياسية ذات أهمية ملحة • وهذا يحول مسألة المعايير لما هو « خاص » « وعام » في الممارسة ، الى حقل السياسة العملية ، والتي لايمكن أن تبقى خاملة معطلة ، تاركين الأمر للتاريخ ليكدس التجربة الثورية ثـم يقوم بتقسيمها حصصا ، هنـا وهناك ليصبح تعميم التجربة شاملا لكل العالم •

سبق وقدمت تجارب الطبقة الثورية اليوم المعيار لما هو عام وما هو خاص في الصراع الطبقي • انه ليس معيار البرغمائية أي الذرائعية التي ترى أن القضية الهامة ، هي في النجاح الفوري للعمل ، دون أي اعتبار لوسائل انجاز هذا النجاح بكل مايصاحبه من تورط ، ودون أي اعتبار لانجاح البرامج السياسية ذات الأفق المحدود ، تلك ، التي تعيش يومها الراهن بدون مستقبل •

ان قوة وحيوية السياسة الماركسية اللينينية ، تكمن ، في قدرتها على اكتشاف واستنباط المفاتيح للأفاق المنظورة لوضع محدد ، وهي ترتكز على التقييم الدقيق للتجربة الثورية ، وعلى الاستنتاجات النظرية المستفادة، والقائمة على تعميم النتائج الأكثر أهمية لتلك التجربة•ان الخبرة المكتسبة في النظرية ، بالاضافة الى متطلبات الصراع الطبقي ، هذه وتلك تشقان طريقهما عبر الظروف المتنوعة ، التي تعمل فيها الطبقة العاملة واحزابها الشيوعية في البلدان المختلفة ؛ وهذه تشمل اسس ارساء قواعد مجتمع جديد ، بنتيجة عملهم وسياستهم • وكما أشار انجلز « لم يعد هناك ادعاء أنه لابالأرثوذكسية الديماغوغية ، أو بالعقائدية المثالية المتسامية،يوجدبذلك هناك خطة مشتركة ••• تكيف نفسها بحرية لمختلف الظروف المتغيرة لكل أمة على حدة ، ولكل مكان ؛ ومع ذلك تحتفظ بسيماتها الاساسية في كل الاحوال ، وبذلك تؤكد وحدة الهدف ، وتبادل الاساليب العامة ، التي تعتمد في احراز الهدف المشترك لكل منهما » [1] •

نجد في عالمنا المعاصر ، أن الظروف المختلفة التي تعمل في ظلها

---

(١) اعمال كارل ماركس وانجلز ـ الطبعة الروسية المجلد ١٩ ـ ص ١٣٢ •

مختلف الاطراف الوطنية للطبقة العاملة ، وكذلك الاحزاب الماركسية اللينينية ، نجدها اكثر تنوعا ، عما كانت عليه من قبل • ومن هنا تبدو اهمية استيعاب تجارب كافة القوى الثورية وأخذها بعين الاعتبار ، عند وضع الخطة السياسية العامة للنضال •

ان الطبيعة العامة ، للخط السياسي ولنشاط الطبقة العاملة ، في مختلف الاقطار،لم تكن ثمرة جدال تأملي ، بل كانت وفق متطلبات الحركة نفسها•

وكما أشار خالد بكداش الامين العام للحزب الشيوعي السوري في الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية في موسكو ١٩٦٩ ، هذا المجتمع القائم على المصالح ، والوحدة المرتكزة عليه ، انما يعني ، «الارتباط بين الجزء والكل ، بين النظرية والتطبيق ، بين الجديد والقديم • »[٢] • وهذا ما يفترض بشكل مسبق ، التركيب المعقد ، لتجربة كل الاطراف الوطنية ، مع التجربة المكدسة سابقا ؛ وهذا يتجسد كله في المبادىء النظرية •

قوانين الثورة وما يطرأ عليها من تعديلات

ان القوانين العامة ، التي تتحكم في الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، والتي تأكدت صحتها من تجربة البلدان المتفاوتة في مستوى تطورها الاجتماعي ، والاقتصادي ، وبما لها من سمات قومية خاصة ، هذه القوانين، تم تحديدها في الاعلان الصادر عام ١٩٦٧ عن اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية • ان أشكال عمل هذه القوانين اليوم ، في الأوضاع

---

(٢) الاجتماعي العالمي للاحزاب الشيوعية والعملية • موسكو ١٩٦٩ • ص • ٥٦٨ •

الراهنة ، لايمكن أن تبقى نفسها وكما كانت عليه ، عندما حصل شرخ في النظام الامبريالي •

كما لايمكن أن يكون الوضع في البلدان المتطورة ، متماثلا مع ما هو عليه ، في قطاع بلدان التحرر الوطني ، ناهيك عن الفوارق الاساسية ، وماتراكم في هذه البلدان الاخيرة على مختلف العصور من تراكيب مختلفة ، لاتتطابق مع النماذج الكلاسيكية •

اذن ، ماهي ابعاد التعديلات الحاصلة في القوانين الموضوعة للثورة الاشتراكية ، فيما يتعلق بالمرتدين ، والتحريفيين ؟ يرون ، أن الاختلاف في الظروف يشكل أسبابا كافية لمراجعة كل القوانين • فهم يفهمون أن أشكال ماهو خاص ، على أنه نفي لما هو عام ، وعلى أن التغيرات في الظواهر تدل ، على فقدان عنصر الثبات • بالمقابل يرى أصحاب الجمود العقائدي أن القوانين ، والقواعد النظرية ، تحجب الواقع الحقيقي ، في الوقت الذي تبدأ فيه الاسطورة للنموذج العام ، تتواجد بصورة مستقلة عنه • كما يتم ، اعتصار ماهو خاص ، ليصبح انموذجا ميتا بدون حياة • وتبتعد القوانين عن اطار عملية التغير ، والتطور •

قد لاتشكل مجابهة التحريفيين والديماغوغيين مشكلة ، عندما يمكن وضع الحدود ، بين الثابت والمتغير في العملية الثورية ، الا أن هذا ليس واردا بحكم طبيعة العملية الثورية نفسها • ومع ذلك يبقى هناك خطا للحدود الفاصلة • لايجاد هذا الحد الفاصل في الظروف الملموسة ، من حيث الزمان والمكان ، يبقى مهمة تواجهها النظرية الماركسية من جديد ، ومرة تلو الأخرى ، يتم السير بها عبر صراع قاسي ، ضد كل من الاتجاهات

التحريفية والديماجوجية•ان الظروف التي تجري فيها الثورة الاشتراكية، لايمكن أن تكون متصلة بالظروف المحيطة بها فقط ، اي ظروف البيئة المحضة ـ لأنها شيء لايتأثر بمحتوى الثورة ذاتها • كما سبق واشرنا من قبل ، فان ديناميكة العملية الثورية العالمية تغير الوضع باستمرار ، وبصورة متزايدة • هذه التغيرات ، بالاضافة الى السمات القومية المحددة والمتنوعة ، تؤثر أولا وقبل كل شيء على شكل الثورة • على كل حال ، لايقتصر هذا التأثير على الملامح الخارجية المحضة فقط•ولما كان الشكل دائما له محتوى، فان الاشكال التي تنهجها الثورة تؤثر في المضمون في نفس الوقت ؛خاصة عندما تكون التغيرات في الشكل عميقة لأنها تكون قادرة على عملية التأثير ، وعلى بعض الجوانب الملموسة للمحتوى ، وبذلك تخلق معها ، أسس التعديل في قوانين العملية الثورية •

كما سبق ورأينا في وقت سابق ؛ طرأ تعديلات على قوانين الترابط بين الاصلاحات والثورة ، نتيجة التغيرات الحاصلة في الرأسمالية ، بتأثير ضاغط مشترك للثورة العلمية والتكنولوجية ونتائجها الاجتماعية الثورية • وهذا الامر ، يتعلق بالقوانين المتحكمة في العلاقة المتداخلة بين الطبقات في أية ثورة •

كان الفلاحون هم الحليف الرئيسي للطبقة العاملة في الثورات الاشتراكية التي تمت حتى الان•وعلى ذلك فان التحالف بين هاتين الطبقتين بقيادة الطبقة العاملة ، يشكل قانونا لتطور هذه الثورات • وكانت حصة ودور الفلاحين عظيمتين في المرحلة الاولى والثانية للازمة العامة للرأسمالية في كل الاقطار • كما أن الثورات نفسها قد تم انجازها في جانبها الأكبر ،

في اقطار شكل فيها الفلاحون اغلبية السكان • لاشك ، أنه في غالبية بلدان آسيا ، وافريقيا ، واميركا اللاتينية ، سيكون الفلاحون هم الحليف الرئيسي للطبقة العاملة ، في النضال من أجل الاشتراكية • وهذه القضية سوف تلعب دورا هاما في البلدان الرأسمالية المتطورة • نجد في هذا القطاع من العالم ، أن نسبة السكان العاملين في الزراعة تتضاءل باستمرار • في بعض الحالات كانت نسبتهم منخفضة لدرجة توازي ٤ – ٧ ٪ ، يقابل ذلك ، بروز عامل آخر ، هو تنامي ، وتزايد عدد ونفوذ اصحاب الأدمغة التقدمية، أولئك هم العمال ذوي الياقات البيضاء ، خاصة في الحقل التكنيكي •

زاد عدد هذا الطراز من العمال ، خلال العشرين عاما المنصرمة في الولايات المتحدة بنسبة ٨٠٪ ؛ بينما كان في الثلاثينيات ، تعداد هيئة المهندسين ، وموظفي المكاتب ٧ر١٧٪ من مجموع العاملين بأجر في الولايات المتحدة ؛ يقابلها في بريطانيا ١٥٪ ، وحوالي أواسط الستينات ارتفعت النسبة الى ٢٨٪ و ٢٢٪ على التوالي • كما أن تطور الثورة العلمية والتكنولوجية ستزيد اكثر من دورهم وتأثيرهم • هذه الطبقات من السكان العاملين تنجذب وتقترب اكثر وباستمرار نحو الطبقة العاملة ، وذلك تمشيا مع مصالحها • كما أن الفريق التقدمي ، المثقف ، من الموظفين يتجه ليصبح حليفا هاما جدا للطبقة العاملة • كما اصبح تحالف العمال اليدويين ، وذوي الياقات البيضاء ، مع العمال قوة لها وزنها في الكفاح من أجل السلام ، والديمقراطية ، والاشتراكية •

ان التغيرات ، في البنية الاجتماعية للمجتمع الرأسمالي ، قادت الى تعديل في أحد القوانين الاساسية للثورة • حيث تدعم تحالف العمال

والفلاحين ، برافد جديد هو التحالف مع قوى اجتماعية أخرى ، يزداد نموها بسرعة • فالوضع الجديد • يشير الى قانون عام أشمل : • ان انتصار الاشتراكية ، يدعو الى تحالف الطبقة العاملة ، مع الشغيلة العاملة غير البروليتارية •

سيادة البروليتاريا

تشكل سيادة الطبقة العاملة ، احد القوانين الاعظم أهمية ، والمتحكمة في ملامح الحركة الثورية المعاصرة • وهذا أيضا ، قد تأثر بالتغيرات التي جرت في العالم ، خلال العقود القليلة الماضية • فقد تغير تركيب الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، كما تغير مركزها ، حيث كانت طبقة ليس لديها مانخسره سوى قيودها ، أما اليوم فقد أصبحت أحد الاطراف الجبارة للطبقة العاملة العالمية ، والقوة القائدة لتقدم العالم • وقد احرزت من خلال نضالها العنيد ، تحسينا في مستوى معيشتها ، واكتسبت حقوقا اجتماعية وسياسية معينة • كما تزايدت في داخل صفوفها نسبة العمال ذوي المهارة العالية والمتعلمين ؛ وكان هناك زيادة معتبرة في عدد العمال المرتبطين بحقل الخدمات •

الى جانب ذلك ، برز في الحلبة السياسية ، مجموعات اجتماعية جديدة ، لكل منها ، طريقها الخاص ، وآراءها ، ونفسياتها • فقد اصبحت البورجوازية الصغيرة في البلدان النامية اكثر راديكالية بشكل ملحوظ • وفي بعض الاقطار الناميةتقدمت بدرجة احتلت معهامواقع طليعية في الحركة

الثورية محرزة مواقعها هذه ، **على حساب الطبقة العاملة** (١) **قليلة العدد والمفتقرة الى النضـوج السياسي** •

واضح اذن ، أن اشكال ومضمون سيادة الطبقة العاملة في العمليـة الثورية المعاصرة ، بالاضافة الى الى اساليب النضال من أجل ذلك لايمكـن أن تبقى بدون تغيير •

ان تحول الطبقة العاملة لتصبح القوة القائـدة في العملية الثورية في قطاع الرأسمالية المتطـورة ، يتطلب تلك الوثبة في تطـور الوعي السياسي للعمل ، وفي نظرتهم العالمية ، والتي من شأنها أن تقود غالبية الطبقة العاملة بعيدا عن قيـود المطالب الاقتصادية القـديمة ، والتخلص من براثـن الايديولوجية والنفسية للمستهلك ، وأن تضع في مقدمة مطالبها النضاليـة الجماهيرية اليومية ، قضية العدالة الاجتماعية ، وأن تضع حق مساهمتها في ادارة شؤون المجتمع والشروط التي تؤدي لتطور العامل كفرد • ان شكل ومضمون سيادة الطبقة العاملة يتأثران أيضا بالطبيعة الاجتماعية لحلفاءهـا وموقفهم في التركيبة الاجتماعية •

كما أن دور الطبقة العاملة القيادي ، فيما يتعلق بالاقسام التقدمية من الانتلجينسيا ، يختلف عن ذلك الـدور المتعلق بجماهير الفلاحين الاميـين والمتخلفين سياسيا •

---

(١) التشديد من المترجم •

ان مسألة سيادة البروليتاريا في البلدان النامية ، ترتبط دائما بمسألة الروابط بين عناصر البرجوازية الصغيرة الراديكالية ، والطبقة العاملة ،بين الثوريين الديمقراطيين ، والشيوعيين • ان سيادة البروليتاريا ، ليست دائما هي الهدف المنشود ، ولا تكون المرحلة الاولية للتطور باتجاه الاشتراكية• مايجري هو اعادة تشكيل نماذج العملية الثورية • اشار محمد حرمل ، عندما تكلم حول الاحزاب الشيوعية والعمالية في اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي عام ١٩٦٩ ، اشار الى الخط المؤدي الى : • « الاستخفاف بالظواهر الجديدة ، أو محاولة تقليل أهميتها ودلالتها ، والنكوص عن النماذج الكلاسيكية ، والتعلق بالمفاهيم الثابتة والجامدة لسيادة الطبقة العاملة ••• » •

قال محمد حرمل : ـ « بين التطور أن التركيب الاجتماعي للقوى التقدمية قابل للتبدل ويمكن له أن يتحرك ، ويتغير ، ويمتد ويتسع • وهذا بدوره يفرض السؤال حول التحالفات مع هذه القوى ، وفقا لخطوط جديدة ، ويساعد الشيوعيين واكثر اطراف القوى التقدمية تطورا ،للتعاون حول القضايا الرئيسية ، وفقا لقواعد الماركسية • » (١)

هنالك ملامح محددة لمسألة سيادة الطبقة العاملة في اميركا اللاتينية • أشار روميرو أتيرو عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البوليفي ، وهو يتناول الجانب المنهجي لهذه المسألة الى واحدة من الأخطاء الرئيسية التي وقعت في ذلك الجزء من العالم : « فيما يتعلق بالطبقة العاملة ، فان القضية « قد تم تسويتها » ، فهي دائما « تسير في الطليعة » ، ان القوانين الموضوعية

للتطور، قد اختلطت بالوضع الملموس، واستبدلت البداهة الفلسفية، بالتحليل الواقعي ، كما أن القضايا التي مازالت تحتاج الى انجاز قد اعلن عن انجازها » [٢] يشير شيوعيو اميركا اللاتينية ، الى أن تحقيق الطاقات الثورية الكامنة عند الطبقة العاملة ، يتطلب فهما واضحا الى موقعها في الجبهة العريضة ، لمختلف الاتجاهات المناهضة للامبريالية ، ونضالا عنيدا لتحقيق قيادتها • في كثير من بلدان اميركا اللاتينية ، يحتل الجناح اليساري للبورجوازية الصغير الديمقراطية، مواقع عسكرية أساسية وسياسيتها لاتخلو من الضعف الذي تتميز به البورجوازية الصغيرة • الا أنه في أغلب الاحيان نجدها قوة نشيطة تكافح لتثبيت سيطرتها في الحركة الثورية • كتب لويس كورفلان الأمين العام للحزب الشيوعي في التشيلي : ـ « انهم جميعا ثوريون على حد سواء ويجب على الطبقة العاملة أن تركز على الوحدة معهم ، على أن تركز على محاربة أخطاءهم ، كل من الاتجاهين يتنافس من أجل قيادة الحركة ، ولحد ما فان الخصام بينهما فكري • الا أن أي عمل من شأنه أن يؤدي الى تفاقم حدة هذا الخصام بما يترتب عليه من « صراع لتدمير » احد الاتجاهين والمستفيد الوحيد من ذلك هو الامبريالية • » [٣] • ان السبيل لتحقيق سيادة الطبقة العاملة تكمن في النضال الشاق ضد حليف عسكري منافس ، يملك قوة ديمقراطية كبيرة في أوساط البرجوازية الصغيرة الراديكالية، اي الصراع والتعاون معها في وقت واحد •

وهكذا ، فان ادراك الطاقات الثورية الكامنة لدى الطبقة العاملة ، المنبثقة من وضعها في نظام الانتاج الاجتماعي ، وتحقيق سيادة البروليتاريا

في العملية الثورية ، يتناوله التعديل ، وهذا يتوقف على ظروف الزمان والمكان •

موقف التحريفيين

هل هناك حدود للتعديل في الثورة ؟ بالطبع هذه الحدود قائمة ، والاعتراف بها هو الذي يميز المدخل الديالكتيكي للمسألة عن المدخل النسبي • ذلك لأنه على الرغم من كافة الأوضاع الخاصة لمختلف البلدان، فإن الاشتراكية تنهض كضرورة ، ناجمة عن الظروف المشتركة للعصر الراهن من تطور البشرية • تلك هي القواعد الثابتة لعمل القوانين العامة للانتقال الى الاشتراكية• فيمالو فقدت القوانين العامة قوتها فجأة في هذا البلد أو ذاك ، فإن ذلك يعني أن تخرج البلد خارج المجرى العام لتاريخ العالم، الأمر الذي سيتناقض ـ في هذا الحال ـ مع التجربة التاريخية الشاملة للبشرية ، وعن الوضع الاقتصادي والسياسي للعالم ، الذي يبرهن على أن المشاكل الأساسية هي نفسها لكل الشعوب •

فالنسبية [1] تنكر ثبات قوانين الثورة ، وترفض دراسة التعديلات الطارئة لهذه القوانين • وهذا يؤدي الى مراجعة مبادىء النظرية الماركسية اللينينية ، الامر الذي يمكن ملاحظته عند تقييم القوى الدافعة للثورة الاشتراكية •

يرى التحريفون من كل من الاتجاهين اليساري واليميني ، أن التغيرات التي تحدث في البنية الاجتماعية للمجتمع الرأسمالي ، ما هي

---

(١) النسبية هي المادية المثالية (غير الديالكتيكية) المترجم •

الا ذريعة ، من اجل رفض سيادة البروليتاريا ، أي رفض القانون الـذي يحكم ملامح العملية الثورية •

هذا الرفض يشكل الخيط الرئيسي الذي يشد مفاهيم المنظريـــن الصينيين• فنظرية « القرية العالمية » تنيط بالفلاحين دور القوة القائـدة ؛ كما نسمع من الأيديولوجيين الانتهازيين الحديث حول « انحسار » الروح الثورية للطبقة العاملة •

يوافق فريق منهم على أن البروليتاريا تتحول لتندمج في « الطبقـة الوسطى » ، في حين ان آخرين ينظرون حول « حلفا تاريخيا » للقـــوى الطبقية حيث يكون الدور القيادي فيه للانتلجينسيا (للمثقفين المستنيرين)•

الامر المؤكد ، هو أن عدد العمال من ذوي الياقات البيضاء ، •••• من الفنيين وخلافه الخ •• والدور الذي يقومون به، سوف يزداد وسوف تستمر هذه الزيادة بسرعة في مجرى الثورة العلمية والتكنولوجية •ويفوق عددهم في احداث الصناعات المؤتمتة عدد العمال اليدويين • يصفها بيـــير جاكوين ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشوعي الافرنسي ويقول « ان الانتلجينسيا التكنيكية والعلمية اليـــوم ، هي من أوائل الطبقة العاملـــة التكنولوجة في المستقبل ، الا أن الطبقة العاملة الحالية تجسد مستقبلهـــم الاجتماعي وانعتاقهم • »

لاتشكل الانتلجينسيا طبقة مستقلة ، وانما هي قطاع ، من مجتمـــع مؤلف من اكثـر من تركيبه واحدة وبالتالـي ، فان دورهـم الاجتماعـي والسياسي ، يتقرر وفقا لمدى ارتباطهم بالطبقات القائدة في المجتمع •

كما لايمكن معاملتهم ، كمجموعة واحدة ، دون اعتبار للحدود الفاصلة التي تقسمهم الى مجموعات ، حيث ، نجد هذه الجماعات تقف بين القطبين ، بعيدة عن بعضها : فأحد الأقطاب يتماذج مع الاشتراكية في حين أن القطب الآخر يتمازج مع الطبقة العاملة • هذه الجماعات المتمازجة مع طبقات متناحرة ، تقوم في واقع الحال بوظيفة طبقية • ويشير لينين في هذا الصدد بقوله : ـ« لقد سميت الانتلجينسيا ـ المثقفين المستنيرين ـ بهذا الاسم ، لأنهم يعكسون على أكثر مايمكن من الوعي والتصميم والدقة ، ويعبرون في الوقت نفسه ، عن تطور المصالح الطبقية ، والتجمعات السياسية في المجتمع بوجه عام • »[1]

هذا ،مايطرأ من تغييرات في المواقع الاجتماعية انما يجري في أغلب الاحيان ، على تلك المجموعات من الأنتلجينسيا التي تقف بين القطبين • أشار لينين الى أن فئة المثقفين هذه ، في المجتمع الرأسمالي ، تحتل موقعا خاصا ، «يربطون أنفسهم بقدر مع البورجوازية بحكم علاقاتهم واتصالاتهم، ونظرتهم العامة ، •• الخ •• وبمقدار آخر يربطون أنفسهم مع العاملين بأجر ، ذلك لأن النظام الرأسماليبجرد المثقف من موقعه المستقل ،ويحوله الى عامل بأجر ، ويهدد مستوى معيشته بالتخفيض • »[2] • وبهذه الملاحظة حدد لينين اسلوب تقييم المثقفين وتطور اتجاهاتهم : ـ فالمرء لايستطيع أن ينظر الى الأنتلجينسيا بمعزل عن الطبقات الأخرى ، كما

---

(١) لينين مجموعات الأعمال المجلد ٧ ص ٤٥ •
(٢) نفس المرجع المجلد ع ص ٢٠٢ •

عليه أن يرى اتجاه التغير الذي يطرأ على موقعهم ، بدءا من البورجوازية حتى البروليتارية .

ان العلاقة بين الطبقة العاملة والانتلجينسيا المتقدمة ، سوف تكون علاقة اكثر من التحالف على المدى البعيد . الا أنه لايتوجب على المرء أن يتخذ لنفسه آفاقا أبعد عن الواقع كما فعل التحريفي الافرنسي جارودي . ان الاتجاه اليوم ، كما هو الحال عليه في البلدان الرأسمالية المتطورة ،هو جذب وكسب الأقسام ذات الوعي التقدمي من الانتلجينسيا الى جانب الطبقة العاملة . وهذه المسألة تكتسب أهمية بالغة لحركة الطبقة العاملة في عصر الثورة العلمية والتكنولوجية نظرا للدور المتنامي الذي تلعبه الثقافة في حياة المجتمع .

وفي كل الأحوال فان انجاز هذه المهمة غير ممكن بدون اعلاء دور البروليتاريا القيادي في الحركة الثورية . كما سبق وذكرنا فاننا نجد عند عند الأنتلجينسيا جانبا من الضعف السياسي ، ناجم عن وضعها الاجتماعي في النظام الرأسمالي . وجوانب الضعف هذه ، يمكن تجاوزها ، وبناء تحالف نضالي بين العمال والانتلجينسيا ، وكل ذلك بشرط ، أن يتكرس الدور القيادي للطبقة العاملة ، وأن تكون لها السيطرة السياسية .

الطبقة العاملة اليوم

يستخدم التحريفيون معايير ضيقة جداليقرروا مسألة الانتماء للطبقة العاملة . في بعض الاحيان يصنفون من يكسب أجرا ، ويقوم بعملجسدي فيالانتاج مباشرة ، على أنه من الطبقة العاملة . الطبقة العاملة في الأصل،

هي بالطبع المرتبطة بالدرجة الأولى في العمل الجسدي ، الذي مازال سائدا حتى اليوم • الا أن هذا المعيار ليس صحيحا بصورة مطلقة • لقد انتقد ماركس مشرعي المصانع البريطانيين ، لانهم استبعدوا عن عمد ، هيئة المهندسين من تعداد العمال في المصنع في احصائية هدفها التضليل •

ان التطور الاجتماعي والثقافي جنبا الى جنب ، مع التقدم العلمي والتكنيكي ، يساهمون في تعديل معايير الانتماء الى الطبقة العاملة ، نجد في المرحلة الراهنة من الثورة العلمية والتكنولوجية ، أن الطبقة العاملة ، تحتوي على الانتلجينسيا الصناعية الخاصة بها ، ومنها (عمال ضبط وصيانة الآلات الاوتوماتيكية ، والمشرفون على الكمبيوترز ـ وواضعي البرامج • الخ) • تلك التي يتطلب عملها نشاطا ذهنيا ، في التطبيق أولا وقبل كل شيء آخر •

يندمج مع الطبقة العاملة بصورة جزئية ، فئات أخرى من العمال بأجر • وقد أشار لينين الى هذه القضية بالذات عندما تكلم عن بروز « بروليتاريا المهندسين » [1] في المستقبل القريب • يرى التحريفيون الطبقة العاملة بعد أن يضربوا حولها سياجا من التقييم « بالعمل الجسدي » بمعزل عن التغييرات العميقة التي تمت في قوى الانتاج،والبنية الاجتماعية للمجتمع الرأسمالي ، هذا الأمر ، الذي زاد كثيرا من نسبة العمل الذهني الى العمل اليدوي في مجمل النشاط الانتاجي • تستند مقولة التحريفيين حول انحسار دور الطبقة العاملة في الانتاج والحياة الاجتماعية الى معيار واحد هو انتماء الطبقة العاملة ، وهذا لا أساس له من الصحة ، وعلى وجه

---

(١) لينين ـ متفرقات مجلد ٣٦ الطبعة الروسية ص ٢١٣ •

التحديد مقولتهم ، حول طبيعة العمل (أي الجسدي مقارن بالعمل الذهني)• عندما يشتري الرأسمالي قوة العمل ، فانه يعتصر فائض القيمة ، باستنزاف كلا من الطاقة الجسدية والذهنية للعامل • ونسبة العمل الذهني الى العمل الجسدي في نشاط العامل ، تعتمد على مستوى القوى المنتجة في المجتمع ، وهذا المستوى ينعكس أيضا ، على المستوى العام الثقافي والمهني للعامل•

يصرح هربرت ماركوز ، الفيلسوف الأميركي ، وهو يرفض نص المقولة الماركسية اللينينية حول دور البروليتاريا التاريخي العالمي ، قائلا :ـ ان الذي يجري اليوم« هو عملية دمج الطبقة العاملة المنظمة (وليس المنظمة وحسب) في صلب النظام الرأسمالي المتقدم • »[1] • وعلى ذلك تصبح عنده التناقضات الحادة في الرأسمالية المعاصرة خارجة عن اطار العلاقات الطبقية • ووفقا لما يراه ماركوز ، فان الطبقة المرتبطة بالقوى الانتاجية المعاصرة ، لم تعد موضع قهر بعد الآن • وهذا الاستنتاج ، ينبثق مباشرة من جهل المؤلف لأحوال وحياة الطبقة العاملة ونضالها •

ان المعتقدات التحريفية ، هي ثمرة الأفكار البدائية حول الثورية • فهم يغضون الطرف عن العمليات الجارية في العالم ، وعن الطاقة الثورية الكامنة في صلب النظام لااشتراكي العالمي ، ـ الذي يشكل القواعدالاساسية ومصدر الابداع الرئيسي للقوة الجبارة للطبقة العاملة العالمية •

هناك اغفال للمفهوم الاصيل الصافي للثورية ، في مجرى التطور التاريخي • وهذا يشمل اليوم ، النشاط الخلاق للشغيلة ، الذين جعلوا

---

(١) هربرت ماركوز . ـ اطروحة التحرر ص (١٤) •

هدفهم التحويل الثوري للعالم • ان الثورة لا تنفجر لتدمير النظام القديم والاستيلاء على السلطة فقط : بل تحمل في احشاءها حلا بناء للمشاكل المطروحة • فاذا لم يتم حل هذه المشاكل ، على النحو الذي اكده لينين « ستبقى النجاحات والانتصارات ، بما فيها ازاحة المستغلين ، والردع العسكري ، للامبريالية العالمية ، كل ذلك سيبقى دون جدوى ، وسوف تصبح الردة الى الخلف ، أمرا حتميا • » (١)

تزايدت في أيامنا الراهنة ، أهمية المهام البناءة لعملية الثورة العالمية بصورة كبيرة • كما أن التطبيق الناجح لها ، هو سبيل قلب المقاييس لصالح قوى الاشتراكية ، وسيبقى هذا الأمر لاغناء عنه أبدا •

وفقا لمعتقدات التحريفيين ، يتقرر الطابع الثوري للطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية بصورة مطلقة ، بمقدار التدهور الخطير في وضعها الاقتصادي • حقا ان الطبقة العاملة في ظل الرأسمالية هي موضع استغلال بشع ، يجعلها تحمل على كاهلها عبء أزمات البطالة ، والتضخم ، وتسريع الانتاج وفقدان الطمأنينة • كما يبقى مستوى معيشة العمال ، دائما ، ادنى من الامكانيات الفعلية التي يجعلها تطور القوى المنتجة في المجتمع الرأسمالي، الا أن المصدر الرئيسي للروح الثورية عند الطبقة العاملة ، يكمن في موقعها من علاقات الانتاج في النظام الرأسمالي ، وتناقض مصالحها الحيوية من كافة جهاز الرأسمالية • أما الاشباع الجزئي للمطالب الاقتصادية الملحة ، من شأنه أن يشدد من حدة هذا التناقض فقط •

---

(١) لينين الأعمال الكاملة • الطبعة الروسية مجلد ٤٨ ص ٢٨ •
« وهذا بالضبط ما نشهده ويجري اليوم في العالم الثالث بما فيه البلاد العربية» المترجم

لذلك ، فان التغيرات في وضع وتركيب الطبقة العاملة ، لاتغير من صحة القواعد العامة ، للطابع الثوري للطبقة العاملة •

يشوه التحريفيون اليساريون ، واليمينيون على حد سواء كما يصورون بشكل مبالغ فيه ، الملامح الجديدة للبناء الاجتماعي للمجتمع حيث تجري معارضة « الخاص » والعام » ، ورفض المبادىء النظرية للثورة الاشتراكية ، أما فيما يتعلق بالمشاكل الحقيقية ، التي يجب تناولها في تطوير النظرية الماركسية ، فما على هذه ، الا أن تفهم الملامح الجديدة للمرحلة الراهنة ، وتعمل على تطوير اكبر ، للقواعد العامة الأساسية ، والى الحد من التعديل في قوانين العملية الثورية حتى تصبح بحجم خرم الابرة ، هذه هي المسألة ببساطة •

انماط الثورة

ان مسألة « العام » و « الخاص » في العملية الثورية ، تقود الى مسألة تصنيف نمط طابع الثورة الاشتراكية •

يستخدم التحريفيون في الغالب مفهوم « نماذج » الثورة ، هذا المفهوم يخدم الانتهازيين اليمينيين كوسيلة لنفي السمات العالمية للثورة الاشتراكية• فهم يزعمون أن كل بلد ، أو مجموعة من البلدان ،لها « نموذجها » الخاص في الثورة • وهذا بدوره يقود الى أنكار الصحة الدائمة لقوانين الثورة الاشتراكية • فمثلا ، يجري الحديث عن « نموذج » ، يربط الاشتراكية بالديمقراطية ؛ وبالتالي يفترض ضمنا أن الثورات في الماضي لم تكن

ديمقراطية • كما أن ذلك يؤدي في نفس الوقت ، بالضرورة الى وضع ديكتاتورية الطبقة العاملة موضع تساؤل • وعلى هذا النحو ، يفتح الباب واسعا ، أمام المفاهيم الاصلاحية لتطوير الاشتراكية و « الديمقراطية الاشتراكية » ، في حين أن الثوريين اليساريين يستعملون هذا الاصطلاح أيضا ، مرددين بصورة ديماغوجية ، أن التجربة المحددة تصلح بصورة مطلقة على النطاق العالمي •

في الوقت الذي نرفض فيه الاستعمال الفضفاض ، الذي وضع من أجله مفهوم « نماذج » فان ترتيبات الثورات الاشتراكية الى انماط ، يبقى له دلالة ايجابية • على كل حال ، تضمن برنامج الشيوعية العالمية مثل هذا الترتيب •

لقد جرى التمييز بين ثلاث انماط من الثورة : ـ الأول للبلدان الرأسمالية المتطورة ، حيث تتوفر امكانية « الانتقال المباشر لديكتاتورية البروليتاريا » ؛ الثاني ، لبلدان رأسمالية على مستوى متوسط من التطور ، حيث يمكن أن تنمو وتتحول الثورة البورجوازية الديمقراطية بسرعة نسبية الى الاشتراكية ، أو حيث يمكن أن تندلع ثورة بروليتارية بمحتوى بورجوازي ديمقراطي ملموس • والثالثة للمستعمرات الكولونية ، وشبه المستعمرات ، والمحميات ، حيث تطورت فيها عناصر جنينية صناعية ، ومن هنا يصبح الانتقال الى ديكتاتورية الطبقة العاملة ، يتطلب توفير سلسلة كل المراحل التحضيرية • الى جانب ذلك كله ورد ذكر امكانية طريق التطور اللارأسمالي للبلدان المتخلفة اقتصاديا ، حيث لانجد عمالا مأجورين

الا بصعوبة ، وقد لايوجد ذلك أصلا ، وحيث يكون الموضوع الأول للنضال هو التحرر الوطني •

يمكن في الوقت الراهن ، وبعد تجربة الثورة الاشتراكية الظافرة ، وضع ترتيب اكثر دقة وتحديدا • أصبح اليوم من الممكن ، رؤية وفهم السمات الخاصة ، لانضاج وتطوير الثورة الاشتراكية على نحو انضل ، لا لبلد واحد ، بل لمجموعة من البلدان المتماثلة في سماتها على مدى العصر الحديث •

تأصلت الجذور اليوم في علم الماركسية ، لادراك اهمية شكل الثورة، الذي يعكس السمات المحددة للعملية الثورية ، في بلدان معينة • وعلى كل حال ، سبق واشرنا من قبل ، أن الخصائص المحددة للعملية الثورية في مختلف المراحل التاريخية للعصر ، تتجاوز حدود الشكل ، مؤثرة في بعض الجوانب الأساسية للمحتوى • وهذه العناصر الاكثر عمقا تتعلق غالبا لا على الخصائص القومية للبلدان ، بل على خصائص تطور الثورة في مختلف مراحل العملية الثورية العالمية •

اذا استندنا الى هذه الخصائص الأرقى ترتيبا ، واتخذنا منها قواعد ، يمكن عندها ترتيب الثورة الى عدة أنواع •

ان الثورة الاشتراكية هي من المظاهر الواضحة لوحدة تعدد الأنماط• قدمت الحياة ، وبالتأكيد سوف تستمر في تقديم ذلك في المستقبل ايضا ، لانماط مختلفة من الثورة الاشتراكية • أحد هذه الأنماط الأولى ثورة اكتوبر ، بكل سماتها المناسبة لها • اشار لينين ، الى أن ثورة اكتوبر لها

بعض السمات المناسبة على نطاق العالم ، وهذه السمات ، ماهي الا تعبير عن القوانين العامة ، في عملية الانتقال الى الاشتراكية • ومن المؤكد أن تتكرر القوانين العامة في كل البلدان •

كما أن ثورة اكتوبر ، تحمل في نفس الوقت ، بصمات الزمان ، والمكان ، للخصائص التاريخية ، لروسيا ؛ وللأزمة العامة الأولى للنظام الرأسمالي • اما في البلدان الأوروبية ، فقد خرج منها ثورات من نوع مختلف ، تتميز بعدة مراحل من التطور ، وفترة زمنية اطول ؛ بالمقارنة ، من اجل تثبيت ديكتاتورية البروليتاريا ، وربط مهمات الاشتراكية،بمهمات النضال في سبيل الديمقراطية العامة وضد الفاشية •

ـ كن للثورة الاشتراكية في الصين ، وكوريا ، وفيتنام ، وكوبا ، سمات مميزة يمكن القول ،أن الطريق مازال مهيئا ،في البلدان الرأسمالية، لنمط آخر مختلف ، من الثورة الاشتراكية ، وهذا ينمو من خلال تحولات ديمقراطية جذرية ، تدريجية ، بمقارنتها بغيرها •

سوف تشق البلدان التي خلعت عنها نير الاضطهاد الاستعماري ، طريقا فذا نحو الاشتراكية ، بعد أن شقت سبيل التطور اللارأسمالي • علينا أن نتذكر ، أنه لايوجد هناك نمط واحد ، مفرد ، للثورة لكل البلدان • ومع ذلك ، فان الثورة في كل بلد ، سوف تبقى دائما جزء من عملية الثورة العالمية ؛ بعد أن انطلقت شرارتها الأولى مع ثورة اكتوبر العظمى • ومن هنا يحمل كل نمط من انماط الثورة الاشتراكية ، بالاضافة الى سماته الخاصة المميزة ، يحمل ايضا ملامح مشتركة لكل الانماط •

النظرية والاسلوب

ان ديالكتيك العام والخاص ، يعكس ، أحد ، اهم السمات الاساسية للاسلوب الماركسي اللينيني • ان نظرية الثورة الاشتراكية معنية بالقوانين العامة للانتقال الثوري ، من الرأسمالية الى الاشتراكية • من المفهوم أن الاسلوب الماركسي اللينيني ، هو اسلوب التقييم والادراك العلمي للواقع ، ثم التحويل الثوري لهذا الواقع • عندما يتعلق الامر بقرار الاسلوب ، فان التركيز ، لايقع على ما هو عام ، كما هو الحال في النظرية ، بل يقع على التطبيق ، في وضع محدد ماديا ، تقاتل فيه الطبقة العاملة وحزبها من اجل اهدافها الموضوعية •

ان وحدة العام والخاص ، في العملية الثورية ، تعبر عن نفسها في وحدة النظرية والاسلوب للماركسية اللينينية ، ولا يوجد فرق بينهما من حيث الجوهر • لقد عبر انجلز عن الفحوى الدايلكتيكية لهما بدقة ، في صيغته الشهيرة التي أغرم لينين بترديدها : وهي : « ان نظريتنا ليست جامدة (دوغما) بل هي مرشد للعمل » • كما أن الاسلوب الماركسي ، ليس مجموعة من القواعد ، اتفق عليها اعتباطا ، بل هي نظام لوجهات نظر متناغمة ، انها الايديولوجية العلمية للطبقة المتقدمة • ان الفرق بين النظرية والاسلوب ، هو كالفرق بين وجهي عملة واحدة • الفرق بين وجهي مبدأ واحد • فالأمر السائد في النظرية هو ذلك الوجه الذي يعكس الواقع معبر عنه بمنطق المفهوم العلمي ، اما الاسلوب ، فيتناول اعادة ذلك الى الواقع ثانية ، من خلال العلاقة النشيطة بينه وبين الطبقة الثورية وحزبها ، الذي يستخدم المعرفة المكدسة كوسيلة لاعادة بناء العالم • وفي الماركسية

اللينينية ، يندمج هذان الوجهان في كل واحد ، ويصبح من المستحيل ، أن تفكر بواحد دون الآخر ؛ فاذا تم الفصل بين الجانب النظري والأسلوب ، تتحول النظريـة الى دوغما ؛ ذلك لأنـه في مثل هذا الحال تختفي صلـة الربط الحي بين نظام عملية الادراك وبين الممارسة الواقعية المتطورة •

ـ عندما تصبـح النظرية مستقلة عن الممارسـة ، يضحي وجودهـا مجرد احلام مضللة ، وعندئذ لاتخضع لعملية التحقق من صحتها الدائمة، من خلال التجربة التاريخية ، تلك التجربة التي تشكل المصدر الوحيد ، لتزويد النظرية بالمادة الحية اللازمة لبناءها،بعبارة أخرى ، يخدم الاسلوب كمصدر لتطور النظرية • لأنه يضعها موضـع المحك مع الواقع المتغـير ، ويسلط الضوء على الفرضيات الآيلة للزوال ، والتي لم يكتمل نضجها بعد ، كما أنه يطـرح الحاجة الى بنـاء مفاهيم جديـدة تلائم ظواهر العمليـات الجديدة ان الذي يزود النظرية بالحياة ، هو ، ذلك العمل المتواصل مع بروز التناقضات ، وحلها في بوتقة الممارسة •

ـ عندما ، تكف النظرية عن العمل كاسلوب ثوري او آخر ، فمعنى ذلك ، أن صلة النظرية مع الممارسة قد فصمت ، وبذلك تبقى المفاهيـم كما كانت عليه في الماضي ، حقائق جوهرية مطلقة ، تماما كما هو الحـال في الافلاطونية ، التي فهمت العالم على أنه تجسيد للافكار • كما أن عزل النظرية عن تناقضات النضال العملي ، يجعل العقائدية ، تخلق وهما حول الوضوح الكامل لكافة القضايا ، وبالتالي الحيلولة دون السعي الى الحـلول النظرية والسياسية الصحيحة ، وهذه لايمكن التوصل اليها ، دون العودة الى الممارسة ، والسير في الاتجاه الذي يحدده ويقدمه العمل للفكر • ان

النظرية التي تحولت الى مجموعة من العقائد الجامدة ، معادية للحقائق وللاحداث ، التي تتماثل مع تلك العقائد الجامدة •

تماما كما جاء في القصة : عندما طلب العالم الفلكي الالماني كيرشنر في القرن السابع عشر ، من المسيحيين الجزويت وكان على نزاع معهم طلب اليهم أن ينظروا بواسطة التلسكوب الى البقع الشمسية ، فرفضوا ذلك ، بدعوى أن مؤلفات ارسطوطاليس لم تتضمن أي ذكر لهذه البقع الشمسية!!

ـ ان الأذى الذي يترتب على الدوغما النظرية ، يكمن في تحريمها للحقائق التي لاتتماثل مع الافكار المطلقة ، او المفاهيم التي مازالت في حاجة لاثبات وتأكيد •

ان الخطر الدوغمائي،يحول بين النظرية ، وبين قدرة الطبقة الثورية المتقدمة ، للاستفادة من النظرية كسلاح يساعد على رؤية واستيعاب العالم على حقيقته•ومن هنا ينشأ فراغ،سرعان ماتملأه الافكار اليمينية واليسارية التحريفية ، التي يطرحها « منظرون » ، لاهم لهم سوى التقدم بالحلول الخاطئة للمشاكل الجديدة •

فالنظرية ، بدون الاسلوب ، محكوم عليها بالفشل ، وبدلا من أن تكون قوة دافعة للحركة الثورية ، تصبح عائقا لها • لاشيء يرقى بالنظرية الى مستوى العلم الثوري ، سوى وحدتها مع الاسلوب • يتم نسج وحياكة الاسلوب في معمل النظرية ، وبعد ذلك تتقرر السمات المميزة للنظرية : وهي :

ـ الطابع العلمي للنظرية ، وبمعنى آخر ، الانسجام والتأثير المتبادل بين عملية الادراك وبين الواقع المتغير ؛ والطريق الى ذلك هو الاسلوب •

ـ قوة الخلق والابداع ، وهذه ثمرة الاعتماد المتبادل بين الفكـــر والعمل في الحركة الثورية ، الأمر الذي يحول بين النظرية وبين سقوطها في دائرة مغلقة لأن النظرية المبدعة تتفتـــح على المشاكل التي تطرحهـــا الممارسة وبذلك تستطيع أن تلعب دورا فعالا تجاه هذه المشاكل •

ـ فعاليتهـا ، ومعنى ذلـــك قدرتها على التأثـير في مجرى العمليـة الثورية ، عندما تصبح النظرية مستوعبة لدى الشعب ، فتكون بذلك سلاحا ايديولوجيا للطبقة العاملة •

ـ تحزبها : اي قدرة النظرية على تصوير الواقع ، من وجهة نظر مواقع القوى الاجتماعية المتقدمة ، التي تمثل الاتجاهات التقدمية في حركة التاريخ • وعندما يصبح من الممكن ، أن تكون النظرية ، جزء من الممارسة النضالية لتلك القوى ، فان الاسلوب الثوري ، يجعل الأمر ممكنا في نفس الوقت لرؤية وادراك التاريـــخ في حركته ؛ وبذلك تتوفـــر الشروط والمادة اللازمة لمحاربة الاتجاهات التحريفية •

الاسلوب والنظرية

كل ماسبق وذكرناه يشكـــل جانبا ، اما الجانب الآخر فهو اسلـوب التعاليم الماركسية اللينينية حول الثورة ، لانه لايمكن فصله عن النظرية ، فالصلة بينهما قائمة بالاتجاهين •

هذه التعاليم تحقق وظيفتها فيما يتصل بالاسلوب الثوري للتفكـير ، وفي العمل الثوري • ذلك بفضل ، أن النظرية الثورية ، جزء من ذلـــك

الجوهر للعملية الثورية على وجه التحديد • يفقد الاسلوب مضمونه عندما ينسلخ عن النظرية لأنه يتحول بذلك الى مجرد حيلة ، وخداع لمفاهيم اعتباطية ، وبذلك يكف عن كونه يتضمن نقاط موضوعية ، يمكن الرجوع اليها في توضيح الاستراتيجية والتكتيك للنضال الثوري ، ويتحول الى اداة تخدم القضايا الذاتية والانتقائية • ان المباديء الاساسية في الاسلوب تضرب جذورها عميقة ، في كل مايتصل بالاستنتاجات النظرية •

المبدأ الأساسي في الاسلوب ، ـ اي تناوله المشاكل بروح ثورية ـ يجد تعبيرا عنه ، في استحالة المصالحة مع اي شكل من اشكال الاستغلال والاضطهاد ، وفي كل الاحوال فانه يضفي روح الصفاء على الاشكال التي يتخذها • ولاستكمال هذا الاسلوب لابد من تقييم الأوضاع والاحداث من مواقع ثورية •

كان لينين وهو يدين الرفض الاصلاحي للثورة ، الذي يستند الى عوامل مرتبطة بالتطبيق العملي ، كان ينتقد بنفس القوة والوقت ، اسلوب اللعب على الثورة ، والموقف اللامبالي منها ، والذي يستخف بالعقل • في هذا الصدد كتب لينين يقول : « غالبا ماتعرض الثوريون الى زلة فاحشة عندما كانوا يكتبون كلمة « الثورة » بالحروف الكبير ، معتقدين بذلك أنهم يتساءون بالثورة الى شيء يشبه التقديس ، وكانوا بذلك يفقدون عقولهم ، كما يفقدون قدرتهم على معرفة واستشفاف النطاق الذي يجب أن يعملوا فيه وهم على قدرة لوزن وتقييم الأمور باعصاب باردة ، بعيدة عن العواطف الى اقصى حد ، ليعملوا باسلوب ثوري في اللحظة والظروف

الملائمة ومن اجل معرفة الاطار الذي يتوجب عليهم فيه الاستدارة نحو الاعمال الاصلاحية • » [1]

تتطلب الثورية ، تفكيرا علميا ونظريا • لخص لينين ذلك بقوله : « الثورة ، علم عميق ، صعب ، ومعقد » • [1] فهي تحتوي على هضم واستيعاب التجربة النضالية ، والقدرة على التثبيت بدقة من الروابط بين القوى الطبقية وبعد ذلك يأتي تقرير الاشكال العملية المناسبة للوضع ، بما فيها القدرة على الجمع والسيطرة على القوى الثورية وقيادتها • ان كل كل ذلك ، يفترض بشكل مسبق ، توفر الوضوح النظري حول محتوى العصر ، وفحوى الاحداث الجارية ، كما يتطلب معرفة القوى الاجتماعية التي تملك القدرة على انجاز الثورة • بكلمة : تتطلب الممارسة الثورية ، نظرية ثورية •

ننتقل الآن ، الى مبدأ آخر في الاسلوب ، ذلك هو التقييم للاحداث الاجتماعية من زاوية طبقية • وحول ذلك أشار لينين الى : « كان الشعب دائما فريسة للتضليل وخداع النفس في السياسة ، ولسوف يبقى كذلك ، الى أن يتعلم الناس اسلوب البحث لاكتشاف مصالح هذه الطبقة ، او تلك ، وراء كل سلوك اخلاقي وديني وسياسي،وغير ذلك من اشكال التصريحات والوعود • » [2] ان الاستراتيجية الثورية تفترض بشكل مسبق توفر القدرة لاكتشاف وتوعية القوى الطبقية ، جنبا الى جنب مع أخذ الموقف الانتقادي لنظام الاستغلال ، تلك الطبقات التي تستطيع بحكم موقعها

---

(١) لينين المؤلفات الكاملة المجلد ٣٣ ص ١١١ •

(٢) لينين المؤلفات الكاملة مجلد ٢٧ ص ١٩٨ •

الاجتماعي ، اكتساح القوى القديمة لتخلق مجتمعا جديدا. هذا هو المدخل الطبقي الذي ينشأ مباشرة مع الاستنتاجات النظرية حول الدور التاريخي العالمي للطبقة العاملة • منذ أن تأكد نظريا، أن البروليتاريا مدعوة لتخليص المجتمع من الاستغلال والاضطهاد الاجتماعي ، أصبح الاقتراب من مواقع الطبقة العاملة ، يشكل المدخل التقدمي عند تناول القضايا الاجتماعية • وفي هذا المجال تستخدم النظرية كتجسيد مادي للاسلوب •

ان الأمر الذي يستحيل فصله عن المنهجية في الماركسية اللينينية ، هو مبدأ الأممية ، وهذا بدوره مرتبط بالنظرية ، ويبين الطابع العالمي لنضال البروليتاريا الطبقي ، انه الوحدة الاساسية للثورة الاشتراكية العالمية • تشير النظرية الى مسألة المواجهة العالمية ، والى تقييم الترابط بين القوى على النطاق العالمي ، ومن هنا لابد من التنسيق الاستراتيجي لنشاط اطراف الثورة الوطنية من اجل الوصول الى الاهداف المشتركة •

ان كل ماسبق وذكرناه ، ينطبق ايضا على مباديء الاساليب الثورية بمعانيها الاوسع والابعد ، الفلسفية منها ، والاجتماعية ، فالواقعية السياسية ، ومدى التأثير ، والديناميكية في الفكر والنشاط السياسي ، والطابع الديالكتيكي ـ كل ذلك يتجسد في النظرية بشكل مادي ملموس • تحدد لنظرية تلك المميزات للاسلوب الثوري •

الثبات المبدئي :

وهذا يتقرر وفقا للقوانين الموضوعية للعملية الثورية ، ولا يتغير اعتمادا على الوضع السياسي •

ـ الفعالية : وهي نتيجة للاتجاه الصحيح الذي يوفره الاسلوب الثوري المبني على الاستنتاجات النظرية ، وهذه الفعالية ، هي ماتتزود به الطبقة العاملة واحزابها الماركسية اللينينية ، في ظروف المد والانحسار للصراع الطبقي •

ـ الطابع العالمي : وهذه نتيجة مترتبة على صحة النظرية الماركسية التي تنتخب ، كل ماهو وطني قومي خاص ، من وجهة النظر التاريخية في القوانين العامة للتطور الثوري ،وتجعلمنه قاعدة أساسية للاسلوب المنهجي•

نجد اليوم ، العديد من المسائل الجديدة ، والمحددة ، التي يتوجب علينا أن نعمل لحلها بانفسنا ، ونحن مسلحين بماركس ولينين ؛ اللذان زودا الطبقة العاملة ، وهي القوة الثورية بالقواعد الضرورية ، ألا وهي مبادىء الوصول الى الحقيقة • وقد ميز لينين ، وفقا لهذه القواعد ،الملامح، والاتجاهات الرئيسية للعصر الراهن ، وبالتالي ، فان تراث لينين ، يستمر ليخدم الماركسيين ، باعتباره يشكل القواعد العلمية للسعي وراء اجوبة للاسئلة الجديدة المطروحة •

ان وحدة النظرية والمنهج ، والتأثير المتبادل بينهما ، يشكلان ضمانة يعتمد عليها ؛ ضد كل من الاستخفاف بما يسمى « الفكر المحض » ، وهذا عاجز عن حل المشاكل الهامة الحيوية ، للنضال الثوري ؛ وضد ما يسمى « الاسلوب العملي» ، وهذا بدوره ضيق الأفق ويفتقر الى المبادىء ،ويسير متلمسا طريقه ، بالاستناد الى التجربة والخطأ • علينا أن ندرك أن الفكر العلمي ، والمنهج النقدي الثوري ، يشكلان معا بناء واحدا في النظرية الماركسية اللينينية ، ذلك هو : الممارسة العملية المدروسة والتفكير الفعال •

بالنظر الى الاندغام الديالكتيكي بين النظرية والمنهج، وبين الفكر والممارسة، وبين العام والخاص ؛ فان المبدأ الماركسي اللينيني يحوك نسيجه من خلال العملية التاريخية ، ويتطور عن طريق الخلق المبدع ، وفقا لهذه القواعد •

تحليل الوضع :

تتجسد وحدة النظرية والمنهج ، في تحليل الوضع الملموس بشكل محدد • بذلك ، يتم الربط بين التجربة الثورية اليوم وهي تعكس الزمان والمكان المحددين ، مع التجربة العلمية للماضي • لاتستطيع النظرية أن تحيط بالعملية الثورية في كل شمولها ، وفي كل تنوعها وأشكالها • تستبع النظرية «في احسن الاحوال أن تحدد الخطوط الرئيسية العامة ، **وتقترب**(١) فقط لتعانق الحياة بكل ما فيها من تعقيدات [٢] » • ومن هنا فان الاسلوب الوحيد للتطبيق العملي للنظرية يكمن في تحليل ، « ظاهرة معينة اثناء وجودها وتطورها بشكل ملموس » •

« ان العقائدية الجامدة تحاول تقديم التقديرات ، وتبقى ترددها، دون اجراء هذا التحليل •»[٣] هذه الكلمات اللينينية الطابع، هي مثال عبقري، للتناغم الخلاق بين النظرية والممارسة ، وهي نموذج للخصومة التي لامصالحة معها ، مع العقائدين الجامدين والارثوذكسيين ؛ كما أن رسائل لينين « حول التكتيك » تشكل مثلا بارزا للروح اللينينية الخلاقة التي اولى

---

(١) التشديد في النص الاصلي •

(٢) لينين مجموعة الأعمال مجلد ٢٤ ص ٥٤ •

(٣) لينين مجموعة الأعمال مجلد ٢٢ ص ٣٠٩ •

الشيوعيون اليها الوفاء في الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ ، عند مخاطبتهم الذكرى المؤية لميلاد فلاديمير ايلتش لينين •

من المؤكد ، أن الصيغ العامة، تحدد الخطوط العامة للمهمات وحسب، وهذا في أحسن الاحوال ؛ وهذه الخطوط العامة ، يطرأ عليها تعديلات ، لابد منها بضغط الظروف الاقتصادية والسياسية الملموسة ، في كل فترة من فترات التاريخ • كان لينين يعارض باستمرار كل محاولة لجعل المقترحات التي يصيغها بشكل عام ، على أنها قوانين •

في كل الحالات لايمكن اعتبار التحليل ، على أنه بحث يتلمس الطريق بدون معايير ، لها اهميتها ومنذ البداية • لو كان الامر على هذا النحو ؛ تصبح النظرية ترفا فائضا • كما يفترض التحليل بشكل مسبق ، وجود مباديء منهجية عامة ، ليس ذلك وحسب ، بل ووجود مسائل ايديولوجية عامة يمكن الرجوع اليها وبدون ذلك ، يصبح من المستحيل الاحاطة الكاملة بمنطق وضع معين ، وفهمه على أنه مرحلة من مراحل العملية التاريخية ، وانه حلقة واحدة من حلقات نظام العلاقات على سطح المعمورة • ان هدف التحليل هو الوصول باحكام الى : « الخاص » من خلال « العام » ، وهذا بحد ذاته تجميع لتجارب ثورية تنعكس فيها القوانين الثورية • تبقى التجربة العامة ممهدا وعنصرا هاما في عملية التحليل • كما أن اهمال النظرية يقود الى التقليل من شأن التحليل ، ليصبح على مستوى تسجيل الواقع والاحداث فقط •

ان أية حالة محددة ، تتميز بملامح لا دلالة لها من حيث الجوهر

اي بما هو عام ، وبالتالي فان احدى مهام التحليل هي الحيلولة دون أن يقوم هذا العامل بدور مؤثر عند تقييم الوضع وصياغة السياسة • ومن هنا لايستطيع المرء أن يمضي بدون الحقائق العامة للماركسية اللينينية التي تتمخض فيها التجربة ، والتي تؤكدها الحياة ، وبعد غربلتها على ضوء الاحداث العالمية ودلالتها •

يقول رودني ارسموندي ، السكرتير الاول للحزب الشيوعي في أرغواي : ـ « أي تناول آخر للموضوع ، سوف يقودنا الى النسبية • بمعنى : ان نعتبر ممارسات الثورة الاشتراكية العالمية على أنها مجموع للتجارب المحلية ، الأمر الذي يؤدي الى نفي الطبيعة العالمية للنظرية الماركسية اللينينية ••• لايمكن طرح كافة الآراء ، التي تفسرها الأسباب الموضوعية من جانب واحد ، ثم نسميها ماركسية لينينية • » [1]

ان أي تجربة ثورية فعلية في وضع معين ، تشكل لحظة من تاريخ العملية الثورية العالمية • والتقييم الصحيح لمثل هذه اللحظة ، والسياسة المبنية على هذا التقييم ، لايمكن التفكير بها بدون نظرية ، تنهض [2] من المجموع الكلي للتجربة الثورية ، والتفكير الثوري لكافة الاقطار في العالم » [3] •

ان قضية التحليل هي أولا وأخيرا شكل من التطبيق الخلاق للاستنتاجات النظرية لاوضاع محددة • كما يتم انجاز مهمة أخرى في الوقت نفسه ، وهكذا يتم تلقيح البذور بالشكل الذي يزيد من اغناء محتوى النظرية • وهذه مهمة عملية التحليل لواقع متغير أبدا ، حيث يتم التفاعل الحي بين النظرية والممارسة للحركة الثورية للطبقة العاملة •

---

(١) اجتماع الأحزاب الشيوعية والعمالية العالمي موسكو ١٩٦٩ ص ٢٠٤ •
(٢) التشديد في النص الانكليزي •
(٣) لينين مجموعة الأعمال مجلد ٢١ ص ٣٥٤ •

الفصل الخامس

الأممية والقومية في مجرى العملية الثورية

ان ديالكتيك العام والخاص ، في العملية الثورية ، له صلة وثيقة بديالكتيك الأممية والقومية ، ربط لينين بين التطبيق والتعديل ، في المباديء العامة للشيوعية وبين « .. الدراسة ، والبحث ، والتنبؤ ثم الامساك باحكام بما هو مميز وخاص للقومية ، كل ذلك بطريقة مادية ملموسة ، يتوجب معها أن يتم في كل بلد تناول المهمة الاممية المشتركة ، ألا وهي الانتصار على الانتهازية والعقائدية اليسارية في صفوف الطبقة العاملة ... » [1] .

الأممية البروليتارية تتطور :

للاممية البروليتارية جوانب متعددة ، ومفهوم واسع ؛ تنبثق جميعها من مصالح الطبقة العاملة الاساسية والمشتركة ، لكانة الاقطار والقوميات . لان الطبقة العاملة بكافة أطرافها القومية ، تحتل نفس الموقع في **نظام الانتاج الرأسمالي** ، وبذلك يتم استغلالها من جانب رأس المال بوصفه قوة عالمية . انعمال كافة الاقطار على الرغممن كل السمات القومية لهذا القطر أو ذاك،الا أنهم جميعا يواجهونعدوا مشتركا واحدا ،وتجمعهم

---

(١) لينين مجموعة الأعمال المجلد ٣١ ص . (٩٢) .

أهداف نضالية مشتركة • تلك هي الاسس والمباديء للاممية البروليتارية، النبي يتجسد فيها التضامن الاممي للطبقة العاملة ، وقد تمت صياغتها بالشعار الشهير •• « ياعمال العالم ، اتحدوا ! •

تمضي الأممية البروليتارية ، **متجاوزة كل أشكال الوجود الاجتماعي ، وأشكال وعي البروليتاريا** •وتبدو واضحةفي الجوانب الأخلاقية والفلسفية والسياسية والأيديولوجية ، من خلال العمل التضامني لعمال كافة الأقطار ؛ ومن حيث مبادئها الاخلاقية والسياسية فان ذلك يصبح موضوع دراسة النظرية الماركسية ، التي تتحرى جذور تلك المبادىء ، وبالتالي تقدم للبروليتاريا المساعدة في معرفة طرق وأساليب ضمان الوحدة الاممية ، في النضال الطبقي • يمتد نطاق تأثير الاممية البروليتارية ليصل الى مشاعر وأفكار الطبقة العاملة والى نشاطها المشترك • يبرهن تاريخ حركة الطبقة العاملة ، على أن مدى ذلك التأثير ، مرتبط بمقدار التضامن الاممي،وهذا يعتمد على مستوى النضوج السياسي للطبقة العاملة • ان نشوء وتطور الاممية البروليتارية لايمكن فصمه عن بزوغ وتطور الطبقة العاملة نفسها ، وذلك عندما تتحول الطبقة العاملة من « **من طبقة بحد ذاتها ، الى طبقة من أجل نفسها** » • (١)

احد الاتجاهات الرئيسية ، لتطور الاممية البروليتارية هو تضامن الطبقة العاملة لمختلف الاقطار في العمل • كان هذا التضامن في المراحل المبكرة لحركة الطبقة العاملة مقتصرا على مشروع التضامن ، حيث كانت ظروف العمل والاحوال المعيشية تشد العمال في مختلف الامم بعضهم الى

---

(١) التشديد من المترجم •

بعض ، لمجابهة رب العمل الرأسمالي • الا أن مشاعر التضامن ، التي نشأت عفوية ، شقت طريقها متجاوزة الحواجز القومية والهمت الاعمال المشتركة• لقد وحد التنظيم المتنامي العماليالنشيط للطبقة العاملة فيمختلف الامم القومية ، وحد الطبقة العاملة بمقدار اعظم ، مما حققه العمل في نفس المعمل • فقد برزت هناك ، اسس التعاطف والتضامن لنضال العمال المنتمين الى نفس المهنة ، أو ما هو قريب منها في الاقطار اخرى • وبعد ذلك لم يعد هناك سوى خطوة قصيرة ، باتجاه الدعم المباشر لهذا النضال ، باعلان التضامن الصريح ، والدعم المالي للمضربين عن العمل •

مع بروز التناقض بين العمل ورأس المال بصورة أوضح ، وكلما أخذ القسم المتقدم من الطبقة العاملة يدرك أن مصالح رأس المال تتعارض مع مصالحهم ، كان مع هذا وذاك يتم خلق الممهدات الضرورية للعمل السياسي الاممي للطبقة العاملة • ان المرحلة الحاسمة في هذا التطور ،كان ظهور حزب البروليتاريا السياسي • ذلك الحزب ، الذي أشار ماركس وانجلز اليه في « البيان الشيوعي » ؛ اثناء النضالات الوطنية لبروليتاريا مختلف الاقطار كان يسير ليصبح محددا ، وتبرز الى المقدمة « المصالح المشتركة لكل البروليتاريا • مستقلة في ذلك عن كل القوميات • » [1]

ان خروج مثل هذا الحزب لحيز الوجود ، كان دليلا ، على أن الطبقة العاملة كانت قد بدأت تنمو لتعي مهمتها الثورية العالمية •

ان انهيار الاممية الثانية ، وفضح انتهازية الاشتراكية ، الانتهازية

---

(١) بيان الحزب الشيوعي ص (٧٢) •

الشوفينية ، الذي قام به لينين ، كان دليلا على أن الاممية البروليتارية كانت ترتفع الى مستوى السياسة الطبقية ، وبذلك ترتبط استراتيجية وممارسة الثورة الاشتراكية ، بالنظرية • وقد اكتسبت تلك الصبغة خلال نشاط الحزب البروليتاري من الطراز الجديد الذي أسسه لينين • كما تجسدت هذه الصفة وتطورت الى أمام من خلال نشاط الحركة الشيوعية العالمية • لقد صهر الشيوعيون الاممية والثورية ، في كل واحد ، على أنهما وجهان لعملية واحدة هي السياسة الطبقية للبروليتاريا ، التي تهدف الى التحويل الثوري للعالم • كما رفع الشيوعيون من خلال نضالهم الاممية البروليتارية الى مستوى جديد نوعيا • حيث أصبحت الاممية البروليتارية سلاحا للحركة الثورية •

كان انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، انتصارا في نفس الوقت للاممية البروليتارية •

ان الدولة الاولى لديكتاتورية الطبقة العاملة ، اضحت قاعدة الثورة العالمية ، وهي اداة الاممية البروليتارية التي اصبحت مبدأ لسيادة الدولة • هذا المبدأ وجد له تعبيرا عمليا في تحقيق المهمة الثورية ذات الدلالة التاريخية ـ الا وهي بناء الاشتراكية ، وفي السياسة اللينينية للنضال من أجل السلم ، من أجل التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وكذلك في الدعم الاممي من جانب الاتحاد السوفياتي للطبقة العاملة ، وللقوى الثورية في البلدان الرأسمالية •

ان خروج الاشتراكية الى ماوراء حدود البلد الواحد ، ومن ثم تشكيل المنظومة الاشتراكية العالمية ، كل ذلك قد حفز اتجاها جديدا في

تطور الاممية البروليتارية ، ذلك الاتجاه ، الذي أصبح مبدأ في العلاقات الداخلية المتبادلة للدولة في المجتمع الاشتراكي • والذي أرسى قواعد التحالف السياسي والعسكري لدول اشتراكية ذات سيادة متساوية • ان مبدأ الاممية ، يقرر تطور الروابط الايديولوجية والثقافية بين الاقطار المتآخية ، ويقرر توطيد وحدتهم الاقتصادية ، التي تعبر عن نفسها « باتجاه خلق اقتصاد عالمي واحد تنظمه البروليتاريا لكل القوميات ، ليكون كلا متماسكا ووفقا لخطة واحدة مشتركة » • (١)

تم اغناء الاممية البروليتارية ، عن طريق تطوير علاقات البلدان الاشتراكية مع البلدان المستقلة ، التي نفضت عن كاهلها سلاسل الاستعمار • ان المساعدات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية ، المقدمة لهذه البلدان ، تبرهن عن تطور وتوطيد الوحدة بين الاممية للطبقة العاملة وبين حركة التحرر الوطني •

الوعي الأممي

يسبق كل مرحلة بارزة من تطور الممارسة الاممية للبروليتاريا ، ممهداتها الضرورية،وهذه تتضمن تغيير نوعي في الوعي السياسي للبروليتاريا• وتشكل في نفس الوقت اسس التطور اللاحق للمحتوى الاممي الايديولوجي للطبقة العاملة •

تكمن الخطوة الهامة الاولى في انضاج الوعي الاممي عند البروليتاريا،

---

(١) لينين : ـ المؤلفات • المجلد ٣١ ص ١٤٧ •

في الانتقال ، لادراك ماهية المصالح الطبقية لعمال مختلف الامم ، من شكلها الانفعالي النفسي ـ اي مستوى المشاعر والاحساس والمؤثرات العفوية ، ـ الى الادراك الشامل لمحتوى التضامن الطبقي ، ليصل الى مستوى الوعي السياسي • وهذه الخطوة هي جزء من عملية تشكيل الوعي الاشتراكي المرتبطة بالنشاط القوي والفعال للاحزاب السياسية للطبقة العاملة ،والنضال دون هوادة ، ضد البورجوازية وايديولوجيتها،وضد الاتجاهات التحريفية بدون مصالحة توفيقية •

ان ايصال الوعي الاممي ، لحركة الطبقة العاملة ، يشمل فيما يشمل ، النضال الايديولوجي ، للتغلب على التهجم القومي ، الذي تستثمره الدعاية البرورجوازية ، ويغذيه طراز الحياة البورجوازية • فالقومية البورجوازية ، هي احدى الاسلحة التي يحاول بها رأس المال ترويض حركة الطبقة العاملة • ان الخط الفاصل بين الاممية البروليتارية ، والقومية البورجوازية ، يتطابق تماما من حيث المبدأ مع الخط الفاصل ، بين الايديولوجية الثورية ، والاصلاحية المهادنة ، ان المعالجة الاصلاحية المهادنة ، تحكمها الاساليب التوفيقية ، فهي تفتش عن المصالح القومية المشتركة للطبقة العاملة البورجوازية في الاطار القومي • ولهذا السبب بالذات فهي ضيقة الافق وطنيا ، وكما يظهر تاريخ الاحزاب الاصلاحية ، للدولية الثانية ، فانها تنتهي الى القومية البورجوازية والاشتراكية الشوفينية الانتهازية • وبالمقابل ، فان الذي يميز المعالجة الثورية هو الموقف الطبقي الذي يفترض مسبقا التضامن العالمي للشغيلة ، وبذلك ينسجم تماما مع الاممية • هذا التلاحم بين الاممية والثورية سمة لايمكن الفكاك منها في اللينينية •

ان انتصار اللينينية على الاصلاحية والاشتراكية الشوفينية ، وبالتالي، ووفقا لهذه القواعد ، ظهور الحركة الشيوعية ؛ كل ذلك يشير ، الى مرحلة هامة جديدة من تطور الوعي الاممي للطبقة العاملة •

ان المراحل الهامة المتتالية لتطور حركة التحرر الوطني العالمي ، قد صاحبها تغييرات نوعية للوعي الاممي للطبقة العاملة • كما أن تشكيل النظام الاشتراكي على نطاق العالم ، قد أرسى قواعد الادراك الشامل لمسألة انتماء الطبقة العاملة لنظام المجتمع العالمي ، ليس ضمن حدودها القومية فقط •

ان مثل هذا التغيير في الوعي ، يسير حثيثا عبر التغلب على التناقضات وعبر النضال ضد مشاعر وأفكار الانتعاش الشوفيني ، تلك التي تتخذلنفسها في بعض الاحيان ، أشكالا خطيرة لسيطرة التعصب القومي والعزلة •

نشأ مع الثورة العلمية التكنولوجية ، قضايا لاتقل تعقيدا في تطور الوعي الاممي ، وكان من شأنها أن تزيد من حدة تأثير القوى المنتجة ، والعلم والثقافة ، وعلى توسيع مدى قوى الجماهير الثورية التي تناضل ضد الامبريالية ، وعلى مستقبل ما يسمى بالعالم الثالث •

ان تطور الاممية البروليتارية ، يجد له تعبيرا عن نفسه ايضا،في توسيع مجال القوى الاجتماعية التي تتأثر به • وقد كان مقتصرا في البداية على ايديولوجية ، وممارسة الطبقة العاملة وحدها ، اما في عصر الامبريالية ، فان هذا الوعي ، قد دفع الشعوب المضطهدة الى فلكه •واليوم تمتد هذه العملية الى آفق أبعد •حيث نشهد أن نضال الطبقة العاملة ضد الامبريالية،

يشمل عمال المزارع ، والبورجوازية الصغيرة في المدن ، والطبقات الوسطى ، بالاضافة الى الانتلجينسيا العلمية والتكنولوجية ومستخدمي المكاتب ، والشغيلة في الحقل الثقافي ، وأولئك العملين في الصحة العامة ، والذين يخدمون الصناعة ، هؤلاء جميعا تمرسوا في مدرسة الاممية ، حيث ادركوا من خلال تجاربهم الخاصة الحاجة الماسة للتضامن الاممي مع الطبقة العاملة والاشتراكية العالمية •

قال جورج ديل باردو ، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في بيرو ، وهو يخاطب مؤتمر الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، ان النهوض الجبار لحركة التحرر الوطني قد حمل معه ، « تغييرات لها قيمتها في موقف عدد هام من العسكريين ، من ضمنهم القادة العسكريين في عدد من أقطار امريكا اللاتينية • ان أفكار الاممية تلعب دورا مؤثرا في صفوف اعداد متزايدة في القوات المسلحة ، الذين بدأوا يدركون ، ان الوطنية الحقيقية ، لايمكن فصمها عن الاممية ، ولا عن النضال من أجل التضامن الاممي ضد قوى الامبريالية •

ان استيعاب مبادىء الاممية من جانب الاقسام الاجتماعية غير البروليتارية ، يتقدم حثيثا بالضرورة عبر تناقضات ونضال حاد مع أفكار الاممية ، ويتغلب تدريجيا على التطاولات القومية ، التي تحملها الطبقات والفرق الاجتماعية المختلفة • كما ان اتساع نطاق الاممية حمل معه تعديلا في الشعار البكر « ياعمال جميع البلدان اتحدوا ! » • فقد دعمه لينين ليصبح « ياعمال جميع البلدان ، وايتها الشعوب المضطهدة ، اتحدوا ! » • واليوم ، حيث تعبر الحركة الشيوعية العالمية عن آفاق أوسع لحركة مقاومة الامبريالية ، فهي تطرح شعار : ـ

« ياشعوب البلدان الاشتراكية ، أيها العمال ، وياكل القوى الديمقراطية في البلدان الرأسمالية ، وأيتها الشعوب المتحررة والمضطهدة ، اتحدوا في نضال مشترك ضد الامبريالية ، من اجل السلام ، والتحرر الوطني ، والتقدم الاجتماعي والديمقراطية من أجل الاشتراكية » .[1]

مقياس العلاقات الحزبية المتبادلة بين الأحزاب الشيوعية

لقد طرأ تحولات على العلاقات الحزبية الداخلية ، في مجرى تطور الحركة الشيوعية العالمية . ظهرت الشيوعية الاممية الى الوجود ، على انها تنظيم مركزي عالمي ، تنتظم فيها الاحزاب الشيوعية الوطنية بوصفها جزء منه . وقبول العضوية فيه يتطلب توافر عشرون شرطا ، تمت صياغتها ، لتشمل النقاط الرئيسية للبنية الايديولوجية والسياسية للحركة الثورية للطبقة العاملة . وتلك الشروط كانت تتلائم مع الوضع السائد في ذلك الوقت ، وكانت تدعو لمواجهة : الجبهة البورجوازية العالمية المتحدة ، والانتهازية ، والثورة المضادة ، وتوفير الحد الاقصى لتضامن القوى الثورية للبروليتاريا العالمية . كما أنها تنسجم مع وضع ومصالح الحركة الشيوعية الجنينية نفسها ، التي كانت في حاجة سريعة لاستيعاب تجربة البلشفية ، والمساعدة المباشرة من حزب لينين ، والتي كانت تتطلب الانفصال الكامل عن اساليب الاصلاحية ، والاشتراكية الشوفينية .

يجب التأكيد في هذا المجال ، على أن العلاقات بين الاحزاب الشيوعية في اطار الكومنترن كانت مشبعة بروح الديمقراطية . وفي هذا الصدد

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية – موسكو ١٩٦٩ ص ٣٩ .

يقول • « ب • ن ـ بونوماريوف » من سكرتيري اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي : ـ « كانت المؤتمرات ، والجلسات ، واللجان العديدة، تجتمع في جو من النقاش الحر الواسع ، حيث ، يستطيع فيه كل فرد ، أن يدلي بوجهة نظره وأن يتمسك بفهمه الخاص ، حول المسائل الموضوع البحث • كما لكل عضو الحق ، والفرصة المتاحة للمشاركة في صياغة سياسة الكومنترن ، وفي تحديد قواعده التنظيمية » •

يتبين من الوثائق ، أن الاحزاب الشقيقة ، قد مارست ، واستفادت من هذا • كما تبين أن الشيوعيين أظهروا تفانيا ونكرانا للذات في التبني الجماعي للقرارات • وهذا أمر معروف ، وله التقدير الحسن على نطاق واسع • فلم يكن هناك أي أثر للتعصب الاعمى ، الذي يحلو لاعدائنا أن يصفونا به • بل كان هناك انضباط مستند الى ضرورة الادراك الواعي ، والى الفهم الكامل للقرارات ، والالتزامات ، تجاه الاحزاب الشقيقة ، التي سبق واتفق حولها • » (١)

كان لانتهاك قواعد اللينينية في عمل الكومنترن ، الذي جرى في الثلاثينيات ، والاعمال التي لاتستند الى أساس ، والمتخذة ضد بعض قادة الحركة ، بما في ذلك حل الاحزاب الشيوعية في بولندة ، ولاتفيا ، كل ذلك قد جرى ، بتعارض تام مع القيم التي تحكم نشاط الكومنترن ، الامر الذي دلل على الحاجة الملحة لتحسين العمل التنظيمي • ودلل على أن التنوع في ظروف الاحزاب ، كان يزيد باستمرار من مصاعب عمل جهاز مركزي واحد ، لادارة وتقرير المهام الخاصة التي يتوجب انجازها ،

---

(١) النظرة الماركسية العالمية العدد ٢ ١٩٦٩ ص ٦ •

وأساليب النضال التي يجب اتباعها • ترتب على الدرجة العالمية من المركزية خلق روح المبادرة ، وتقليل الفعالية العملية ، للاحزاب الشيوعية • هذا ، في الوقت الذي كانت فيه الاحزاب الشيوعية ، تزداد قوة واتساعا ، واصبح بمقدورها أن تقوم بمهامها بشكل مستقل • وعلى ضوء ذلك اتخذ المؤتمر السابع للكومنترن قراره في نقل مركز الثقل للعمل السياسي الى القطاعات •

هكذا كانت البداية ، باتجاه مراجعة معيار العلاقات بين الاحزاب الشيوعية ، التي قادت في النهاية الى حل الكومنترن ، وبناء اشكال من العلاقات المتبادلة تلائم درجة اعلى ، من نضوج الحركة الشيوعية • وقد أخذت هذه العلاقات شكلها النهائي ، في فترة مابعد الحرب ؛ عندما أصبح واضحا ، أن الطراز المركزي ، لايتلائم مع درجة النضوج والخبرة ، واستقلالية الاحزاب الشيوعية ، وتزايد تنوع الظروف التي يعملون فيها •

ان معايير العلاقات المتبادلة المتطابقة مع الوضع الراهن ، قد تمت صياغتها في البيان الصادرعن اجتماع الاحزابالشيوعية والعمالية في موسكو عام ١٩٦٠ والذي يعلن : ـ

ـ ان الاحزاب الماركسية اللينينية مستقلة ولها حقوق متساوية •

ـ ويتم صياغة سياستها ، وفقا للظروف الخاصة في بلدانها المعنية ، بالتمسك بقواعد الماركسية اللينينية ؛ وكل حزب يكون مسؤولا تجاه الطبقة العاملة ، والشعب العامل في بلده •

ـ في نفس الوقت ، فان النجاح الذي تحرزه الطبقة العاملة في كل

بلد ، وعلى النطاق العالمي ، يدعو الى التضامن الاممي للاحزاب الماركسية اللينينية ، وهم مسؤولون تجاه الطبقة العاملة ، وتجاه الحركة الشيوعية في العالم •

ـ على الاحزاب الشيوعية ، أن تعقد اجتماعات ، كلما دعت الضرورة لذلك ، لبحث القضايا العاجلة ، ولتبادل الخبرات ، والتعرف على وجهات نظر ومواقف كل منها ، والعمل لتوحيد وجهات النظر والمواقف ، ومن اجل اغناء النظرية المركسية اللينينية بالجهود المشتركة ، والعمل المنسق في النضال نحو الاهداف المشتركة •

ـ عندما يحتاج احد الاحزاب ، استيضاح مسائل متصلة بنشاط حزب آخر ، فعلى قيادة ذلك الحزب أن تتصل بقيادة الحزب المعني ، وعقد الاجتماعات والمشاورات ، اذا دعت الحاجة الى ذلك •

ـ على الاحزاب الشيوعية والعمالية ، مراعات التقديرات والاستنتاجات ، التي تم التوصل اليها سوية ، خلال الاجتماعات المرتبطة بالمهام المشتركة في النضال ضد الامبريالية ، من أجل السلام ، والديمقراطية والاشتراكية •

ـ العناية الدائمة ، لتوطيد وحدة الحركة الشيوعية في العالم ؛ وهذه القضية ستبقى الواجب الاممي الذي لايعلو عليه اي شيء عند الحزب المركسي اللينيني •

ـ ان المساعدة المتبادلة ، والدعم في العلاقة بين الاحزاب الشقيقة ، هي التجسيد لمبادىء الاممية البروليتارية الثورية في التطبيق •

وتأكيدا لهذه القواعد ، عمل اجتماع الاحزاب الشيوعية ، والعمالية في عام ١٩٦٩ على تدعيمها ، بالتمسك بمتطلبات التطبيق •

ان الوضع الراهن ، يتطلب أن تكون اشكال العلاقات المتبادلة بين الاحزاب ، قائمة على قواعد الطوعية وبصورة يتم معها الغاء قاعدة الخضوع والمركزية • جاء في التصريح الصادر عن اجتماع عام ١٩٦٩ تأكيدا لتلك الحقوق : ـ « حيث أنه لايوجد مركز قائد للحركة الشيوعية العالمية ، فان التنسيق الطوعي لاعمال الاحزاب ، من اجل انجاز المهام المطروحة أمامهم بفعالية ، يكتسب اهمية متزايدة • »[1]

اشار الاجتماع ايضا ، الى تلك الاشكال من الروابط الاممية ، مثل الاعمال المشتركة بين الاحزاب الشيوعية ، وتوثيق الصلات بين الاحزاب، والتحليل المشترك لظواهر عالمنا الراهن • كما يمكن أن نتوقع ، في المستقبل ايضا ، ان تستمر متطلبات الممارسة في الدعوة الى تطوير اشكال لاحقة للروابط الاممية في داخل الحركة الشيوعية •

مقياس الاممية :

ان تطور اممية البروليتارية ، يزيد من تعقيد مقاييسها ، وهي تكمن في تلك النقاط التي يمكن الاستناد اليها لتستطيع الطبقة العاملة وأحزابها الماركسية اللينينية ، من تحديد مجرى العمل الموحد للنضال من أجل الاهداف المشتركة •

---

(١) الاجتماع العالمي للأحزاب الشيوعية والعمالية موسكو عام ١٩٦٩ ص ٣٦ ـ ٣٧ •

ان المقاييس الموضوعية للاممية،قد تمت صياغتها ، وفقا لقواعد تحليل ودراسة الاتجاهات القائمة في العملية الثورية العالمية ، ورص القـــوى في الساحة العالمية ، تم تحليل ودراسة موقف كل طرف ثوري في الجبهـــة المشتركة لتلك الاطراف •

ان التضامن الاممي ، هو مبدأ عمل الطبقة العاملة في كل البلـدان ؛ الا أنه بحكم فقدان السوية في العملية الثورية العالمية ، ولاسباب تاريخيـة اخرى ، فإن الاقطار المختلفة لاتشغل مواقع متساوية في حركة التحـــرر الوطنـــي •

بعد انتصار ثورة اكتوبر ، كان الدفاع عن اول جمهورية اشتراكية يشكل المقياس الرئيسي للاممية كما طرحه لينين والكومنترن • وكـــان منطلق لينين والكومنترن ، من واقع أن روسيا السوفيتية ، قـــد اصبحت موضوعيا ، قلب العملية الثورية العالمية ، التي يلتف من حولها ، كل حركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة ، وحركة التطور الوطنـــي للشعوب المضطهدة •

طالما كان هنالك بلد اشتراكي واحد فقط ، فالامر المنطقي ، أن يعتبر الموقف منها ، مقياس رئيسي للاممية • اشار المؤتمر السابع للكومنترن في قراره : ـ « ••• ان المصالح في تقويـــة الاتحاد السوفيتي ، لبناء قوتـــه الجبروتية ، وتأمين انتصاره في كافة الميادين ، وكافة قطاعات النضال ، كل ذلك ، يتطابق تماما ، مع مصالح الشعوب المستعمرة والمستعمرات المضطهدة

في كفاحها ضد الامبريالية ، وذلك كله يقرر سلفا ويساعد على انتصار الثورة العالمية ، من اجل انتصار الاشتراكية في أرجاء العالم . » [1] .

وكما وضعهـا « د . مانيبولكي » احد اعضاء المجلس التنفيذي للكومنترن ، ان الاتحاد السوفيتي كان مختبرا عملاقا لبناء مجتمع جديد ، هو المجتمع الاشتراكي . وهذا ، يشكل ارقى انجازات الطبقة العاملة العالمية ، والقوى الثورية ، انها قاعدة الثورة الاشتراكية العالمية .

ونظرا للوزن الكبير للحركة الثورية في العالم ، وتركيبها غير المتجانس ، وتنوع المهام التي تواجه أطرافها ، فان ايجاد معايير موضوعية للاممية البروليتارية ، يتطلب أن نأخذ بعين الاعتبار مصالح كل الاطراف المشاركة في عملية النضال ، ضد الامبريالية . الا أن أخذ هذه المصالح بعين الاعتبار ، لايعني مجرد تطبيق عملية حسابية . لاننا نجد في ديناميكية تحالف القوى الثورية المكافحة في الساحة العالمية ، ان كل القطاعات في الصراع الطبقي ، ترتبط بعرى وثيقة ، الا انها ليست على درجة متساوية من الاهمية . فهنالك مركز رئيسي تتجمع حوله كل خيوط النضال الفكري والسياسي للعالم . وهذا المركز هو النظام الاشتراكي العالمي وعليه يعتمد ثبات وانتصارات كافة الاطراف .

ان محاولة تجاهل الترابط الحقيقي ، بين القوى في العالم ، يقود الى الذاتية ، التي يختفي وراءها التحريف المتعمد لمقاييس الاممية البروليتارية ، وبشكل متعمد موازي ، تتم فبركة المفاهيم حول مايسمى

---

(١) الشيوعية العالمية عدد ٢٣ ـ ٣٤ عام ١٩٣٥ ص ١٥٨ .

« الأممية من طراز جديد » التي تؤكد على « التطور المستقل والمتوازي للمبادئة الثورية » • ذلك هو جوهر ما يسمى « الاممية الجديدة » لبيان التحريفيين الذين طردوا من الحزب الشيوعي الايطالي • مثل هذه الآراء، يمكن تسميتها بدقة ملائمة ، نظرية الانشقاق في الحركة الثورية ، ذلك لان مثل هذه النوع من الافكار هو بالتأكيد ما تكشف عنه النشاطات الانقسامية للعناصر اليسارية •

ان الامكانيات المتزايدة ، والتنوع الكبير في أشكال مظاهر المبادرة الثورية من جانب مختلف الاطراف الوطنية ، في حركة التحرر الوطني ، كل ذلك يزود التحريفيين بما يمكنهم من التمويه ، من اجل معارضة هذه الاطراف بالنظام الاشتراكي العالمي وقوته الرئيسية الاتحاد السوفيتي • وبذلك يتم التنكر للاشتراكية الحقيقية ، ويتم اهمال اعظم الانجازات للطبقة العاملة العالمية ، حيث وجدت ، كما يتم التنكر لصحة القوانين ،التي اسهمت في تكوينها ؛ واهمال تطور التحركات السياسية الداخلية والخارجية للبلدان الاشتراكية ، وبذلك تصبح هي المعوق للتطور الناجح للحركة الثورية في الجزء غير الشيوعي من العالم • ان الهجوم التحريفي على مقاييس الاممية البروليتارية الذي يشوه الصورة العامة للحركة الثورية تجري قيادته من مواقع مزورة •

لان الموقع الذي يشغله النظام الاشتراكي في العالم ، وفي مقدمته الاتحاد السوفيتي ، من وجهة النظر الموضوعية ، يجعل من المنظومة الاشتراكية ، والاتحاد السوفيتي ، القاعدة الاساسية لكل القوى المناهضة للامبريالية • ومن هنا يمكن القول بان الهجمات ضد الاشتراكية الحقيقية

والاتحاد السوفيتي تشكل من الناحية العملية تقويضا لاسس الحركة الثورية العالمية • وهذه الهجمات تستهدف كل أطراف الحركة الوطنية ، وقد اشار ممثلوا الاحزاب الشيوعية والاحزاب الديمقراطية الثورية في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، الى أن معاداة الاتحاد السوفيتي في أي شكل انما تشكل جريمة ضد مبادىء الطبقة العاملة وضد حركة التحرر الوطني •

ينطلق هجوم التحريفيين ضد مقاييس الاممية البروليتارية من فرضيات مزورة ، وتشويه الصورة العامة التي تمثل العملية الثورية وحيوتها •

ان الاشكال والاساليب الجديدة في النضال ، بالاضافة الى المعالجة الجديدة للمهام الثورية ، اصبحت اليوم ، واضحة في عدد من البلدان غير الرأسمالية ، فشكرا لما حققته البلدان الاشتراكية من انتصارات ؛ وشكرا لتعاظم تأثيرها وسطوتها ، وشكرا لجبروتها الاقتصادي ومايحمله من قوة المثال وقوة الجذب • تلك هي العوامل التي تقرر ترابط القوى العالمية ، التي من شأنها أن تخلق الوضع الملائم لنشاط كل الاطراف الثورية •

ان اتجاه التطورات اليوم يجعل تضامن المنظومة الاشتراكية والعالمية والدفاع عنها ودعمها هو المقياس الرئيسي للتضامن البروليتاري • وقد تم تسجيل هذا الاستنتاج في وثائق اجتماع عام ١٩٦٩ « ان الدفاع عن الاشتراكية ، هو الواجب الاممي للشيوعيين • »[1]

لابد من الطرح التاريخي ، للاممية البروليتارية ، لدحض الافكار

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية • موسكو • ١٩٦٩ ص ٢٣ •

الدوغماتيكية التي ترى أن الاممية البروليتارية ، شيء لايتحدد بزمان ، وتوجد بشكل مستقل عن الحركة ، وأن وجهها الآخـــر ، هو الادراك المتفائل « لازمة الاممية » • لان أولئك الذين يتمسكون بوجهات النظـــر هذه ، يترجمون كل اغناء لمحتوى ، ومعايير الاممية البروليتارية ، وكـــل نتائج المراجعة لوجهات النظر القديمة التي عفا عليها الزمن ، يترجمـــون كل ذلك على أنه أزمة للاممية نفسها •

ان اتساع نطاق القوى الثورية ، وتزايد التعقيد في العلاقات بينهـــا ، الى جانب النمو فيما يختص بالمهام الوطنية لكل طرف من الطبقة العاملة ، كل ذلك ، يتطلب حتما ، رفع مستـــوى التنسيق في الاعمـــال ؛ ويفرض استيعاب التجارب المتنوعة الغنية ، التي كدستها كل الاطراف على النطـــاق العالمي • من هنا يظهر الاختلاف في وجهات النظر في مجرى هذه العملية• الا أن الذي يسود في العلاقات بين القوى الطليعية للطبقة العاملة ، يبقـــى هو الامر الذي يؤخذ به فيما بينها • وهكذا ، تخلق القواعد التي تسمـــح بتوطيد التضامن الاممي للقوى الثورية ، وقواعد التطوير اللاحق لمحتـــوى واشكال الاممية البروليتارية ؛ وتحقيق النجاح والتقدم في ذلك الاتجاه ، يعتمد الى درجة كبيرة على انجـــاز الترابط الصحيح ، بـــين ماهو أممي ، وماهو وطني قومي في الصراع الطبقي للبروليتاريا •

محاولات اهمال الديالكتيك :

على الرغم ، من ان المصالح الاساسية للبروليتاريا مشتركة ، الا انها تعمل في عالم تجـــزء تاريخيا ، الى حكومات وطنيـــة منفصلة ، تلـــك هي

الحقيقة التي لامفر منها • فالطبقة العاملة لاي ، بلد ليست جزء من البروليتاريا العالمية ، وحسب ، بل هي عنصر متكامل لامتها في نفس الوقت•

من المحتم أن يرافق نضال الطبقة العاملة لكل بلد ، وهو ينطلق من مضمون قومي ، أن يرافق ذلك الاستقلال النسبي الاقتصادي والسياسي ، والحياة الثقافية لتلك الامة • وتنعكس الاممية حيثما وجدت ، من خلال الظروف الوطنية المتشابكة • تلك هي بداية الانطلاق للوحدة بين الاممية والوطنية ، في نضال البروليتاريا الطبقي • ان فصم هذه الوحدة يجعل الاممية البروليتارية بدون حياة • ويمكن رؤية ذلك بوضوح في مثال نظرية كاوتسكي ، الذي توجه الى الواقع القومي وتخلى عن العمل الثوري للاممية ؛ منتظرا نشوء « مافوق الامبريالية » ، تلك المسألة التي كانت عند كاوتسكي ، تضع حدا فرضيا للتمايز القومي ، وتسوي بعضها بالبعض الآخر • كتب كاوتسكي حول ذلك يقول : ـ « ان الاتحاد بين الدول ؛ هذا ماتحتاج الوصول اليه ، وليس الوصول الى الدولة القومية ، او الامبراطورية الكولونية ، او أي شكل للامبراطورية الرأسمالية ، هذا هو الاتحاد الذي تحتاج للوصول الى النهاية ، وهي اعلى مرحلة في التطور ، عندما تكون البروليتاريا قادرة على انجاز اهدافها النهائية• » [1] • وهكذا يتم رؤية الاممية خارج اطار الوطنية •

استنبط لينين على الفور ، وادان ، جوهر نظرية كاوتسكي ، بوصفها اعتذارا ، وتبريرا لخيانة الاممية البروليتارية ، من جانب القادة الانتهازيين للدولة الثانية • وكتب لينين حول ذلك قائلا : ـ « هذه النظرية تنتهي

---

(١) ك • كاوتسكي (الدولة الامبريالية ووحدة الدول) مارس ١٩١٧ ص ٨٦ •

ولا يمكن لها الا أن تنتهي الى التالي : ـ ان كاوتسكي يستثمر الامل في التطلع نحو عصر سلمي جديد للرأسمالية ، وذلك من أجل تبرير التضامن مع الانتهازيين ، وتضامن الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الرسمية مع البورجوازية ؛ وبالتالي رفضهم للتكتيك الثوري البروليتاري في العصر الراهن ، « العاصف » • [1]

وهذا ، مايمكن رؤيته بوضوح أيضا،في مثال العقائديين «اليساريين»، الذي فهموا من الاممية ، على أنها نفي للوطنية • وقد تبنى هذا الموقف حتى في داخل الحزب البولشفي ، فريق يتألف من بوخارين ، بيتاكوف ، وبوش • يصبح التضامن الاممي عند بيتكوف هو العمل الموحد من جانب بروليتاريا كل الاقطار التي تجاوزت حدود الدولة القومية ، وداست مراكز الحدود ، ونسفت الوحدة الوطنية ، وأسست الوحدة الطبقية • هكذا ، ينسلخ العقائديون اليساريون عن الوطنية ويحتقرونها ، ويدعون الى اللامبالاة الوطنية ، وبذلك يفصلون دون رجعة ، الاممية البروليتارية عن الواقع • ان كل مافعله أبطال الاممية « المطهرة » في الكلام ، هو تجريد الاممية من السياسة العالمية عمليا ، وتحويلها الى ضبابية خيالية ، مجردة من المحتوى الطبقي والوطني ايضا • وهذا يعني « تجاهل النضال السياسي القائم الآن بالحاح ، وفي كل الاوقات أيضا • » [2]

لقد وقف أنصار الكاوتسكية والعقائدية اليسارية ، على أرضية

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢١ ص٢٢٥ ، التشديد في النص ،
(٢) لينين المؤلفات المجلد ٢٣ ص ١٦ ،

واحدة ، من حيث المنهج والطراز ، : ـ فقد نظروا الى الاممية ، على أنها انفصال كامل عن الوطنية ، وتم تحويلها الى افكار غيبية جوفاء •

اشار لينين الى نقطة اضافية اخرى خاطئة ، للنهج الكاوتسكي والعقائدي اليساري • وهي تجاهل التنوع في الظروف ، وفقدان السوية في تطور الثورة الاشتراكية العالمية • في نقده لموضوعة بيتاكوف المذكورة سابقا ، كتب لينين : ـ « ان الاحلام حول العمل المشترك لبروليتاريا كافة البلدان ، يعني تأجيل الاشتراكية ، وتركها للتقويم اليوناني ، اي الى الابد • » [1] • ان التمويه المجرد من الحياة للعقائديين عارضه لينين بمفهوم منهجي جديد ؛ ان الاممية البروليتارية في عصر الامبريالية تفترض مسبقا الاستفادة الى الحد الاقصى من الامكانيات المتوافرة للعمل الثوري في كل بلد •

ابرز ، انتصار ثورة اكتوبر ، ووضع الحركة الثورية في الاقطار الاخرى ، ابرزا بوضوح الاعتماد النسبي للاطراف الوطنية ، بعضها الى بعض في الحركة الثورية • الامر الذي ترفض العقائدية « اليسارية » التفكير فيه • مثال على ذلك : ـ لجأ خصوم اتفاقية « بريست ليتوفسك » للسلام الى الاممية • وقال بوخارين في جلسة اللجنة المركزية « يتوجب علينا رؤية الجمهورية الاشتراكية من زاوية الاممية • » • كما أن أوترسكي ، وهو عضو مسؤول بارز ، هاجم لينين لمعالجة المسألة من وجهة النظر الروسية ، وليس من وجهة النظر الاممية ، بينما وضح التحليل الاعمق ، لموقف « الشيوعيين اليساريين أنهم لم يدخلوا في حسابهم ،

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٣ ص ٥٩ •

السمات الخاصة لكل بلد على حدة ، ولا واقع ، فقدان السوية لتطـــور الثورة الاشتراكية للبروليتاريا • ان عودة اوترسكي الى التذكير بان لينين تمسك بنفس « المواقف » الخاطئة في ثورة ١٩٠٥ لم تكن من قبيل الصدفة• فقد كان يدور في ذهنه الشعار المتناقض حول الدول المتحـدة في أوروبا • والاستنتاج حول امكانيات كسب الثورة الاشتراكية في بلد واحد ، وهـذا الاستنتاج لم يكن مقبولا من انصار الاممية « المحضة « • ذلك لانهم كانوا يرون الثورة العالمية على أنها عملية بعيدة عن المفهوم الوطني • ومن هنا كان المضي في الثورة الى امام وتوطيد نتائجها على النطاق الوطني امـــرا لايجوز السماح به •

وضعوا المسألة على النحو التالي : اما ان تختار ، بين ثورة بروليتارية على النطاق العالمي ، أو الاعتماد على القوى الاجتماعية المحلية لكل بلد ، وبالتالي ، التراجع عن المواقع الطبقية الاممية ، وهذا هو الخيار الـذي صاغه أحد خصوم سياسة لينين •

قال بوخارين حول ذلك « اننا نخون الحركة الاممية ، بمحافظتناعلى الجمهورية الاشتراكية • » • ان وجهات النظر « للشيوعيين اليساريين » تتطابق مع وجهة النظر التروتسكية • تمسك تروتسكي بقوله : سحـق الثورة الروسية لايؤدي الى انهيار تاريخي ، لان البروليتاريا الاوربيـة ، كانت ناضجـة اكثر للاشتراكيـة • كان اليساريون يـرون ان الثورة في روسيا لها دلالة مستقلـة • فقد سبق وقـرروا ان انطلاق الشرارة سـوف

---

(١) يقصدها بالشرارة ثورة اكتوبر ـ المترجم •

يلهب الكرة الارضية . [1] وهذا الموقف يجرد الاممية من جذورها الوطنية .

الجوانب الخارجية والداخلية للمسألة :

ماذا كان موقف لينين المنهجي من النقاش ؟! تصور لينين الاممية البروليتارية ، على ضوء الظروف الواقعية لعملية الثورة العالمية ، التي كانت تتطور بدرجات متفاوتة وعبر التناقضات . كما أنها كانت مجزأة ، الى عناصر مستقلة نسبيا . . وكان الوضع يتطلب : تحليل الحالة القائمة ، والترابط بين القوى في كل بلد ، ثم البحث عن طريق استثمار الامكانيات الملائمة ، حيثما ظهرت ، وبعد ذلك توطيد المواقع المكتسبة . اشار لينين الى اولئك الذين يطالبون بالحرب الثورية بما يلي : « بهذه الطريقة ، سوف نوقظ الثورة في المانيا ، الا ان المانيا في كل الاحوال تبقى حبلى بالثورة ،هذا في الوقت الذي سبق لنا ووضعنا طفلا كامل العافية ، ولسوف نقتله لو بدأنا الحرب » . [2]

لقد شدوا لينين ، على أهمية ديالكتيك العوامل الخارجية والداخلية في الثورة الاشتراكية العالمية ، التي تتفتح في كل بلد ، وفقا لظروفها المحلية . ان الانتقال من الوطنية الى الاممية له طبيعة ديالكتيكية ، وذلك لان الظروف وما يصاحبها من ديناميكية ليست متساوية في كل البلدان . بالتالي فلا يمكن انتهاج سياسة نحو الثورة ، تستند الى امل التطابق في تطور البلدان المختلفة ، رغم تفاوت هذه البلدان في معدل وسرعة مسيرتها.

---

(١) يقصد بالشرارة ثورة اكتوبر ـ المترجم ـ

(٢) لينين المؤلفات المجلد ٣٦ ص ٤٦٨ .

ان وضع الجوانب الخارجية والداخلية كلها في سلة واحدة ثم القفز بها في العملية الثورية ، يمهد الطريق للمفهوم المضاد للماركسية الا وهو « تصدير الثورة » • ومن هنا فان العقائديين اليساريين انما يدعون لنحر الثورة ، وهم يصرون على الحق في « التدخل الاحمر » • الا ان لينين بعد أن رسم بوضوح التميز بين الجوانب الداخلية والخارجية للثورة الاشتراكية ، صور المشكلة على أنها اشكال غير مباشرة ومعقدة من التأثير المتبادل بين الاطراف الوطنية للحركة الثورية للطبقة العاملة • وعندما صاغ لينين المهمة الثورية للبروليتاريا الروسية كتب حول ذلك : ان المبدأ التاكتيكي الذي تتضمنه الجمهورية الروسية ، يجب أن يكون ، « كيف تستطيع الثورة الاشتراكية ان تؤمن بشكل حازم ، ويمكن الاعتماد عليه لتوطيد نفسها ؟ او على الاقل تأمين استمراريتها في بلد واحد ، الى ان تنضم اليها البلدان الاخرى • » [1] وجه لينين الشيوعيين باتجاه تنشيط الموارد الداخلية للبلد الذي انتصرت فيه الثورة ، وان يتم حشد القوى الجماهيرية الداخلية حول تحالف الطبقة العاملة ، تلك الجماهير القادرة ، على ان تكون ركيزة الثورة الاساسية والقوة الدافعة من اجل التحولات الاشتراكية • ان السياسة الاممية كانت مرتبطة بحل القضايا القومية للثورة •

لقد دمر لينين الحصون التي بناها في الهواء ، اولئك الاميون غير الحقيقيين ، وانصار التعامل « بالجملة الثورية » ؟ واعاد الاممية من اضغاث احلامهم الى الواقع ، الى زخامة ، وحدة الصراع الطبقي ، والى ضرورة بذل الجهود لتجاوز الصعوبات التي بدت خارقة للعادة • قال لينين في المؤتمر

---

(١) لينين المجلد ٢٦ ص ٤٤٥ •

السابع للحزب الشيوعي الروسي ـ البولشفيك ـ « اذا لم تكن قادرا على تكييف نفسك ، واذا لم تكن مستعدا للزحف على معدتك في الوحل ، فانت بالتالي لست ثوريا بل ثرثارا ؛ وانني لاافترض ذلك واقترحه لانني لااجده افضل وحسب ، بل وايضا لاننا لا نملك الخيار ، لسلوك سبيل آخر ، وذلك لان التاريخ ، لم يكن رؤوفا ، لجعل الثورة تنضج في كل مكان على شكل متوازي . » [1] .

برهن لينين ، على ان سوء الطالع الذي صاحب اليساريين ، يكمن في واقع ، انهم يفهمون الاممية بشكل ضبابي . « من واجبنا ان لانحول الشعار العظيم ، (شعار ان رصيدنا يكمن في انتصار الثورة في اوروبا) ، ان نحوله الى جملة جوفاء ، انه اشعار صحيح ، طالما ، تذكرنا ان الطريق طويل وصعب للانتصار الكامل للاشتراكية . لاشك انه شعار ـ فلسفي ـ تاريخي فيما يتعلق بكل عصر الثورة الاشتراكية . الا ان كل حقيقة مجردة تصبح جملة جوفاء ، عندما تطبق على اي وضع ملموس . » [2]

كل ذلك يلخص النتائج المتباينة للعقائديين اليساريين كما كانت .

يستحيل وجود الاممية خارج الوضع التاريخي الملموس ، بوجه عام ، وخارج نضال الطبقة العاملة في كل بلد بشكل ملموس ، وخارج وحدة المهام الوطنية والاممية للحركة الثورية للطبقة العاملة .

ان الترابط بين المصالح الطبقية الاممية للبروليتاريا ، والمصالح

---

(١) لينين المؤلفات المجلد ٢٧ ص . ١٠١ .

(٢) لينين المؤلفات المجلد ٢٧ ص . ٦٥ التشديد في النص .

الوطنية والبيئة الوطنية ، تكتسب اولوية متزايدة ابدا في وقتنا الراهن ، وهذه عملية تزداد بعدا بتعميق التناقض الاجتماعي الطبقي للمجتمع الرأسمالي • « ان رأس المال الاحتكاري ، وهو يستغل ويستعبد أقساما مختلفة من المجتمع ، يضع نفسه في تعارض تام مع الوطنية • » [1] ان الحاجة للتغيرات الجذرية القادرة على وضع حد نهائي ، لسياسة الاحتكارات المنفصلة عن الشعب ، تصبح يوما بعد يوم ، حاجة ملحة لكل اعضاء المجتمع •

عندما كانت الرأسمالية في مطلع عمرها ، كان بامكان البورجوازية ان تطرح نفسها بنجاح ، على انها الناطقة باسم الامة والوطن • اما اليوم فقد انتقل هذا الدور الى الطبقة العاملة ، وهي القوة الاساسية في النضال ضد الامبريالية ، انها تتقدم في الطليعة بفضل موقعها الموضوعي • بوصفها قائدة في النضال ضد سيطرة الاحتكارات ؛ وفي ظل قيادة البروليناريا لتلك الحركة المناهضة للامبريالية ،يمكن لها ان تهيء الظروف للثورة الاشتراكية ، وان تجذب الى جانبها الغالبية الساحقة من الامة ، وان تضفي عليها المسحة القومية العامة بشكل واضح • ان اغفل العوامل القوميةيحول دون ادراك الامكانيات المتوفرة في النضال من اجل الاهداف الطبقية للبروليتاريا •

آفاق المصالح الطبقية العليا :

لقد جاهد لينين ، وهو يبني استراتيجية وتكتيك الاممية الشيوعية، نحو سياسة هادفة من اجل « تطبيق » الاممية على التربة الوطنية • وبعد

---

(١) التشديد من المترجم •

وفاته لم يتم التمسك بتلك السياسة بثبات • فالتركيز على المحتوى الفكري والسياسي للاممية عند الطبقة العاملة كان يتضمن في بعض الاحيان التصغير من شأن الملامح الوطنية الخاصة ، وبالتالي تصبح هذه شيئا له اهمية ثانوية• هذا ماحصل فعلا في بعض الاحيان ، الامر الذي ادى الى الانحراف عن الديالكتيك اللينيني ، والـذي ساعد الفاشية وغـيرها من القوى الرجعيـة للسيطرة على المشاعر القومية وتطلعاتها •

وعلى كل حال ، كل ذلك لايبرر الاسس التي وصل اليها الاجتماعي اليوغسلافي م • ماركو فيتش الذي يزعـم : انه جرى خلال احقـاب الاربعينيات والخمسينيات « نوع من غربة الاممية في النظرية والتطبيـق ، داخل الحركة الشيوعية العالمية ، وكتب يقول : « لقد جرى التأكيد في اطار النظرية السائدة وفي التطبيق ان الاممية هي (النطاق الاعلى) للمصالـح الطبقية والفوق قومية ، وان الاممية تبقى خارج وفوق اطار المصالح القومية الوطنية للطبقة العاملة • » •

حول ذلك وقبل كل شيء ، تجدر الاشارة ، الى ان الكومنتـرن واقسامه ، لم يكونا في كل الاحوال ، وحيدي النظرة في تناولهم لمسألـة الترابط بين ماهو اممي وماهو وطني • وفي هذا المجال ، نجد من الضروري العودة الى المؤتمر السابع للكومنترن ، الذي ادان بحزم مظاهر العدميـة الوطنية • ان وثائق المؤتمر ، تؤكد على اهمية تمسك الاحزاب الشيوعية بمواقعها الوطنية ، وان تناضـل لاعلاء التقاليـد الديمقراطية لشعوبهـم • « على الاممية البروليتارية ، ان « تؤقلم » نفسها ، ان صح التعبير وفي كل بلد ، وذلك لتضرب جذورها في اعماق الارض الوطنية • » • قال جورجي

ديمتروف الامين العام للجنة التنفيذية للكومنترن في المؤتمر : « ان الاشكال الوطنية للنضال الطبقي للبروليتاريا ، وحركة الطبقة العاملة ، في كل بلد على حدة ، لاتتعارض مع الاممية البروليتارية • وعلى العكس تماما **فان المصالح الاممية للبروليتاريا (١)** يمكن اعلاءها ايضا من خلال هذه الاشكال •• سوف تدلل الثورة الاشتراكية على انها قادرة لتحرير الامة ، وعندها سوف تتفتح الطريق واسعا ، الى ذرى التقدم • ان الطبقة العاملة اليوم ، تبني تنظيمها الطبقي ، وتدعم مواقعها ، تدافع عن الحقوق الديمقراطية والحريات ضد الفاشية ، **وتقاتل لدحر الرأسمالية ، وبكل هذا (١) تقاتل لتحقيق مستقبل الأمم »(١)** •

تلك الافكار ، وجدت تجسيدا لها في نضال الاحزاب الشيوعية ضد الفاشية في سنوات الحرب العالمية الثانية • ان مبادىء الوحدة الاممية والوطنية قد وجدت لها تطويرا لاحقا في ايامنا هذه في وثائق وممارسة الحركة الشيوعية العالمية •

ان الباحث الاجتماعي اليوغسلافي ، على حق في التأكيد على الترابط بين الاممية والوطنية القومية ، في حركة الثورة العالمية • الا ان هذا الترابط لايعني التساوي[٢] بين ما هو اممي ، وما هو وطني ، من حيث الاهمية ، **ولا يلغي أولوية الاممية (٢)** • وذلك لوضع المصالح الطبقية الاممية بوجه عام ، فوق المصالح الخاصة ، فالمصالح الطبقية الوطنية تشكل حاجة مرحلية للاممية البروليتارية • ان الاممي الحقيقي « يتوجب عليه ان لايفكر فقط

---

(١) التشديد من النص •

(٢) التشديد من المترجم ـ الترابط شيء والتساوي شيء مختلف تماما •

في حاجته الخاصة ، بل عليه ان يضع فوق كل شيء مصالح كل الامم ،بما في ذلك حرياتها ومساواتها المشتركة ... وعليه ان يناضل ضد الافق القومي الضيق المحدود ، الانعزالي ، آخذا بعين الاعتبار الكل العام الشامل، وان يخضع ماهو خاص للمصالح العامة .» (١) .

ان يقظة المجتمع الدولي لمصالح واهداف الطبقة العاملة ، لم تبرز تلقائيا ، او انها مقصورة على النشاط داخل الحدود القومية . مايبرز تلقائيا في تلك التربة هو « الوطنية » . لذلك فان **دهر وصياغة الوعي الاممي يكون بحكم الضرورة(٢)** ، ابعد من الحدود القومية ، وهذا يتطلب بشكل مسبق قدرا هائلا من العمل الايدلوجي والثقافي من جانب الحزب الماركسي اللينيني ، وايصال النظرية الى صفوف الجماهير . ان التناول الاممي يتضمن بالضرورة جانبا نظريا علميا . ان احكام النظرية حول التجربة العالمية يجعل الامر ممكنا لفهم التجربة الوطنية لانها مرافقة لعملية الثورة العالمية .

الاممية لاتذوب في المصالح الوطنية ، لانها تفرض على الطبقة العاملة وطليعتها الثورية في كل بلد ، الالتزام ، باخضاع القضايا الوطنية للمصالح الطبقية ، بكل ما يترتب على ذلك من تضحيات قومية من اجل الاهداف المشتركة للبروليتارية العالمية .

كتب لينين وهو يفضح ويعري التشويهات الانتهازية والاستهتار التصالحي لمفهوم سياسة الاممية : « ان قومية البورجوازية الصغيرة تدعي

---

(١) لينين المؤلفات مجلد ٢٢ ص ٣٤٧ .

(٢) التشديد من المترجم ـ صهر ، صياغة ، بحكم الضرورة : تلك هي المسألة . المترجم .

الاممية ، فقط ، لمجرد اعترافها بالمساواة بين الامم [1] ، وليس اكثر من ذلك • وبغض النظر عن واقع ، أن هذا الاعتراف ، ماهو الا مجرد كلام محض ، فان اممية البورجوازية الصغيرة ، تحتفظ بمصالحها الذاتية بكل مافيها من حياة ، في حين ان الاممية البروليتارية تتطلب ، اولا ، اخضاع مصالح البروليتارية في اي بلد على حدة لمصالح النضال على النطاق العالمي • وتتطلب ثانيا،ان تكون الامة التي انجزت النصر علىالبورجوازية، قادرة وراغبة لتقديم اعظم التضحيات القومية في سبيل الاطاحة بالرأسمال العالمي • » [2] • على الرغم من ان نضال الطبقة العاملة في كل بلد ينطلق من محتوى قومي ،وبالتالي لايمكن فصلهعن مصالحومشاكل الامة القومية، الا انه معذلك وبالرغم من ذلك تبقى للبروليتاريا« اطارها الاوسع والاعلى مستوى ، فيما يتعلق بالمصالح الطبقية ، ذلك بحكم انها تعمل كجزء من الطبقة العاملة العالمية •

ان حاجة الطبقة العاملة « لتضرب جذورها » في التربة القومية تنبع من حقيقة ان : مهمة الطبقة العاملة هي المحرك الثوري لطاقة الامة ، للمشاركة في تحقيق مهمة اممية واحدة ، وهذا يؤكد عند التحليل النهائي ، انه الطريق الوحيد لحل المسائل القومية بشكل جذري ، بما يخدم مصالح الاغلبية الساحقة للامة • هذا ما اشار اليه انتونيو جراماسي ، وهو **اولوية الاممية على القومية** [3] في اطار الوحدة بينهما عندما كتب يقول :

---

(١) التشديد من المترجم ـ لاحظ تعبير « بين الامم » مقابل التعبير المفهوم مما سبق « بين الطبقات » المترجم •

(٢) التشديد من المترجم ـ وهذا يعني الربط الجدلي بين القضايا القومية ، والقضايا الاممية ، بشرط ان يقود عملية الربط الحزب الشيوعي للطبقة العاملة •

(٣) التشديد من المترجم •

« •• يجب ضمان انطلاق التطور باتجاه الاممية ، الا ان نقطة الانطلاق ، تكمن في « القومية » ومن هنا ، يجب ان نبدأ ، وعلى كل حال ، مايبدو في الافق المنظور هو الاممية ، ولا يمكن ان يكون خلاف ذلك ، لذلك يصبح من الضروري اجراء دراسة شاملة حول توحيد القوى الوطنية بقيادة الطبقة العاملة ، التي يتوجب عليها ان تتطور وهي متمسكة بالافاق الاممية المنظورة ، والتي يتطلبها التطور العالمي • » [1] •

ان الترابط بين ما هو « قومي » وماهو « اممي » في الصراع الطبقي للبروليتاريا مع استبعاد الصعوبات ، يفترض بشكل مسبق ، بروز المصالح المشتركة للطبقة العاملة العالمية ، بروزها نحو « اطار المصالح العليا • وبهذه الطريقة فقط ، تستطيع البروليتاريا ، أن تأخذ لنفسها موقفا مستقلا في النضال من اجل المصالح القومية • ان انضواء « الافاق العليا » لمصالح البروليتاريا في المصالح القومية انما يدلل على اخضاع الطبقة ، للقومية ، والتراجع نحو القومية البرجوازية •

وحدة الديالكتيك

طالما ان كل طرف قومي من الطبقة العاملة ، يترتب عليه التزامات ، ففي مثل هذه الحال ، لاتظهر الاممية على انها قوة تعمل بمؤثرات من الخارج • وفي هذا الصدد قال الامين العام للحزب الشيوعي الاميركي ، جس هول ، في اجتماع موسكو ١٩٦٩ : « اننا لانعتبر الاممية عبئا ، او استسلاماً ، وليست مجرد شعار يجب علينا أن نرفعه ، كما انها ليست شيئاً

---

(١) لينين ـ المؤلفات ـ المجلد ـ ٣١ ص ١٤٨ •

للزينة ، او تطيب المذاق • ان الاممية عامل اساسي لايمكن الاستغناء عنه ، لاغناء المحتوى الثوري للصراع الطبقي •

تشكل الاممية والقومية ، وجهان للصراع الطبقي للبروليتاريا • عندما تتخلى عن الاممية ، تتخلى عن المواقع الطبقية لصالح القومية ، التي تتسلل اليها المصالح الطبقية لرأسمال وتحقق النصر • كما أن التخلي عن المهام الوطنية يؤدي الى فقدان الارضية الحقيقية التي ينهض ويستند اليها النضال ، ولا يبقى بعد ذلك ، سوى الانتظار الذي لاجدوى منه ، لقدوم المسيح • فالاممية والقومية ، اذن متشابكتان في حركة الطبقة العاملة الثورية ؛ ولا يمكن فصلهما بصورة ميكانيكية • ان الوحدة بينهما تجد تعبيرا عنها في الربط الى أقصى حد بين الاهداف الرئيسية لنضال البروليتاريا الطبقي ، وبين وسائل تحقيق هذه الاهداف ، بأكبر قدر من الصواب ، في بلد معين ، وفترة معينة •

بالطبع ، هناك الخط الفاصل بين ايصال الاهداف الى نهايتها ، وبين وسائل تحقيق ذلك ، وهذا يبقى نسبيا وشرطيا في العمل السياسي • فهدف النضال السياسي للطبقة العاملة هو الاستيلاء على السلطة • الا أن القوة تصبح الى حد بعيد من وسائل تطبيق المهام الاشتراكية ، وبالتالي ، من غير الصواب ان ترتبط الاممية بالافكار المثالية ، او الاهداف النهائية لحركة الطبقة العاملة • ذلك من شأنه ان يمهد الطريق ، لترجمة الاممية بمعزل عن الممارسة اليومية للنضال الطبقي بصورة اعتباطية ومبهمة • يرافق الاممية ، اساليب النضال البروليتاري ، هذا الى جانب السمات العامة المشتركة ، وهذه ، تقررها طبيعة الاهداف الاممية للبروليتاريا ، ولا تعتمد على الاعتبارات القومية او التاريخية الخاصة ، يضاف الى

ذلك ايضا ، القوانين العامة للحركة الثورية ؛ وهذه تظهر من خـــلال الاساليب المحددة في نشاط الطبقة العاملة واحزابها الماركسية اللينينية في مختلف الاقطار • من هنا تبرز اهمية دراسة التجربة العالمية،لا من وجهة نظر اهداف النضال وحسب بل وايضا من وجهة نظر السياسة العملية ، واهمية الاختيار الصائب والتطبيق الفعـــال للوسائل واساليب النضـــال البروليتاري ، التي سبق وتم امتحانها •

لذلك ، تفرض وحدة الاممية مع ماهو قومي ، مسألة تنسيق اعمال الطبقة العاملة على النطاق العالمي • اما التناول الميكانيكي للمسألة فانـــه يجزيء نضال الطبقة على النطـاق العالمي ، الى اقســـام قومية منفصلة ، وينحدر بالروابط بينهـا ، الى الحضيض ، ويقود الى تقـــديرات ضيقة الافق ، وحيدة الجانب ، للعلاقات بين الاطراف القومية ، للطبقة العاملة •

صرح ساكس ، ممثل حزب الشغيلة الشيوعيين في المانيا في المؤتمـر الثالث للكومنترن ، وهو ينطلق من مواقـع « اليسارية » ان الاتفاقيـــات الاقتصادية التي تعقدها روسيا السوفياتية مع البلـدان الرأسمالية ، تسـير باتجاه مضاد لمصالح الطبقة العاملة ، في تلك البلدان الرأسمالية ، ويستنتج من ذلك « يوجد تناقض بين مصالح العمال الثوريين في البلدان الغربيـــة ومصالح السلطة السوفيتية » [1] •

مارآه ساكس واعتبره تناقضا ، يدلل على صعوبة تنسيق العمل على النطاق العالمي ، وفي داخل اطار البلدان الاخـرى ، كلا على انفـــراد • حقا انها مسألة معقدة •

---

(١) المؤتمر الثالث للشيوعية العالمية (تقرير فيرتام) نيروغراد ١٩٢٢ ص ٣٦٤ •

هنالك لحظات في التاريخ ، تبدو معها مقتضيات التكتيك في النضال ، وكأنها على خلاف ولفترة زمنية ، مع متطلبات النضال الطبقي ، في الساحة العالمية ،مثل هذه اللحظات ، دليل على نضوج القوى الثورية ، وانها على استعداد للموافقة بشكل مؤقت ، لتحمل الخسائر التكتيكية ، في سبيل المصالح الطبقية المشتركة للبروليتاريا العالمية ، وفي سبيل نجاح استراتيجيتها، والتي بدورها سوف تضمن ، عاجلا ام اجلا ، النجاح على النطاق القومي.

ان التضامن الاممي للاطراف القومية للطبقة العاملة ، يستبعد التناول الذي لاجدوى منه للاممية ، او لمحاولة ابتزازها . قال رودني ارسمندي في خطابه ١٩٦٩ امام مؤتمر موسكو وهو ينتقد اولئك الثوريين الذين يقيمون علاقاتهم بالحزب الشيوعي السوفيتي من مواقع ابتزازية « ... هؤلاء يسجلون لانفسهم النجاحات التي تمت في حقل التحولات الاشتراكية في البلدان الاشتراكية ، في الوقت الذي يعتبرون فيه نتائج الصراع الطبقي في الحلبة العالمية ، وما يرتبط به من متطلبات النضال ، للدفاع عن النظام الاشتراكي ، هذه المتطلبات التي تشكل ، الممهدات الضرورية للعملية الثورية العالمية ، يعتبرون ذلك كله عائقا لنجاحاتهم . من الصعوبة بمكان ان نصدق ان مثل هذا التقييم يتلائم مع الاممية البروليتارية . كما ان الصعوبة اعظم في تصديق ، انهم قادرون على ضمان تحول هذا الحزب او ذاك الى قوة سياسية وطنية . »[1]

الاستقلال والمسؤولية الاممية :

ضربت مبادىء الاستقلال ، والمساواة ، والسيادة ، جذورها عميقة بين الاحزاب الشقيقة في الحركة الشيوعية العالمية . هذا يتطابق مع تنوع

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية . موسكو ١٩٦٩ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

الظروف والتجربة النضالية للاحزاب ، ومع المواقع الحسية المتفاوتة ،التي يشغلها كل حزب في الجبهة المشتركة للحركة الشيوعية ؛ كما يتلائم مع نضال الاحزاب الشيوعية لاكتساب القيادة السياسية ، لكل القوى الثورية والديمقراطية في بلدانهم • الى جانب ذلك ، وفي الوقت نفسه ، فان الديالكتيك الموضوعي ، للمطالب الاممية والقومية ، يجب النظر اليها ، من الزاوية الاممية ، دون أن تتعارض معها •

« كل حزب شيوعي ، مسؤول عن نشاطه أمام طبقته العاملة ، وشعبه، وفي الوقت نفسه مسؤول أمام الطبقة العاملة العالمية • ان المسؤوليات الوطنية والاممية لكل حزب عمالي وشيوعي ، لايمكن تجزئتها • ان الماركسيين اللينيين : وطنيون بقدر ماهم امميون ؛ فهم يرفضون ضيق الافق القومي ويرفضون النفي أو التقليل من المصالح الوطنية ، كما يرفضون السعي للسيطرة القومية • » [1] •

هذه هي الصيغة النظرية الدقيقة والسياسية المتوازية ، التي توفر المعالجة الصائبة الوحيدة ، لتقييم معيار استقلالية كل حزب شيوعي ، في داخل اطار الاممية البروليتارية •

ان استقلالية وسيادة أي حزب شيوعي ، لها بعدان اثنان ، أحدهما وطني ،والآخر طبقي•فالبعد الاول يشكل **مقياس النفوذ الحقيقي للحزب وثبات مواقعه في بلده** [2] • بينما البعد الآخر **يكون مؤشرا لاستقلاله الطبقي** [2] ، في علاقته بالاحزاب والقوى السياسية ، التي تعبر

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية ـ موسكو ١٩٦٩ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ •
(٢) التشديد من المترجم • •

عن مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية الاخرى • والوجه الطبقي لسيادة الحزب يشكل قواعد توطيد وحدته وتضامنه مع الاحزاب الماركسية اللينينية الاخرى • ومن هنا فان الادراك الصحيح لهذين البعدين ، يجعل من نمو استقلالية الحزب ، **قوة لتوطيد الحركة الشيوعية العالمية(١) ويحول دون اضعافها** • هنا أيضا تنمو الروابط المتبادلة بين الاحزاب بصورة معقدة ، الا أن محتواها ، يزداد ثراء ، وبالتالي تستفيد الحركة الشيوعية بمجموعها •

ان الاتجاه على النطاق العالمي ، نحو مزيد من الحرص الذاتي للحزب ، وما يتمحض عنه ، من تعاظم في المشاعر القومية ، يكون في بعض الاحيان موضع اغراء للحزب في السعي وراء المكاسب على الصعيد القومي ، لاحراز الشعبية ، ويتم هذا بتأكيد استقلالية الحزب ، لدرجة الاضرار بالسلوك الطبقي ، ومبادىء التضامن الاممي البروليتاري ، والنظام الاشتراكي ، والاحزاب الشيوعية الأخرى • مثل هذا الموقف يقود الى معارضة التضامن الوطني بالاستقلال الطبقي ، وهذا من شأنه أن **يخلق خطر التخلي عن الاممية البروليتارية واخضاعها للقومية البورجوازية(٢)**

ان الاستقلال الاصيل للحزب الثوري للطبقة العاملة يكمن في الاستقلال الطبقي في علاقته بالبورجوازية سياسيا وايديولوجيا • وكما قال وليمز كاشتان الامين العام للحزب الشيوعي في كندا ، في خطابه أمام المؤتمر

---

(١) التشديد من المترجم •

(٢) التشديد من المترجم • لأن هذا يعني بالضرورة التخلي عن الموقع الطبقي للبروليتاريا، واخلاء السبيل لنفوذ البورجوازية لتصل الى هدفها ، ليس على الصعيد الاجتماعي ، بل وايضا داخل الحزب نفسه ، ويعني ايضاء ان يفقد الحزب احد الاركان الاساسية المبدئية لصفاته المميزة ، أي انهيار الحزب وتسليمه للبورجوازية المترجم •

الرابع والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي كما نشرته التربيون الكندية في ٧ نيسان ١٩٧١ : « ان استقلالنا وسيادتنا ، تستندان الى الاستقلال عن البرجوازية ، والايديولوجية الاصلاحية والطبقة الرأسمالية » •

تبرهن التجربة التاريخية ، أن أي حزب شيوعي لايستطيع ، صياغة سياسته المستقلة ، دون أن يأخذ في الحسبان • المهام المشتركة للحركة الشيوعية ، ذلك ، لان التحليل النهائي ، يؤكد أن نجاح الشيوعيين في كل بلد ، يعتمد على نجاح الحركة الشيوعية العالمية في انجاز مهامها • تجدر الاشارة هنا الى أن الموقف « المحايد » [1] فيما يتعلق بالشؤون المشتركة للحركة الشيوعية ، يدل على شيء واحد فقط ، : هو القبول والتسليم ، لمفهوم البورجوازية القومي حول مسألة الاستقلال ، باعتبار ذلك قطبا معارضا للاممية البروليتارية • ان المديح الذي تغدقه الدعاية البورجوازية ، لاولئك الذين يسعون لاقتناص المكاسب ، « في نقدهم » الاحزاب التي تتصدى للمسؤولية الصدامية ، في سبيل وحدة وسلامة الحركة الشيوعية العالمية ، هذا المديح له معناه ودلالته • فهدف هذا المديح المنافق هو تقويض الاممية البروليتارية • وعلى المدى الطويل لابد وأن يؤدي نقدان الاستقلال الطبقي للحزب ، الى تقويض مواقعه الوطنية ايضا ، ذلك ، لان الاحترام السياسي الوطني للاحزاب ، يعتمد مباشرة ، على حجم وقوة ارتباطاته الاممية • فالنفوذ السياسي لكل حزب لايقاس فقط بمنجزاته على الصعيد الداخلي ، بل ويقاس ايضا بالوضع العام للحركة الشوعية • فالحزب الشيوعي ، الذي يصرف كل اهتمامه للقضايا القومية فقط يتساوى في ذلك ، مع الحزب الذي يفصل نفسه عن القوة السياسية التي فرضتها

الحياة ، هذه القوة التي تمثلها الحركة الشيوعية ، بمجموعها • « يستمد حزب البروليتاريا قوته من قدرته على الاستفادة ، الى الحد الاقصى من الفرص الداخلية المتاحة من أجل مصالح الشعب ، وتطور بـــلاده ، وفي الوقت نفسه ، في سبيل مصالح قضية الاممية المشتركة للثورة الاشتراكية •» هذا ماقاله في اجتماع موسكو ١٩٦٩ ليونيد بريزينيف • وأضاف «وبالمقابل فان محاولات « تقوية » مواقع الحزب باضعاف ، أو حتى ، بالانسلاخ عـن روابطه الاممية ، عن طريق رفض العمل المشترك ، مع أطراف الحركـة الشيوعية ، هذا وذاك يؤديان الى فقـدان الاستقلال الايديولوجي عـــن البورجوازية • وبالضرورة الحتمية يلحـق الضرر بالاحترام السياســي للحزب المعني »[1] •

ان استقلال وسيادة الاحزاب الشيوعية ، كلا على انفراد ، يفترض بشكل مسبق ، شعورا بالمسؤولية ، تجاه القضية المشتركة للشيوعية العالمية ، ووحدة صفوف الشيوعيين ، والقدرة على انتهاج سياسة ، تتضمن الاعتراف اللائق ، بالدور الحاسم للمجابهة الطبقية الرئيسية في النضال على النطاق العالمي ، وهذا تتوقف على نتائجه ، عند الحساب الختامي ، قضية نجاح الحـركة الثورية لكل بلد • تلـك هي السمات المميـزة للسياسة الطبقية المستقلـة الحقيقية ، كما تتزايد المسؤولية الاممية ، من تزايد ونمو استقلاليـــة الاحزاب الشيوعية •

ان تضامن كل حزب شيوعي ، مع كافة الاحزاب الشيوعية بمجموعها ، يشكل تعبيرا ، عن تحقيق كل حـزب ماركسي لينيني لوجوده ، كطرف

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية في موسكو ١٩٦٩ • ص ١٦١ •

مستقل من أطراف الحركة الشيوعية العالمية • وهذا يقابلـه من الجانب الاممي ان يستفيد كل طرف ، من دعـم ومساندة الحركة الشيوعيـة بمجموعهـا •

هذه القاعدة ، تكتسب مغزى هاما ، فيما يتصل بالعلاقات بين البلدان في المجتمع الاشتراكي العالمي • وكل عضو في ذلك المجتمع ، هو عنصر هام في الترابط بين القوى الطبقية في العالم •

ان خطر انهيار هذه الرابطة ، أو تلك ، يؤثر على المصالح الحيوية لكل المجموعة الاشتراكية ، وبالتالي على كل الطبقة العاملة والحركـة الشيوعيـة •

ان الواجب الاممي لشعوب البلـدان الاشتراكية يتطلب منهـا أن تهب وتنهض ، لمساعدة الطبقة العاملة والشعب ، في أي بلـد اشتراكي يحدق به الاخطار •

كما أن المصير المشتـرك الذي تواجهه بلدان المجتمـع الشيوعي ، والروابط الاخوية الطبقية التي تشـدها الى بعض ، تؤمن ، لكل بلـد اشتراكي ، الدعم الشامل من النظام الاشتراكي بمجموعه هذا كله يفرض على كل بلد اشتراكي بمفرده في نفس الوقت ، أن ينهض بأعباء التزاماته الاممية في السياسة الداخلية والخارجية ، وأن ينطلق لا من زاوية مصالح الجزء ، بل من زاوية مصالح الكـل ، وبالتالي أن لايدخل في حسابـه متطلباته الخاصة وحسب،بل وتلك المصالح المتصلة بكل النظام الاشتراكي• فالعلاقات بين البلدان الاشتراكية تستند الى المساواة الاصلية • على كـل حال ، قد يجد البلد الذي ينتهك مقاييس التضامن الاممي ، قد يجـد

نفسه على غير وفاق مع شركائه ، ويخلق التوتر في علاقته بالبلدان الأخرى • واي رفض من احد البلدان الاشتراكية ، لشرف الوفاء بالتزاماته الأممية ، باعتباره عضوا في تلك المجموعة ، سوف يؤدي حتما ، الى انتهاك روابط المساواة ، وبالتالي يضعف من روابط التضامن مع كل المجموعة الاشتراكية •

ويحتمل أن يؤدي مثل هذا الموقف الى الاضرار بمصالح العالم الاشتراكي ، وبالمصالح الوطنية لكل بلد اشتراكي على حده • ان سياسة المجتمع الاشتراكي ، وسياسة دوله ، يتم تقريرها وفقا للمصالح الطبقية المشتركة لاعضاءه •

مصادر اتجاهات قوى الجذب والطرد المركزي :

يشكل المفهوم الوحيدة الجانب ، لقضية الاستقلال عند الاحزاب الشيوعية ، المفهوم الذي يتصدى لمعارضة وحدة الشيوعيين العالمية ، يشكل مظهرا من مظاهر اتجاه حركة قوة الجذب والطرد المركزي في الحركة الشيوعية • (اي اتجاه عملية التبلور ، المترجم •) • هذه المفاهيم والتوجهات ، لايمكن اعتبارها من قبيل الصدفة المحضة • لانها تعبر عن التغييرات في الوضع العالمي ، وفي التركيب الاجتماعي للقوى الثورية ، كما تعبر ايضا عن الصعوبات والمشاكل التي تنشأ من عملية التنسيق لجهود الاحزاب الشيوعية ، التي تعمل في ظروف متفاوتة •

سبق واشرنا ، أن التركيب الاجتماعي ، في بنية القوى المناهضة للامبريالية ، والتي تشمل ، طبقات شبه بروليتارية ، والبرجوازية الصغيرة ، تقول هذه التركيبة الاجتماعية تلعب دورا مؤثرا في الحركة الشيوعية العالمية • اشار لينين الى ذلك من قبل : الى أن انتماء اقسام

واسعة من الشعب العامل لحركة الشغيلة ، لابد له ، ان يترافق بشكل حتمي ، مع التردد في اطار النظرية والتكتيك • ومن هنا تتكرر الاخطاء السابقة ، ثم التكوص المؤقت ، لوجهات النظر والاساليب التي عفا عليها الزمن ، وهكذا دواليك • يقول لينين في هذا الصدد : « ان حركة الطبقة العاملة في كل بلد ، تنفق قدرا متفاوتا من الطاقة والوقت والعناية ، وبشكل دوري ، من اجل تدريب العناصر الجديدة » (١) • كان عدد المجندين الجدد ، الذين انضموا الى الحركة الشيوعية في الفترة التي تلت الحرب، اكبر بما لايقاس ، عند مقارنته مع التجربة السابقة ، وهذا يعني ، زيادة الجهد والعناية ، اللازمين الى درجة كبيرة ، من أجل تدريب وتطوير هذا العدد الضخم من الناس •

من بين الصعوبات البالغة التي تواجه الحركة الشيوعية وعليها أن تتصدى لمجابهتها ، النضال ضد التحريفية اليمينية ، وراديكالية البورجوازية الصغيرة ، والفصائل المتنوعة من القومية ، بالاضافة الى الصعوبات ، في انتهاج سياسة اممية طبقية ثابتة ، ومواصلة المحافظة على الامانة لمبادىء الاممية البروليتارية •

ان تحديد العلاقة الصائبة بين المهام الاممية ، والقومية ، مسألة صعبة، بسبب التنوع في تجربة الممارسة السياسية للاحزاب ؛ وهذه بدورها تنجم عن تزايد الاختلاف في الظروف التي تعمل فيها الاحزاب • كما أن الفوارق العميقة في تجربة الاحزاب ، تولد معها مبالغة في تقدير هذه الاحزاب لتجربتها في تحديد المهام المشتركة للحركة الشيوعية • حيث تنشأ في مثل هذا الحال أخطار المعالجة المحدودة الافق ، للنظرة القومية في مسألة الاممية البروليتارية ، وفي بروز الاتجاهات القومية والانعزالية •

---

(١) لينين المجموعات الكاملة : مجلد ١٦ ص ٣٤٨ •

تلك هي بعض الاسباب الموضوعيـة ، التي نشأ معها ، احتمـالات الجنوح عن المسألة المركزية في الحركة الشيوعية العالمية • وفي هذا يرى الايديولوجيون المناهضون للشيوعية ، أن هذه التوجهات لانكوص عنها ، كما يرون أن الحركة الشيوعية ، تواجه انحسارا متعدد المراكز ، بتأثير ضغوطهم • وفقا لاحد الخبراء في مناهضة الشيوعية ، ريتشارد لاوينتال ، حيث قال : ـ « ان الحركة الشيوعية تواجه احد الخيارين ، ولا مفـر منهما : » ـ « اما ان الوحدة البرغمائية (اي الواقعية الذرائعية ـ الواقعيـة التبريرية) المستندة الى المهادنة ، او ان تختار الصراع الايديولوجي الذي يقود الى الانشقاق • » [1] ومع ذلك،فمن وجهة النظر الحقيقية ، نقول: ـ ان تشديد حدة الاتجاهات الجانحة عن المركز ، ماهي الا تعبير عن انتقال الحركة الشيوعية العالمية الى مرحلة جديدة اعلى في حركة التطور ، وهذا يعني مزيد من الصقل والترسيخ للوحدة الملائمة للوضع في عالمنا الراهن•

ان الموقف السلبي ، والتأملي نحو الاتجاهات الجانحة ، من شأنهفقط أن يخدم هذه الاتجاهات ، لتنمو بأخطار متزايـدة • كما أن الاعمـال المضادة النشيطة والصدامية ، تحد من آفـاق مستقبل هذه الاتجاهـات ، وتؤدي الى وحدة أقوى بين الشيوعين • هذا هو ماحملته تجربة السنوات الحديثة • كما أن الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية الذي عقد في موسكـو ١٩٦٩ ، برهن خـلافا لتنبؤاتهـم ، على أنـه خطوة هامة الى الامام ، باتجاه التغلب على الاتجاهات الجانحة وباتجـاه توطيد الوحدة الاممية للشيوعيين • خدم اللقاء نحشيد الحركة الشيوعية ، كما أنه كان مؤشرا للمهدات من أجل تسوية الخلافات الفكرية • اشارت الوثائق الايديولوجة التي تبناها الاجتماع ، « ان الذكرى المؤية لميـلاد

---

(١) ريتشارد لاوينتال • العالم الشيوعي • نيويورك ١٩٦٦ ص ٢٥٦ •

فلاديمير ايلتش لينين • » ، اكدت فيها كل الاحزاب المشاركة في الاجتماع، ومن جديد على أمانتها لمبادىء الماركسية اللينينية ، وهذا من شأنه أن يخلق القواعد للتغلب على اي اختلافات قائمة بين الاحزاب الشقيقة •

اشار لينين وهو يتحدث عن اعتراف الشيوعيين بمبادىء الماركسية : « تمشيا مع هذه المبادىء الماركسية ، فان ما ينشأ من خلاف ، لايدعو للقلق، لان هذه الخلافات تمثل الالم المتزايد ، ولا تمثل انحطاط الشيخوخة •»(١)

منذ اجتماع عام ١٩٦٩ كانت الوحدة الايديولوجية للحركة الشيوعية تنمو من عام لآخر • سجل الكفاح في سبيل الوحدة ، كما وجد له تعبيرا ـ الى جانب الامور الاخرى ـ في القرار ، الذي اتخذته الاحزاب الماركسية اللينينية ، برفضها موقف القيادة الصينية المستند الى موقع القوة العظمى ، كما وجد له تعبيرا ايضا ، في النضال النشيط ضد الاتجاهات التحريفية ، وفي تشديد قوة الترابط الفكري لعمل الاحزاب الشقيقة •ان ذلك كله يشكل علامات فارقة على طريق الوحدة الايديولوجية •

الوحدة السياسية ، والوحدة الفكرية ، متلازمتان • هذه الحقيقة هي ما سجلها واكدها المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي ، في قراره الذي يناشد فيه « مواصلة العمل بثبات ••• من اجل انجاز المزيد من التلاحم السياسي للحركة الشيوعية ، ووحدتها الايديولوجية الماركسية اللينينية •

ان مجرى الاحداث ، يدلل على عدم جدوى المفهوم البرغمائي

---

(١) لينين المؤلفات الكاملة مجلد ٣٠ ص ٥٥ •

للوحدة في الحركة الشيوعية ، لتصبح الوحدة مجرد العمل المشترك الواقعي • مثل هذه الوحدة ، ستكون شكلية مفتقرة للاسس النظرية ، التي تشترك فيها كل الاحزاب الشيوعية ، مفتقرة الى النظرة العالمية المشتركة والاسلوب المشترك في تحليل الواقع وبناءه من جديد • والمفهوم البرغمائي يجعل الوحدة مجردة من الاستراتيجية ، للعصر الراهن ، وهذا يعني ضرورة الربط بين القوى وموازينها ، وآفاق التطور • وأخيرا ، فان مثل هذه المعالجة للاعمال المشتركة من جانب الاحزاب ، سوف تؤدي عاجلا ام آجلا ، الى فقدان نفوذها لان وحدة العمل لايمكن فصلها عن القواعد الايديولوجية • ومن هنا تشكل الاعمال المشتركة والمبادىء الفكرية ، عناصر مشتركة مترابطة للوحدة الاممية الطبقية في الحركة الشيوعية العالمية • اشار اجتماع عام ١٩٦٩ الى ان « الامانة للماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ، بالاضافة الى واجب العمل المقدس المتفاني في سبيل مصالح الشعوب ، وفي سبيل قضية الاشتراكية المشتركة ، هذه وتلك هما ، مقتضيات العمل الموحد الفعال في الاتجاه الصحيح للاحزاب الشيوعية والعمالية ، وهي الضمانة لانجاز أهدافهم التاريخية • » [1] •

يتساوى في ذلك ، خطأ آخر مماثل ، يقف على النقيض من التطرف المقابل ، لانه يجعل من وحدة العمل المشتركة ، مشروطة ، بانجاز وحدة ايديولوجية أولية ؛ وهذا مؤشر للدوغما الانفصالية (اي الترديد البباغائي الانفصالي ـ المترجم) • وفحواها « كل شيء او لاشيء » ، وهو هو الامر الشائع اليوم ، فيما يتعلق بالشؤون الداخلية للحركة الشيوعية •

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية ١٩٦٩ ص ٣٨ •

وبكلمات موجزة : ـ اولئك الذين يتمسكون بمثل هذه الصيغ ، يظهرون مدافعين عن الوحدة ، الا انهم في الحقيقية يواصلون الانشقاق عن الحركة، لانهم يسدون الطريق الى الوحدة ، بالدعوة لتصفية الخلافات الايديولوجية أولا ، متسترين بالدعوة للاعمال المشتركة ضد الامبريالية • حقـا ان الوحدة الايديولوجية تتحول الى شيء لاحياة فيها ، وتصبح وجهات نظر بدون فكر ، عندما ينظر اليها من تلك الزاوية •

عندما نأخذ الظروف المتنوعة ، وخبرة الاحزاب بعين الاعتبـار ، يصبح من الصعب تصور الوحدة ، أنها شيء متفق عليه بصورة كاملة ،وفي كل الاحوال • حيث ينشأ مع التنوع خلافات حول كيفية تناول المسألـة ، حول تقويمها ، والموقف منها : تساهم هذه الخلافات ، مع التمسك بقواعد الوحدة حول القـرارات الاساسية في تطوير النظرية وسياسية الحركـة الشيوعية • وهكذا يتكون تعميم وتأليف التجربة والفكر الثوري •

يتم تثمين النظرية ، والسياسة ، المشتركة ، في خضم تبادل التجارب والبحث المشترك الخلاق للمشاكل ، وفي مجرى الاعمال المشتركـة في النضال ، من اجل الاهداف المشتـركة • ان عملية النضـال ، خاصة في اللحظات الحرجة تتطلب تبني مواقف طبقية محددة الوضوح ، وبالتالـي تستنبط الاهمية المقارنة ، لمختلف الآراء والمواقف ، ويتم فضح ماتقـوم به الآراء الانتهازية القومية والتحريفية من تضليل ، وبالتالي ، توحـد القوى الطليعية للبروليتاريا على ارضية طبقية ، لكل الذين تشبثوا والتصقوا بالمواقف الاممية الصحيحة •

النضال من أجل الوحدة :

جاء في البلاغ الصادر عن الاجتماع الاستشاري ، لممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية ، الذي عقد في آذار ١٩٦٥ ما يعبر في جانب منه ، عن التناول الديالكتيكي للوحدة : « ان المشاركين ، ـ في الاجتماع ـ يعلنون عن قناعتهم الراسخة ، أن مايوحد الاحزاب الشيوعية ، يفوق كثيرا مايؤدي ، في الوقت الراهن ، الى تفرقهم • وعلى الرغم من خلافاتهم حول الخط السياسي ، والعديد من المسائل الهامة في النظرية والتكتيك ، الا انه من الممكن تماما ، ومن الضروري العمل لتوحيد العمل ضد الامبريالية ، فيما يتعلق في الدعم الشامل لحركة التحرر الوطني للشعوب، **وفي النضال من اجل السلام العالمي ، والتعايش السلمي بين كافة البلدان ،** صغيرها وكبيرها واختلاف انظمتها الاجتماعية ، والكفاح في سبيل المصالح الحيوية ، والاهداف التاريخية للطبقة العاملة • ان العمل المتناغم المنسجم، من اجل الاهداف المشتركة ، يشكل السبيل الفعال لتجاوز الخلافات القائمة • » [١]

ومن هنا ، يمكن لنا اقتفاء اثر الخطوط العامة للمفهوم الحديث لوحدة الحركة الشيوعية ، التي تطورت فيما بعد في اجتماع ١٩٦٩ وفي الممارسة العملية للعلاقات بين الاحزاب الماركسية اللينينية عبر السنوات الحديثة •

---

(١) النشرة الاعلامية • السلام والاشتراكية • براغ رقم «٦» ١٩٦٥ ص ٦ •

كما سبق واشرنا في الصفحات السابقة ؛ مع توسع القواعد الاجتماعية للاممية البروليتارية ، تظهر هنالك ، امكانية حل قضايا وحدة الحركة الشيوعية ، في اطار اوسع لوحدة القوى المناهضة للامبريالية • تبرهن الحياة على ان كلا من النوعين من الوحدة متشابك بالآخر • ان فقدان التجانس الطبقي في صفوف القوى المناهضة للامبريالية ، يتطلب اولا وقبل كل شيء ترسيخ دعائم نواة التحالف ، اي الطبقة العاملة • وطليعتها الثورية الا وهي الاحزاب الماركسية اللينينية •

على الرغم من ان الاممية البروليتارية ، تجاوزت الحدود التقليدية للطبقة العاملة ، الا ان جذورها العميقة وثباتها ، مرتبطان بالنضال الثوري للطبقة العاملة ، وبنشاط الاحزاب الماركسية اللينينية ؛ هذا في الوقت الذي اضحى فيه الانشقاقيون من ذوي الافق المحدود ، اكثر غربة عن الاممية من اي وقت مضى ، الامر الذي يؤكد ضرورة تناول ومعالجة مسألة الاممية من وجهة النظر الطبقية •

ان الحركة الشيوعية هي تجسيد حي ، لمبادىء الاممية البروليتارية ، التي ترفع علم المسيرة الثورية الطبقية ، نحو الاممية البروليتارية •

قل رئيس الحزب الشيوعي الدنيماركي ـ كنودجسبرين ،في اجتماع عام ١٩٦٩ « ان الجهد المبذول من اجل الوحدة (اي كل القوى المناهضة للامبريالية) يجب عليها ان لاتعمل ، في اي حال ، لاضعاف الجهد القائم لتصليب وحدة الحركة الشيوعية العالمية، تلك القوة الحاسمة التي التي لابد عنها ، من اجل الوحدة العريضة في النضال الفعال ، والمجدي ضد الامبريالية • هذا ما اكدته كل تجاربنا الوطنية والاممية • » [١]

---

(١) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية موسكو ١٩٦٩ • ص ١٩٨ •

تأكد هذا الطرح ، لتلك المسألة ، في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، الذي ضم الى جانب ممثلي الاحزاب الشيوعية الشقيقة ، ضيوفا من الاتجاهات الاخرى للحركة المناهضة للامبريالية ، وكما اشار ليونيد بريزنيف في كلمته الختامية « من الصعوبة بمكان ، ان نجد في التاريخ ندوة كهذه ، ضمت اليها ممثلي العالم الثوري ، والتحرري ، والتقدمي جنبا الى جنب » •

برهن تطور الاحداث بشكل مقنع خاص ، ان الدعوة للاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية كانت دعوة خالدة ؛ لم تبل مع كر الايام ، حيث طور هذا الاجتماع بصورة متقنة ، برنامجا سياسيا نضاليا ، للعمل المشترك ضد الامبريالية • فقد اكتسبت النقاط الاساسية في هذا البرنامج الاعتراف على نطاق واسع ، واصبحت اداة لتوحيد قوى اخرى حول الحركة الشيوعية في النضال ضد الامبريالية •

ان الجهود التي بذلها الشيوعيون ، وما حققوه من النهوض بدورهم الطليعي في العالم يطرح ثماره اليوم بنتائج ملموسة • كل ذلك يعزز لدرجة اكبر من مسؤولية الحركة الشيوعية ، ويدعوها للمضي قدما في النضال من اجل تلاحم صفوفها •

ان المفهوم الديالكتيكي لوحدة الحركة الشيوعية في العالم قد وجدت تجسيدا له في نظام من الاجرآءآت العملية ، تهدف الى التغلب على الخلافات القائمة : ـ

ـ العمل المشترك ضد الامبريالية ، وهذا من شأنه أن يجمع كل

الشيوعيين في كل البلدان ويساعد على التقييم السليم لوجهات النظر المختلفة •

– التوسع للحد الاقصى من الروابط والاتصالات بين الاحزاب الشقيقة ، لاستنباط ميكانيزم التنسيق لاعمالها ، وفي سبيل التغلب على الفوارق في مواقعها •

– تعميم الانجازات النظرية في عمل الاحزاب ، وانضاج الاساليب المطبقة الى درجة الكمال ، وتبادل وجهات النظر بشكل منظم ، بما في ذلك الدعوة لعقد اجتماعات عالمية للبحث النظري •

يشغل الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي موقعا مركزيا فيعملية توطيد وحدة الشيوعيين • وقد قال الرفيق جانوس كادار ، الامين الاول للجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي في هنغاريا ، في هذا الصدد : « على الرغم من اننا نتمتع بالمساواة ، الا اننا لانتساوى من حيث المسؤولية والاعباء • لانه مهما كان مقياسنا ، يبقى الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي وكذلك الشعب السوفياتي ، اللذان لهما حقوقا متساويا معنا ، ولا يطالبان بالمزيد ، يتحملان مسؤولية اكبر بما لايقاس مما يحمله اي منا [1] • فقد قدما ويقدمان اليوم بنزاهة تامة وبروح الاممية تضحيات اعظم مما قدمه اي طرف آخر ، في سبيل الشيوعية ، وحرية الشعوب ، ولمنع الحرب العالمية ومن أجل المستقبل السعيد لكل البشرية » [2] •

---

(١) التشديد في النص •

(٢) الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية موسكو ص ٣٣٢ •

ان اشكال الوحدة الاممية للاحزاب الشيوعية ، التي تتوافق مع الحالة الراهنة ، قد تم انجازها والعمل بها • ان التأكيد عليها بوصفها موضع التطبيق العملي ، يشكل صعوبة اكبر من تجسيده نظريا في وثائق برنامجه• وهذا يشمل التغلب على الافكار المحافظة ، المتشبثة بالماضي من جهة ،ومن الجهة الاخرى التغلب على التحريفية المتطرفة التي تنزع الى الخلاف ، الى جانب الاشكال البالية ، مع التمسك بالوحدة الاممية الحقيقية للاحزاب الشيوعية • وفي سبيل حل هذه المتناقضات يجب شن نضال ايديولوجي ضد الانتهازية « اليمينية » و « اليسارية » ومظاهر القومية المتعصبة • ويبدو ان هذا النضال سوف يستمر الى فترة زمنية طويلة ، وهذه مسألة لاتعتورها الشكوك الا بقدر محدود •

تنبثق الحاجة الى الوحدة الاممية ، من واقع المصالح الطبقية لمجموع الحركة الشيوعية ، ومن موقعها في العملية الثورية العالمية • هذه الحاجة الملموسة بشكل عميق ، من شأنها أن تحفز الاحزاب الشيوعية ، الى المزيد من المثابرة ، والجهد لانجاز التضامن في صفوف الشيوعيين والمحافظة عليها ، وعلى ذلك يعتمد توطيد المواقع الطليعية للحركة الشيوعية في العملية الثورية العالمية •

بغض النظر عن الذرى العالمية التي ستصل اليها الحضارة الشيوعية في المستقبل والتقدم ، والثقافة ، فلسوف يبقى،عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، امرا مثيرا ومحط الانظار • لقد دوت ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ معلنة بداية التاريخ الحقيقي للبشرية • وسجلت انسلاخ الانسان عن تاريخه السابق ، تاريخ الاستغلال ، والظلم ،والتشتيت والحروب •

ان ديالكتيك النضال الجسور ، والسعي المتفاني الحثيث ، من اجل شق الطريق لتأكيد اشكال التنظيم الشيوعي للمجتمع ، كل ذلك سوف يذهل خيال المؤرخين • لاشك ان الجدل ، سوف يحتدم بينهم ، حول اهمية هذه الفترة ، او تلك ، بالمقارنة مع غيرها ، وحول بعض الاحداث دون غيرها ، لتلك الفترة الزمنية المبكرة ، من تاريخ البشرية الجديد ، وذلك قبل ان يتمكنوا من النجاح في الوصول الى تقييم صحيح ديالكتيكي شامل بدرجة كافية ، للعصر الثوري ، بكل مافيه من تنوع وتناقض •

ان دراسة ديالكتيك العملية الثورية من جانب الماركسيين اللينيين في وقتنا الراهن ، ليست من قبيل اشباع حب الاستطلاع الاكاديمي فقط ، لانها جانب حيوي هام في التطبيق الثوري • ولانها تساعد على النجاح في ادراك الطبقة العاملة واحزابها الشيوعية لمهماتها في استجلاء الحقيقة من جديد •

الفهرس

	الصفحة
مقدمة المترجم	٣
مقدمة المؤلف	٧
الفصل الاول	
نواميس العصر الثوري	١٣
تعاظم القوى الثورية	١٧
التناقضات في العملية الثورية	٢١
المشاكل في نطاق حركات التحرر الوطني	٢٥
مشاكل المناطق الاخـــرى	٣١
التحول في ميزان القـــوى	٣٦
نظرية القرية العالميـــة	٣٩
يوروسنتريست والمركزية الاوروبية	٤٦
تضافر القوى الثورية	٥٢
طليعة الثورة الاشتراكية	٥٨
لمـــاذا الشيوعيون	٦٣
تعاظم مسؤولية الطليعة	٦٨
الفصل الثاني	
الضرورة الموضوعية والمبادرة الثورية	٧٣
محاولات الرأسمالية للتكيف	٧٨

الصفحة

الديالكتيك حول ماهو موضوعي وذاتي	٩٠
المبـــادرة الثورية	٩٤
النشاط الثوري والبيئة	٩٩
لايمكن خلق الوضع الثوري	١٠٣
العفـــوية والوعـــي	١٠٦
رفض الوعي السياسي	١١٠
حول العفوية وقيـــادة الحزب	١١٣
التنوير السياسي عملية معقدة	١١٧
دور الحـــزب الثوري	١٢٠
الحـــزب والطبقة	١٢٤
الاجراءات الاصلاحية المسبقة	١٤٦
النضال داخل منطقة الخطر	١٥٠
الديمقراطية والثورة الاشتراكية	١٥٤
الطفـــرة الثورية والتدرج	١٥٧
التطور التدريجي يعتمد على التميز العقلاني	١٦٢
حتميـــة التحـــول	١٦٥
ارادة الشعب هي القانون الاسمى	١٦٨
الاصلاحية والثورية	١٧٢
التـــوأمان المتناقضان	١٧٨

الفصل الرابع

ديالكتيك العام والخاص ـ وحدة العام والخاص	١٨٣
مدخـــلان الى المباديء	١٨٧
معيـــار العـــام	١٩٢
الطـرح المتماسك للموضوع	١٩٨

الصفحة

قوانين الثورة وما يطرأ عليها من تعديلات ٢٠١
سيادة البروليتاريا ـ موقف التحريفيين ٢٠٥
الطبقة العاملة اليوم ـ انماط الثورة ٢١٢
النظرية والاسلوب ـ الاسلوب والنظرية ٢٢٠
الثبـــات المبـــدئي ٢٢٦
تحليل الوضـــع ٢٢٨

الفصل الخامس

الاميمة والقومية في مجرى العملية الثورية ٢٣١
مقياس العلاقات الحزبية المتبادلة بين الاحزاب الشيوعية ٢٣٩
مقياس الاممية ٢٤٣
محاولات اهمال الديالكتيك ٢٤٨
الجوانب الخارجية والداخلية للمسألة ٢٥٣
وحدة الديالكتيك ٢٤٨
الاستقلال والمسؤولية الاممية ٢٦٤
مصادر اتجاهات قوى الجذب والطرد المركزي ٢٧٠
النضال من اجل الوحدة ٢٧٦

الخطـــأ والصواب

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
الظهرة	٤	١٦	الظاهرة
الاقلية	١٥	١٧	اقلية
يدينون	١٩	٢١	مدينون
الثانت	٢٩	٥	الثالث
حيث الطبقة	٢٩	٩	حيث تكون
اليشوعي	٣٠	١٤	الشيوعي
مقومه	٣١	٤	مقاومة
النظرة	٣٩	٦	النظرية
لفلاحين	٣٩	٧	الفلاحين
-	٤١	١٤	يحذف الهرمش
تعرض	٤٣	١٩	تفرض
تتربط	٤٧	٣	ترتبط
كنت	٥٠	٨	كانت
ويتجتاوب	٥٩	٢	ويتجاوب
الورجوازية	٦٢	١٧	البورجوازية
العامـل	٦٤	٣	العوامل
العريقة	٦٤	١٨	العريضة
سيبقى فهناك	٦٥	٣	سيبقى هناك
هائما	٧٠	٤	دائمـا
يكن	٧٨	١٤	يكون
كنمه	١٢٥	٢	كامنة
السطر الاول	١٣٠	يقـرا الثاني قبل الاول	
الديمقراطيين	١٤٨	١٢	الديمقراطية
المنتجه	١٥٠	٧	المنتخبة
العمل	١٥١	٢	العمال
العملية	١٥١	٢	العمالية
ادخل	١٦٠	٩	ادخال
لانتقل	١٣٤	١٣	لانتقال
حزمه	١٣٥	٦	حازمة
الطبقة	١٣٦	٢،١	الثورة
ومنظاتها	١٣٩	١	ومنظماتها
جزب	١٤٠	٣	جانب
لراسمالية	١٤٢	٥	الراسمالية
والتفف	١٥٦	٤	والتفاف
القوانون	١٦٩	٢٠	القانون
البورجوازي	١٦٩	٢٠	البورجوازي
للديراطية	١٧٩	١	الديمقراطية
الديالكتيتي	١٨٠	١٦	الديالكتيكي
بصالح	١٩٠	٢	بمصالح
اكتشابه	١٩٣	١	اكتشافه
انحرافت	١٩٧	٥	انحرافات
الديكتاتورية	١٩٩	١	ديكتاتورية
الموضوعه	٢٠٢	٧	الموضوعية
المثف	٢٠٤	١٦	المثقف
للعم ل	٢٠٦	٨	للعمال
التثبيت	٢٢٥	٥	التثبت
تستيع	٢٢٨	٧	تستطيع
البورجوايزة	٢٣٦	١٦	والبورجوازية
خلـق	٢٤١	٢	خنق
شدوا	٢٥٣	١٤	شدد
اشعار	٢٥٥	١٠	شعار

الطبعة الاولى ايلول ١٩٧٥

توزيع : مكتبة ميسلون ـ دمشق ـ هاتف ١١٣٥٩٠

السعر : ٨٠٠ ق

مطبعة الرازي